

الانفاس

فمغنازى رسول الله والثلاثة الخلفاء

لهام ابا البيع سليمان بن موسى الكاظمي الاندلسي

٥٦٥ - ٦٣٤ هـ

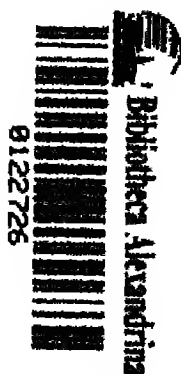
تقيق

الدكتور مصطفى عبد الواحد

ينشر لأول مرة على نيبه حتى " طلعت " و " التهورنة "

المجلد الثاني

الناشر
مكتبة المطابع بالقاهرة



الكنف^{النبين} س

فَمَعَا زِي رَسُولَ اللَّهِ وَالثَّلَاثَةِ الْخُلَفَاءِ

لِلإمام أبي البرقع سليمان بن موسى الكاظمي الأندلسي

٥٦٥ — ٦٣٤ هـ

بتحقيق

الدكتور مصطفى عبد الواحد

بمشراف الأستاذ علي الشبلي «طلعت» و«التجارية»

الجزء الثاني

الناشر
مكتبة الحاجي بالقاهرة
ومكتبة الهلال ببيروت

١٣٨٩ هـ — ١٩٧٠ م

مطبعة السنة المجددية
١٧ في حريف بابا الكبير - ماديون
٩.٦.١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شروع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في حرب المشركين ، وذكر مغازبه التي أعز الله بها الإيمان والمؤمنين

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لحربه فيها أمره الله تبارك وتعالى به من جهاد عدوه وقتال من أمره الله بقتاله^(١) يمين يمينه من مشركي العرب^(٢) .

وخرج غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة .

[غزوة ودان]

حتى بلغ ودان وهي غزوة الأبنواء ، يريد قريشاً وبنو ضمرة بن بكر ابن عبد مناة بن كلاب ، فوادعته فيها بنو ضمرة ، وكان الذي وادعه [منهم]^(٣) عليهم نخش بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في زمانه ذلك . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يبق كيداً ، فأقام بها .

[سرية عبيدة بن الحارث]

وبعث في مقامه ذلك عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب أو ثمانين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد . فسار حتى بلغ ماء الحجاز بأسفل ثنية المرأة ، فلقى بها جماعة عظماء من

(١) ابن هشام : به .

(٢) ابن هشام : من المشركين ، معرب ، العرب .

(٣) من ابن هشام .

قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رأى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رُمي به [في سبيل الله]^(١) في الإسلام .

وقال سعد في رَمِيته تلك فيما يذكر :
 وقال سعد في رَمِيته تلك فيما يذكر :

أَلَا هَلْ أَنِي رَسُولَ اللَّهِ أَنِي حَقِّتُ تَحَابَّتِي بِصَدُورِ نَبِيٍّ
 أَزُودُ بِهَا أَوْلَاهُمْ ذِيادًا بِكُلِّ حُزُونَةٍ وَبِكُلِّ سَهْلٍ
 فَلا يَمْتَدُّ رَأْيٌ فِي عَدُوٍّ بِسَهْمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَبْلِي
 فِي آيَاتِ ذِكْرِهَا ابْنُ إِسْحَاقَ ، وذكر ابن هشام أن أكثر أهل العالم
 يذكرونها لسعد .

ثم انصرف القوم عن القوم والمسلمين حامية .
 وفر من للشركيين إلى المسلمين المِقْدَادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الرَّحْمَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،
 وَعُقْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ وَكَانَا مُسْلِمِينَ وَلَكِنَّهُمَا خَرَجَا لِيَتَوَصَّلَا^(٢) .

ويقال إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال في غزوة غبيدة هذه^(٣) :
 أَمِنْ طَيْفٍ سَلَى بِالْبَطَاحِ الدَّمَائِثِ
 أَرَقَّتْ وَأَمْرٌ فِي الْعَشِيرَةِ حَادِثٍ
 تَرَى مِنْ لُؤْيَى فِرْقَةً لَا يَصُدُّهَا

عَنْ الْكُفْرِ تَذَكِيرٌ وَلَا تَعُثُ بَابُ
 رَسُولٍ أَنَامَ صَادِقٌ فَتَسْكُدُّ بَوَا

عَلَيْهِ وَقَالُوا لَسْتَ فَيَا بِنَاكَتَ

(١) ليست في ابن هشام .

(٢) ابن هشام : ليتوصلا بالكفار . أى اتخذوا خروجهما مع الكفار وسيلة لا وصول
 للمسلمين .

(٣) الدمائث : الرمال اللينة .

إذا ما دعوناهم إلى الحق أذبرُوا
وهروا هَرِيرَ الْمُخَجَّرَاتِ اللَوَاهِثِ^(١)
فكم قد مَنَعْنَا فيهمُ بقرابة
وترك التثقي شيء لم غير ككاريث^(٢)
فإن يَرْجِعُوا عن كفرهم وعقوقهم
فأطيباتِ الحِلِّ مثلُ الخبائثِ
وإن يركبوا طغيانهم وضلالهم
فليس مذهب الله عنهم يَلَابِثُ
ونحن آمنٌ مِن دُورِهِ غَالِبِ
ألسنا العرُّ منها في الفروع الأثاثِ^(٣)
فأولى رَبِّ الرافضاتِ عشيَّةُ
حراجيجِ نجرى في السربيعِ الرثاثِ^(٤)
كأديمِ طيباءِ حولِ مكة عَكَّافِ
بَرْدَنَ حِيَاضِ البئرِ ذاتِ التَّبَاسِثِ^(٥)
أئن لم يُقَيِّقُوا عاجلاً من ضلالهم
واستُ إذا آليتُ قولاً بمسانثِ

(١) اللعجرات : اللعاب التي ألجئت إلى مواضعها .

(٢) ككاريث : الهم .

(٣) الأثاث : المنة .

(٤) أولى : أحاط . والحراجيج : الضواك . السربيع : الغار . برط : أعماد الإبل .

والرثاث : الخانة .

(٥) التباس : المذهب يخرج من البئر إذا نفيت .

— ٦ —

لَتَقْبَلَنَّ مِنْهُمْ غَارَةً ذَاتُ مَصْدَقٍ
تَحْرِمُ أَطْهَارَ النِّسَاءِ الطَّوَامِثِ^(١)

وكانت راية عبيدة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الإسلام .

وبعض العلماء يزعم أنه بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل
المدينة ، وأنه بعث^(٢) في مقامه بالمدينة حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر
من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ، فلقى أبا جهل بذلك
الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم بجدي بن عمرو الجهمي ،
وكان مَوَادَعًا للفريقين .

فأنصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يك بينهم قتال .

وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين ، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كالأ
مما ، فشبّه ذلك على الناس .

وقد زعموا أن حمزة قال في ذلك شعراً يذكر فيه أن رايته أول راية
عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن كان حمزة قال ذلك فقد صدق إن شاء الله ، لم يكن يقول إلا حقاً
فالله أعلم أي ذلك كان .

وأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا : فعبيدة بن الحارث أول من عقده .

(١) أكلها ابن هشام وذكر لإحابة عبد الله بن الزبير يشرح .

(٢) ابن هشام : وبث في موافقة ذلك حمزة .

والشمرُ الذنوب لحزة رضى الله عنه :
ألا يا أقوى للتحكم والجهد
وللثمن من رأى الرجال وللمقل
وللراكبنا بالمظالم لم نطأ
لم حُرُماتٍ من سَوَامٍ ولا أهلٍ^(١)
كأنّا تَبَلَنَامُ ولا تَبَلٍ عندنا^(٢)
لم غيرُ أمرٍ بالمغافِ وبالمذل
وأمرٍ بإسلامٍ فلا يَقْبَلُونَهُ
وَيَبْزُلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَنْزِلَةِ التَّهْزُلِ
فَمَا بَرَحُوا حَتَّى انْتَدَبَتْ لِفَارِقِ
لم حيث حَاوُوا ابْتِغَى رَاحَةَ الْفَضْلِ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ أَوَّلَ خَافِي
عليه لو لم يكن لَاحٍ مِنْ قَبْلِ
لَوْ لَدَيْهِ النُّصْرُ مِنْ ذِي كَرَامَةٍ
إِلَى عَزِيزٍ فَعَلَهُ أَفْضَلُ لِلْفَضْلِ
عَشِيَّةَ سَارُوا حَاشِدِينَ وَكُلُّنَا
مَرَّاجِلُهُ مِنْ غَيْبِ أَصْحَابِهِ تَعْلَى
فَلَمَّا تَرَاوَيْنَا أَنْزَلُوا فَمَقَلُوا
مَطَايَا وَعَمَّانَا مَدَى عَرْضِ التَّهْلِيلِ

(١) السوام : الإبل الرابعة .

(٢) تَبَلَنَامُ : دعينا ، دعولهم أو عاتبنام . والتبيل : العداوة .

فقلنا لم حبلُ الإله نصيرُنا
وليس لكم إلا الضلالة مِن حبلٍ
فتأز أبو جهل هناك باغيًا
نخاب وردُّ الله كيدَ أبي جهل
وما نحن إلا في ثلاثين راكبا
وهم مثنان بعد واحدة ففضل
فيالِ لؤمى لا تعلّموا غوانكم
وفيثوا إلى الإسلام والتّمسّح للمسمل
فإني أخاف أن يُصبَّ عليكم
عذابٌ فتدعوا بالندانة والنسكَل

[غزوة بُواط]

ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول يريد قريشاً حتى
بلغ بُواط من ناحية رَضَوَى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يبقَ كيداً .

[غزوة المشيرة]

ثم غزا مفسك على نقب بنى دينار ثم على فيفاء الحُبَار فنزل تحت شجرة
يطلقها ابنُ أُرْمَر ، يقال لها ذات الساق ، فعلى عندها ، فثَمَّ مسجدُ رسولِ الله
عليه وسلم ، وصُنِّعَ له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه ، ووضع أثافي
للبرمة معلوم هناك ، واستقى له من ماء يقال له المُشْتَرِب .

ثم ارتحل حتى هبط بَلَيْل ، ثم سلك فرش مَلَل حتى أتى الطريق بصُحُفَات
البحام ، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل المشيرة من بطن ينبع ، فطام بها
جهادى الأولى وإيالى من جهادى الآخرة . وودّع فيها بنى مُذَاج وحلفاءهم من
بنى صُمرّة ثم رجع إلى المدينة ولم يبقَ كيداً .

وبعث سرية فيما بين ذلك من غزوة سعد بن أبي وقاص في ثمانية رهط
من المهاجرين ، فبلغ الخرار من أرض الحجاز ثم رجع ولم يبق كيدا .
[غزوة بدر الأولى]

ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قدم من غزوة العشرة
إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح^(١)
المدينة .

نفج صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ واديا يقال له ستوان من
ناحية بدر ، وفاته كرز فلم يدركه .
وهي غزوة بدر الأولى .
ثم رجع إلى المدينة .

وبعث عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي في رجب ثمانية من تلك
الغزاة . وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، وهم : أبو خديفة بن عتبة ،
وسعد بن أبي وقاص ، وعسكاشة بن محصن ، وعتبة بن غزوان ، وعامر بن
ربيعة ، وواقد بن عبد الله النخعي ، وخالد بن البكير ، وسهيل بن بيضاء .
وكتب له كتابا وأمره أن لا يظفر فيه حتى يسير يومين ثم يظفر فيه فيمضي لما
أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحدا .

فلما سار عبد الله يومين فتح السكائب فإذا فيه : « إذا نظرت في كتابي
هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشا وتعلم لنا
من أحبارهم »

فقل عبد الله : سمعاً وطاعة . ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن أمضي إلى نخلة أرصد فيها قريشا حتى آتية منهم بخبر ، وقد

نهاني أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها ، فليطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فاضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمضى ومضى معه أصحابه ، لم يتخلف عنه منهم أحد ، وسلك هلى الحجاز حتى إذا كان بمكان فوق الفرع يقال له بجران أضل سعد بن أبي وقاص وعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بِمِيزَانٍ لَهَا كَانَا بِمَقْبَلَانِهِ ، فَتَخَلَّاهُمَا فِي طَلَبِهِ .

ومضى عبدُ الله في بقية أصحابه^(١) حتى نزل بذي طوى ، فمرت به عيرُ قريش تحمل زبيباً ، وأدماً ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن النخيلة الخزومي وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان ، فلما رآهم القوم هابوهم وقالوا : عُمارٌ لا بأس عليكم منهم ، ونشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب . فقالوا : والله إن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليقتلنكم منكم به ، ولئن قتلتموهم لانتقلنهم في الشهر الحرام .

فتردد القومُ وهابوا ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذوا معهم .

فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأمر عثمان بن عبد الله ، والحكم ، وأقلت القوم نوفل فأنجزهم .

وأقبل عبدُ الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وعزل عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس تلك الغنيمة وقسم سائرهما بين أصحابه ، وذلك قبل أن يفرض الله الخمس من الغنائم

(١) ابن هشام وبقية : أصحابه .

فلما أحل الله الفداء بعد ذلك وأمر بقسمه وفرض الخلع فيه ، وقع على ما كان
عبد الله صلح في تلك المير .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أمرتكم بقتال في
الشهر الحرام . فوقف المير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً .

فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط في أيدي القوم وظنوا
أنهم قد هلكوا ، وعنههم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش :
قد استحل محمدٌ وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه
الأموال ، وأمروا فيه الرجال .

فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا
في شعبان . وقالت يهود ، تفاؤل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم :
عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله : عمرو : عميرت الحرب ، والحضرمي
حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله : وقدت الحرب . فجهل الله تبارك وتعالى
ذلك عليهم لا لهم .

فلما ذكر الناس في ذلك ، أنزل الله على رسوله : « يسألوك عن الشهر
الحرام قتال فيه . قل : قتال فيه كبير وصعد عن سبيل الله وكفر به ،
والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله » (١) .

أي إن كنتم قتلت في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر
به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل
من قتلتهم منهم ، والقتل أكبر من القتل ، أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه
حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل .

فلما نزل القرآن بهذا من الأمر وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّقِّ ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين ، وبعثت قريش في قداشهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ، حتى يقدم صاحبانا ، بنى سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ، فإننا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما ، فإننا نقتل صاحبكما » . فقدم سعد وعتبة ، فأفدى الأسيرين عند ذلك منهم .

فأما الحكم فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد يوم بدر معونة ، وأما عثمان فالحق بمكة فأتها كافراً .

فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعلم فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : « إن الذين آمنوا ولدين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله سفور رحيم ^(١) » فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في تلك الغزوة أحياناً ، ويقول بل عبد الله بن جحش ، قالما حين قالت قريش : أحلّ محمد وأصحابه للشهر الحرام ، فسفكوا فيه الدم وأخذوا المال وأسروا الرجال :

تعدّون قتلًا في الحرام عظيمة

وأعظم منه لو يرى الرشد أرسد

صدودكم عما يقول محمد

وكفر به والله راء وشاهد

— ١٣ —

وإخراجكم من مسجد الله أهله
أئسلاً يرى في البيتِ لله ساجدُ
فإننا وإن عيرتونا بقتله
وأرجفَ بالإسلام باغٍ وحاسدُ
سَقَيْنَا من ابن الحضرمي رماحنا
بمنزلة لما أوقد الحربَ واقسدُ
دماً وابنُ عبد الله عثمان يبدوا
بفازعه غُلٌّ من القيد عانِدُ

غزوة بدر الكبرى

قال ابن إسحق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان ابن حرب مُقبلاً من الشام في غير اقريش عظيمة .

فندب المسلمين إليهم وقال : هذه غير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله يُنفلكوها^(١) .

فانتدب الناس خفت بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقى حرباً .

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس^(٢) الأخبار ، ويسأل من لقي من الرُكبان ، تخوّفاً ، حتى أصاب من بعضهم خبراً باستنفاذ^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولعيره ، فحذر عند ذلك ، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ليخبر قريشاً بذلك ، ويستنفرهم إلى أموالهم . فخرج ضمضم سريماً .

[رؤيا عاتكة]

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث رؤيا أفزعها ، فقالت لأخيها العباس : يا أخى لقد رأت الليلة رؤيا أقدر أفظمتني^(٤) وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فأكتم عني ما أحدثك .

(١) ينفلكوها : يملكها غنيمة لكم .

(٢) ابن هشام : يتجسس .

(٣) ابن هشام : أن عمداً قد استنفر أصحابه .

(٤) أفظمتني : اشتدت علي .

فقال لها : وما رأيت ؟

قالت : رأيت راكباً أقبل على بعيره حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا أَغْدَرُ^(١) لمصارعكم في ثلاث . فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والداس يقبعونه ، فبيناهم حوله ، مثل به بعيره على ظهر السكبية ، ثم صرخ بمثلها ، ألا انفروا يا أَغْدَرُ إلى مصارعكم في ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأبابت نهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دحلتها منها فاقعة .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتمتها ولا تذكرها لأحد .
ثم خرج العباس فاقى الوايذ بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقاً ، فذكرها
له واستكتمه إياها ، فذكرها الوايذ لأبيه عتبة .

فَفَشَا الْحَدِيثُ^(٢) حَتَّى تَمَدَّدَتْ بِهِ قَرِيشُ^(٣).

قال العباس : فعدوت لأخواف بآبیت وأبو جهل ی رعی من قریش
 قعود یتحدثون رؤیا عائسکة .

ولما رأى قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إليدا .

فلما فرغت أقبات حتى جاست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبؤة ؟^(١٢) قلت وما ذلك ؟ قال : الرؤيا التي رأت عامكة فقلت : وما رأت ؟

(١) كذا بالأصل والمطبعين وغندر : عذر وفي الجيم : ما آل عذر وقد قال السهلي : هو ضم الغين والذال ، مع عذر وذلك نهر يمس لهم ، أي إن يغفرهم فأنتم عذر أنفسكم .

(۷) ان هشام : موشا الحديث ۴۴ .

(۳) زاده انجمن : و آمدن

(١) ابن هشام والطبري : البیه .

قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يقتل رجالكم حتى نقبأ أسامكم ؟
قد زعمت عائكة في رؤياها أنه قال : انقروا في ثلاث . فاستقر بكم هذه
الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض ولم يكن من ذلك شيء
نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب .
قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير ، إلا أني جعدهت ذلك
وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً ، ثم تفرقنا .

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أفر نرى
لهذا الناسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ،
ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ؟ فقلت : قد والله فمات ،
وما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لأعرضن له فإن عاد لأكفيته كفة^(١) .
قال : ففعلت في اليوم الثالث من رؤيا عائكة وأنا حديد المنضب ،
أرى أنه قد فانتى أمر أحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فابته ، وكان
رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، فوالله إنني لأمشي نحوه
أعرضه ليعود لبعض ما قال ، فأقبح به ، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد ،
فقلت في نفسي : ماله ، لعله الله ؟ أكل هذا قرقة^(٢) مني أن أشانه ! وإذا هو
قد سمع ما لم أسمع ، صوت ضمضم بن عمرو الغماري^(٣) وهو يعرض بطن
الوادي واقفاً على بمره قد جدعه وحول رَحْله وشق قميصه وهو يقول :
يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد
في أحبابه ، لا أرى أن تدركوها ، للفوت الفوت .

قال : فشغلني عنه ، وشغله عني ما جاء من الأمر .

(١) ابن هشام : فرق . (٢) الطبري : لا كفيته كره .

(٣) من ابن هشام والطبري .

الخروج قريش

فَتَجَهَّزَ النَّاسُ سِرَاعًا وَقَالُوا : أَبْطَلْنَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَنْ تَسْكُونُ كَعِيرِ ابْنِ الْحَضَرَمِيِّ ؟ أَلَا وَاللَّهِ إِيَّاهُ نَعْلَمُ ذَلِكَ .

فَسَكَنُوا بَيْنَ جَابِنَ ، إِمَامًا خَارِجًا وَإِذَا بَاعَتْ مَكَانَهُ رَجُلًا وَأَوْعَيْتَ^(١) قريش فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ ، إِلَّا أَنْ أَبَا لُبَّابٍ تَخَلَّفَ بِمِثْلِ مَكَانِهِ لِلْعَاسِمِيِّ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ لِأَبِي لُبَّابٍ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، فَاسْتَأْجَرَهُ بِهَا عَلَى أَنْ يُجْزِيَ عَنْهُ بَعَثُهُ .

وَأَجْمَعَ أُمَيَّةُ بْنُ حَافِظٍ الْقَعُودَ وَكَانَ شَيْئًا جَلِيلًا جَسَدًا ثَقِيلًا ، فَأَنَاهُ عَقِيْبَةُ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرِي^(٢) قَوْمِهِ بِجَعْمَةَ فِيهَا مَارُ وَنَجْمٍ^(٣) حَتَّى وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ اسْتَجْمِرْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ النَّسَاءِ فَقَالَ : فَيُحْكَمُ اللَّهُ وَفَيُجِيعُ مَا جُمِعَتْ لَهُ . ثُمَّ نَجَّهْزَ وَخَرَجَ مَعَ النَّاسِ .

وَمَا فَرَّغُوا مِنْ جِهَازِهِمْ وَأَجْمَعُوا السَّيْرَ ذُرُوعًا خَرِبًا فَانْتَبَهَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كُفَّانَةَ ، وَقَالُوا : إِيَّاهُ نَحْنُ أَنْ يَأْتُونَنَا مِنْ خَلْقِنَا ، فَكَادَ ذَلِكَ يَنْقُضَهُمْ ، فَتَبَدَّى لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ سُرَّاقَةٍ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُذَلِّجِيِّ ، وَأَنَّ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي كُفَّانَةَ ، فَقَالَ : أَنَا لَكُمْ جَارٌّ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كُفَّانَةُ مِنْ خَلْفِكُمْ بِشَيْءٍ تَسْكُرُوهُ .

فَخَرَجُوا سِرَاعًا .

الخروج الرسول والمسلمين

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَيْلٍ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ

(١) أَوْعَيْتَ : اجْتَمَعَتْ .

(٢) ابْنُ هِشَامٍ : طَهْرَانِي قَوْمِهِ .

(٣) الْمَجْمَرُ : الْحُودُودُ .

في أصحابه ، ودفع اللواء إلى مُصَنَّب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أبيض ، وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايقان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، والأخرى مع بعض الأنصار ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صمصة أخا بني مازن بن النجار ، وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ فيما قال ابن هشام .

فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقه من المدينة إلى مكة حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بسبس بن عمرو^(١) ، وعدي بن أبي الزغباء الجُهَنِيِّين إلى بدر بهجستان له الأخبار عن أبي سفيان وغيره .

ففضيا حتى نزلا بدرأ ، فأناخا إلى تلّ قريب من الماء فسمعا جاريين من جوارى الحاضر تتلازمان على الماء ، والمزومة تقول لصاحبتها : إنما تردّ العيرُ غداً أو بعده فأعمل لهم ثم أفضيك . فقال مجدي بن عمرو ، وكان على الماء : صدقت ، ثم خلص بينهما .

فلما سمع بذلك عدى وبسبس ، انطلقا حتى أبيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبراه .

ثم تقدم أبو سفيان العير حذراً حتى ورد الماء ، فقال لجدي : هل أحسست أحداً ؟ قال : لا ، إلا أنى قد رايت راكبين أناخا إلى هذا التلّ ، ثم استقيما في شئت لهما ، ثم انطلقا .

فأنى أبو سفيان مفاخهما ، فأخذ من أبقار بعيريهما فذّبه وإذا فيه للتوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب ! فأمرع إلى أصحابه فحرب وجهه هيرة عن الطريق فساحل بها ، وترك بدرأ يساره .

(١) هو بسبس بن عمرو بن نعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد بن دبيان .

[الرسول يستشير أصحابه]

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى وادياً يقال له « ذِفْرَان » فجزع^(١) فيه ، ثم نزل .

وأناه الخبهر عن قریش بمسيرهم ليمعوا عيرهم ، فأخبر الناس واستشارهم .

فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام اليققداد بن عمرو . فقال : يا رسول الله امض لما أراك الله فنعن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : « اذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا خاعدون » واسكن اذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا خاعدون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الله^(٢) لنمجدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعنا له ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي أيها الناس . وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عدد للناس ، وأنهم حين يأتعوه بالبيعة قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تهمل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا ، فمعك مما نفع منه أبنائنا ونساءنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا بمن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم إلى عدو^(٣) ، فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ : والله اكأأنت تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقك ؛ وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموائيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنعن معك ، فوالذي بعثك بالحق

(١) جزع الراحى : طلمه .

(٢) برك الله : أقصى موضع بناحية اليمن .

(٣) ابن هشام : يسير بهم إلى عدو من بلادهم . وما هنا أوضح .

لو استمرضت بنا هذا البحر فخصمته تلخصناه معك، ما يتخاف^(١) منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا أصبر في الحرب صدق عند اللقاء، لعل الله يربك منا ما تقر به عينك، فسير بنا على بركة الله.

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد واشطه ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا فإن الله تبارك وتعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من «ذفران» حتى نزل قريباً من بذر فركب هو ورجل من أصحابه، قيل هو أبو بكر الصديق، حتى وفد على شيخ من العرب فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بآمة عنهم، فقال الشيخ: لا أخبرك حتى تخبرني عن أمتنا؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أخبرتنا أخبرناك. قال أو ذلك بك، قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بأخفى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق لدى أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، المكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدق لدى أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، المكان الذي به قريش. فلما فرغ من حديثه، قال: ممن أمتنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء. ثم انصرف عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: يقول الشيخ: ما من ماء إلا آمن ماء العراق؟

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه، فلما أتمى بيت علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وفر من أصحابه إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر له عليه، فأصابوا رواية^(٢) لقريش فيها إعلان إبهامهم، فكتبوا

(١) ابن هشام: ما تخلف.

(٢) الراوية: البعير ونحوه يستق عليه.

بهما فـألوهما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، فقالا : نحن سقاء
قريش يمشونا نسقيهم من الماء ، فسكروهم القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي
سفیان ، فصر بهما ، فلما أذاقوهما^(١) قالا : نحن لأبي سفیان . فتركوهما .

ورآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه ، ثم سلم وقال :
إذا صدقاكم خبريتهم ، وإذا كذباكم تركتهم . صدقا والله إنهما
أقريش ، أخيراني عن قريش . فقالا : هم وراء هذا الكعيب الذي ترى .
قال : كم القوم ؟ قالا : كثير . قال : ما عدتهم ؟ قالا : ما ندري . قال :
كم ينفتحون كل يوم ؟ قالا : يوماً تسماً ويوماً عشرة . قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : القوم ما بين التسمئة والآلاف .

ثم قال لهما : من فيهم من أشرف قريش ؟ قالا : عتبة بن ربيعة ،
وشيبة بن ربيعة ، وأبو الهيثم بن هشام ، وحكيم بن جرام ، ونوفل بن
خويلد ، والحارث بن عامر ، وطائفة بن عدي ، والنضر بن الحارث ، وزمعة
ابن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وبيبه ومثبه
ابدا الحجاج ، وشميل بن عمرو ، وعمر بن عبدود .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت
إليكم أفلاذ أبنائها .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جُهَيْنِم بن الصمات بن نخرمة
ابن المطاب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إني أرى فيما يرى الناس ، وإني أبين
الناسم واليقظان ، إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ،
ثم قل : قُتِلَ عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو النخع بن هشام ،

(١) أذاقوهما : أوجعوهما .

وأمية بن خلف وفلان وفلان ، فعدّد رجالاً ممن قُتل يوم بدرٍ من أشرف قريش ، ثم رأيتُه ضرب في لَبّةٍ بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْحٌ من دمه .

فبلغت أبا جهل فقال : وهذا أيضاً نبي آخر من بني عبد المطلب ! سيء لم غداً من القتل إن نحن التقينا .

[الذين تخلفوا من قريش]

قال : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش : إنكم خرجتم لتمدوا عيكم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله ، فارجموا .

قال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدرًا ، وكان موسماً للعرب لهم به سوق كل عام ، ففقيم عليه ثلاثاً ، ففجّر الجزر ، ونظم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان وتسمع بدا العرب وبسيرانا وجمدا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها ، فامضوا .

وقال الأخنس بن شريق الثقفي : يا بني زهرة ، وكان حليفاً لهم : قد نجى الله أموالكم وخاصّسكم أصحابكم تخومة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمدوه وماله ، فاجعلوا بي جُبْنَهَا وارجموا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضئيمة ، لا ما يقول هذا .

فرجموا فلم يشهدوا زهرى واحداً ، أطاعوه وكان فيهم مطاعاً .

ولم يكن بقي من قريش بطن إلا وقد نفر منهم ناس إلا أبو عدي بن كعب ، لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بؤة زهرة مع الأخنس ، فلم يشهد بدرًا من هذين القبيلتين أحد .

وكان بين طالب بن أبي طالب وكان في القوم ، وبين بعض قريش

مجاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا أن هؤاكم لمع محمد . فرجع طالب إلى مكة مع من رجع وقال :

لَا هُمْ إِلَّا يَفْزُونَ طالب في عُصْبَةٍ مخالفاً محارباً
في مَقْنَبٍ من هذه المقناب^(١) فايكُن المَطْلُوب غير الطالِب^(٢)

وليسكن المَطْلُوب غيرَ التَّالِب

ومضت قريش حتى نزلوا بالمدونة القصوى من الوادي خلف اللقنقل والقناب ببدر في العدو الدنيا إلى المدينة .

وبعث الله عز وجل السماء ، وكان الوادي دَهْشًا ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبث لهم الأرض ولم ينفهم من المسير ، وأصاب قريشًا ما لم يقدروا أن يرتحلوا معه .

| نزول المسلمين ببدر |

تفرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاءوا أدنى ماء من بدر نزلوا به .

فذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجهم الأنصاري قال : يا رسول الله أرايت هذا المنزل ، أُنزِلَ أنزلكه الله إيس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟

فقال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله فإن هذا إيس بمنزل ، فاسمع بنا حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القناب ثم نبنى عليه حوضاً فندله ماءً ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون .

(١) القناب : الخامة من الخيل .

(٢) ت : فايكُن المَطْلُوب غير التَّالِب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فساروا حتى إذا أتى أدنى ماء إلى القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغُورَت وبني حوضاً على انقلاب الذى نزل عليه فلى ماء ثم فذفوا فيه الآية .

وقال سعد بن معاذ : يا نبي الله ألا نبنى لك عريشاً تكون فيه ، وأمدُّ عندك ركائبك ، ثم تلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فاحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن أشدُّ حياءً لك منهم ، ولم ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يملكك الله عز وجل بهم ينصحبوك ويجاهدون معك .

فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعاه له بخير ، ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش كان فيه .

[نزول قریش ببدر]

وارتفعت قریش حين أصبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تعصّب من الكتيب الذى جاءوا منه ، قال : اللهم هذه قریش قد أقبلت بخيلائها ونفخها تُحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنعمرك الذى وسدنى اللهم أحسنهم ^(١) القداة .

وقد كان خُفّاء بن أيماء بن رَحْضَةَ الْيَمَامِيّ أو أوجه يمشى إلى قریش حين مروا به ابناً له يمزأثر أهداها لهم ، وقال : إن أحببتهم أن أمدكم بسلاح ورجال فعلنا . فأجابوه : أن وصلتك رحيمٌ قد قضيت الذى عليك ، فلم يردى

(١) أحسنهم : أملكهم .

لئن كننا إنما نقاتل الناس ما بنا ضَعَف عنهم ، واثن كننا إنما نقاتل الله كما
يزعم محمد ما لأحد بالله من طاقة !

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش فيهم حَكِيم بن حزام حتى وردوا
حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : دَعُوهم . فسا شرب منه يومئذ
رجل إلا قتل ، إلا ما كان من حَكِيم بن حزام فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعده
فحسن إسلامه ، وكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا ، والذي نتجاني من
يوم بدر .

ولما اطمان القوم بعثوا عُثَيْر بن وهب الجَمَحِي فقالوا : احزِر^(١) لئلا
أصحاب محمد . فدار بفرسه حول المعسكر ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمائة رجل
يزيدون قليلا أو ينقصونه ، واسكن أمهلوني حتى أنظر القوم كين أو مدد ،
فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئا ، فرجع إليهم فقال : ما رأيت شيئا ،
واسكن رأيت يا معشر قريش البلاء يا تحمل المدايا ، نواضح يثرب تحمل الموت
النافع ، قوم ليس لهم متعة ولا ما جاء إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل
رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش
بعد ذلك ، فَرَوْا رأيكم .

فلما سمع حَكِيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عُتْبَةَ بن ربيعة فقال :
يا أبا الوائد إنك كبير قريش وسيدها والطاع فيها ، هل لك إلى أن لا نزال
تذكر منها بخير إلى آخر الدهر ؟ فقال : وما ذلك يا حَكِيم ؟ قال : ترجع
بالناس ، ونعمل أمر حايك عمرو بن الحضرمي . قال : قد فمات ، أنت على
بذلك إنما هو حايقي فعلى عقله وما أصيب من ماله ، فأنت ابن الخطأية ، يعنى
أبا جهل ، فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره .

ثم قام عتبة خطيباً فقال :

يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله
لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه
أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ،
فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك أمانكم ، ولم تمسحوا
معه ما تريدون .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عتبة في القوم على جهل له
أحر فقال : إن بك عند أحد من القوم خير فعدد صاحب الجهل الآخر ،
إن يطعموه يرشدوا .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نزل^(١) دبراً له
من جرابها فهو يهينها^(٢) ، فقلت له : يا أبا الحكم إن عتبة أرساني إليك بهذا
وكذا ، للذي قال . فقال : انتفخ والله سخره^(٣) حين رأى محمداً ، أصحابه ،
كلا والله لا ترجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وما بعتبة ما قيل ، والله قد
رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابد ، فقد نخوفكم عليه .

ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي ، فقال : هذا حايك يريد أن يرحم
بالناس ، وقد رأيت تأرك بعيمك ، فقم فانشد خُفرك ، ومقتل أحيك .

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ : وانعموا ، وانعموا !
فخيمت الحرب وحُقب^(٤) أمرُ الناس واستوتوا على ما هم عليه من الشر
وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة .

(١) نزل : أخرج .

(٢) يهينها : يطليها .

(٣) السخر : الرقة ، وهو كناية عن الجلب .

(٤) حقب : اشتد .

فلما بلغ عتبة قول أبي جهل : انتفخ والله سخره ، قال : سيلم مصفر
استته من انتفخ سحره أنا أم هو ١٩
ثم النمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسمه من
عظم هامته ، فلما رأى ذلك استعجر^(١) على رأسه ببرد له .

المبارزة |

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق
فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمته أو لأموتن دونه .
فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب ففتربه فأطن^(٢) قدمه بدهف ساقه وهو
دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب^(٣) رجله دماً ، ثم حبا إلى الحوض حتى
اقتحم فيه يريد زعم أن تبرئ يديه ، وأنيمة حمزة ففتربه حتى قتله في الحوض .
ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة حتى إذا
نصل^(٤) من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة وهم
عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء ، وعبد الله بن رواحة^(٥) فقالوا : من
أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من حاجة ، ثم نادى
مفاديههم : يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قومنا . فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة وقم يا علي . فلما قاموا ودنوا
منهم ، قالوا : من أنتم ، فقال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال
علي : علي . قالوا : أكفأنا كرام .

(١) اعتجر : نسيم .

(٢) أطن : أسار .

(٣) تشخب : تسيل .

(٤) نصل : خرج . وفي ابن هشام : فصل .

(٥) ابن هشام : ورجل آخر يقال : هو عبد الله بن رواحة .

فبارز عبيدة ، وكان أسن القوم ، عتبة ، وبارز حمزة شيبه ، وبارز
على الوليد .

فأما حمزة فلم يُمهل شيبه أن قتله . وأما على فلم يهل الوليد أن قتله ،
واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه ، وأر حمزة وعلى
بأسياقهما على عتبة فذقفا^(١) عليه ، واحتملا صاحبهما فجازاه إلى أصحابه .

وذكر ابن عتبة ، أنه لما طلب القوم للبارزة فقام إليهم ثلاثة نفر من
الأنصار ، استحميا النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك لأنه كان أول قتال النبي
فيه للمسلمون والمشركون ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد معهم ، فأحب
النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون الشوكة بيني عمه ، فإدام أن أرجعوا
إلى مصافكم ، وليقم إليهم بنو عمهم . فعند ذلك قام حمزة وعلى وعبيدة .

* * *

ثم تراخف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصحابه أن لا يحموا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم
فانضحوم^(٢) عنكم بالنبل .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش معه أبو بكر الصديق ، وكان
شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحد ، أحد .

وعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الصفوف ، صفوف أصحابه
وفي يده قدح^(٣) يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزبة حليف بني عدي
ابن النجار وهو مستفصل من الصف ، أى بارز ، فطعن في بطنه بالقدح

(١) ذقفا : أجهزا .

(٢) انضحوم : ادفنهم .

(٣) القدح : السهم .

وقال : استأوا يا سواد . فقال : يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحق والمعدل فأقذن^(١) . فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال : استعقذ ، فاعتنقه فقتل بطنه ، فقال له : ما جئت على هذا يا سواد ؟ قال : يا رسول الله حصر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسن جلدني جلدي جلدك ، فدعا له بخير ، وقاله له .

ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع إلى العريش ، فدخله ومعه أبو بكر ، ليس فيه غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا نعبد . وأبو بكر يقول : يا نبي الله بعض ما شاهدت ربك فإن الله منجز لك ما وعدهك .

وخفق^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم حقة وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر أنك نصر الله ! هذا جبريل أحد بعثان فرسه يقوده على ثناباه النقع . يريد الغبار .

ورمى منهجج مولى عمر بن الخطاب بهم فقتله^(٣) ، فكان أول قتيل من المسلمين .

ثم رمى حارثة بن سراقة ، أحد بني عدى بن النجار ، وهو يشرب من الخوض بهم فأصاب محره فقتله .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فخرصهم ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محسباً مقبلاً غير مذبر إلا أدخله الله الجنة .

(١) أقذن : أفتس ل .

(٢) ابن هشام : وقد خفي .

(٣) ابن هشام : قتل .

فقال عُمر بن الخطاب ، أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن : يخرج يا
أفانيبي وبين أن أَدْخُلَ الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من
يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قُتل .

وقال بومئذ عوف بن الحارث وهو ابن عَمْرَاء : يا رسول الله ما يُصْحِكُكَ
الرَّبُّ من عبده ؟ فقال غَمَسَ يَدَهُ في المدو حاسرًا افترع درعًا كانت عليه
فقدفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل .

وقاتل عُكَّاشَةُ بنِ مُحِصَنٍ الأَسَدِيُّ حليف بني عبد شمس يوم بدر
بسيفه حتى انقطع في يده ، فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جِدَلًا
من حطاب ، فقال : قَاتِلْ بهذا يا عُكَّاشَةُ فلما أخذه هزّه فعاد في يده سيفًا
طويل القامة شديد المتن أبيض الخديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين
وكان ذلك السيف يُسَمَّى العون ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل في الرِّدَّة وهو عنده ، قتله طليحة
الأَسَدِيُّ^(١) .

[هزيمة الكفار]

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها
قريشًا ثم قال : شامت الوجوه شامت الوجوه . ثم نفخهم بها ثم أمر أصحابه
فقال : شُدُّوا ، فسكانت الهزيمة عليهم .

وجعل الله تلك الحصباء عظيمًا شأنها لم تترك من المشركين رجلًا
إلا ملأت عينه .

واستولى عليهم المسلمون معهم الله وملأته بقتلهم وبأسروهم

(١) ذكر ابن هشام بعد هذا الخبر شعرًا طليحة في ذلك ٦٣٧/٢ .

ويجدون الذفر كل رجل منهم مُنْكَبَّ عَلَى وَجْهِهِ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ ،
يعالج التراب ينزعه من عينيه .

فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأمر من أسر من أشرفهم .

فلما وضع القوم أيديهم بأسرون وسعد بن معاذ قائم على باب العريش
الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشح السيف في نفر من الأنصار
يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوف كَرَّةِ المَدَوِّ عليه^(١) ، رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس ،
فقال له : لَكُنْ أَتَكَرَّرَ مَا يَصْنَعُ الْقَوْمُ ؟ فقال : أَجَلُ وَاللَّهِ
يا رسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فسكان الإثخان
في القتل أحب إلي من استقبال^(٢) الرجال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ لأصحابه : إني قد علمت
أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم أخرجوا كُرْهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن اتقى
ممن أحدكم من بني هاشم فلا يقتله ، ومن اتقى أبا البختري بن هشام فلا يقتله ،
ومن اتقى العباس عم رسول الله فلا يقتله ، فإنه إنما خرج مستكراً . فقال
أبو حذيفة : أقتل آباءنا وأبناءنا وعشيرتنا وترك العباس والله لن وجدته
لأُحِمَّتْهُ^(٣) السيف . فبانت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر بن الخطاب :
يا أبا حفص . قال عمر : والله إنه لأول يوم كُذِّبَ فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأبي حفص . أبخزب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالسيف ؟ فقال عمر : يا رسول الله دَعْنِي فَلَا أُضْرِبُ عُنُقَهُ بِالسَّيْفِ ، فوالله
لقد نافق

(١) ابن هشام : يحاذون عليه كرة المدو .

(٢) ابن هشام : استبقاه .

(٣) أحمله : أحمله .

وكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك السكامة التي نالت يومئذٍ ولا أزال منها خائفاً إلا أن تسكفها غنى الشهادة ، فقتل يومَ اليمامة شهيداً رحمه الله .

وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري لأنه كان أكفَّ القوم عنه بمكة ، وكان لا يؤذيه ولا يباغضه عنه شيء ، بكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب .

فلقبه الجذر بن زياد البلوي حليف الأنصار ، يوم بدر ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك ، ومع أبي البختري زميل له ^(١) خرج معه من مكة ، قال : وزميلي ؟ قال الجذر : لا والله ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك .

قال : إذا والله لأموتن أنا وهو جميعاً ، لا نتحدث عنى إساءة مكة إنى تركت زميلي حرصاً على الحياة وقال :

لن يُسْلِمَ ابنُ حُرَّةٍ زميلَه حتى يموت أو يرى سبيلَه
ثم اقتتلا فقتله الجذر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
والذى بمثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأمر فأتيتك به فأبى إلا أن يقاتلنى ،
فقاتلته فقتلته .

هذا الذى ذكر ابن إسحاق في قتل أبي البختري .

وقال موسى بن عقبة : يزعم ناس أن أبا اليسر قتل أبا البختري وبأبي أعظم الناس إلا أن الجذر هو الذى قتله .

ثم أضرب ابن عقبة عن القولين ، وقال : بل قتله غير شك أبو داود

(١) هو جنادة بن أبيية بنت زهير بن المارث بن أسد ، من بني ليث .

الملازني وسلبه سيفه فكان عدد بنيه حتى باعه بعضهم من بعض بني أبي البختري .

وكان الجذّر قد اشتدّ أن يستأسر ، وأخبره بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله ، فأبى أبو البختري أن يستأسر وشدّ عليه الجذّر بالسيف وطعمه الأنصاري ، يعني أبا داود الملازني ، بين تديبه فأجهز عليه فقتله .

ويومئذ قال الجذّر فيما ذكروا :

إِذَا جَهِلْتَ أَوْ نَسِيتَ نَسِيَّ فَأَثْبِتِ النَّسْبَةَ أُنَى مِنْ بَنِي
الطَّاعِنِينَ بِرِمَاحِ الْبِزْيِ وَالضَّارِبِينَ السَّكْبَشَ حَتَّى يَدْعِي^(١)
بَشْرٌ بَيْتَهُمْ مِنْ أَبَوِهِ الْبَخْتَرِيِّ أَوْ بَشَرَتْ بِبَيْتِهَا مَتَى بَنَى
أَنَا الَّذِي يُقَالُ أَصْلِي مِنْ بَنِي أَطْمَنَ بِالصَّعْدَةِ حَتَّى تَنْذِي^(٢)
وَأَعْبَطَ الْقِرْنَ بِمَنْزَبِ مَشْرِقِي أَرْزَمَ لِلدَّوْتِ كِلَازَامَ التَّيْرِ^(٣)
فَلَا تَرَى مُجَذَّرًا يَقْرَى يَقْرَى^(٤)

وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة ، وكان اسمي عبد عمرو ، فلما أسلمتُ تسميتُ عبدَ الرحمن ، فكان يلقاني فيقول : يا عبد عمرو أَرَأَيْتَ عَنْ اسْمِكَ أَبُوكَ ؟ فَأَقُولُ نَعَمْ . فيقول : فإني^(٥) لا أعرفُ الرحمن ، فأجملُ بيني وبينك شيئاً أدعوك به ،

(١) البزني : النسبة إلى سيف ، بن دي بزن والاكبش : سيد القوم .

(٢) الصعدة : الرمح .

(٣) أعبط : أقتل . والعضب : السيف . والبيزري : السوط إلى المشارف ، وهي قرى بالشام . وأرزم : الحن . والمرى : الناقة التي يستنزل منها على عسر .

(٤) يقري يقري : يهضم مثل صنم : يقال : يقري يقري : يأني بأعجب من عمله .

(٥) ما : كأي .

أَمَا أَنْتِ فَلَا تَجِيبُنِي بِاسْمِكَ الْأَوَّلِ ، وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَدْعُوكَ بِمَا لَا أَعْرِفُ . فَقُلْتَ لَهُ : يَا أَبَا عَلِيٍّ : اجْعَلْ مَا شِئْتَ . قَالَ : فَأَنْتِ عَبْدُ الْإِلَهِ . فَقُلْتَ : نَعَمْ .
حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ مَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ وَقَفْتُ مَعَ ابْنِهِ عَلِيٍّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَمَعِيَ أَدْرَاعٌ لِي قَدْ اسْتَلْبَثْتُهَا فَأَنَا أَحْلَمُهَا ، فَلَمَّا رَأَيْتِي قَالَ : يَا عَبْدُ عَمْرُو . فَلَمْ أَجِبْهُ فَقَالَ : يَا عَبْدَ الْإِلَهِ . فَقُلْتَ : نَعَمْ . قَالَ : هَلْ لَكَ فِيَّ فَأَنَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذِهِ الْأَدْرَاعِ ؟ قُلْتَ : نَعَمْ .

فَطَرَحْتُ الْأَدْرَاعَ مِنْ يَدِي وَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَبَدَأَ بِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ ! مَا لَكُمْ حَاجَةً فِي الْإِبْنِ ؟ يَرِيدُ الْغَدَاةَ .
وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : قَالَ لِي أُمِّي وَأَنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ أَخَذَ بِأَيْدِيهِمَا : مَنْ الرَّجُلُ مِنْكُمْ اللَّعَلَّمُ بِرِيشَةِ نَمَامَةٍ فِي صَدْرِهِ ؟ قَالَتْ : ذَلِكَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . قَالَ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلُ .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَقُودُهُمَا إِذَا رَأَى بِلَالَ ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي يَمُذِّبُهُ بِمَكَّةَ عَلَى تَرْكِ الْإِسْلَامِ ، فَيُخْرِجُهُ إِلَى رَمَضَانَ مَكَّةَ إِذَا تَحَيَّيْتُ فَيَضْجَعُهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ بِأَمْرِ بِالْمُخَيَّرَةِ الْعَظِيمَةِ فَيَتَوَضَّعُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ : لَا تَزَالُ هَكَذَا أَوْ تَفَارِقُ دِينَ مُحَمَّدٍ . فَيَقُولُ بِلَالَ : أَحَدٌ أَحَدٌ . فَلَمَّا رَأَى قَالَ : رَأْسُ الْكَافِرِ أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ لَا نَجْوَتْ إِنْ نَجْوَتْ ، قَالَ : قُلْتُ أَيْ بِلَالَ أَسِيرِي ؟

قَالَ : لَا نَجْوَتْ إِنْ نَجَا . قُلْتَ : أَسْمَعُ يَا بَنَ السُّودَاءِ ؟ قَالَ : لَا نَجْوَتْ إِنْ نَجَا . ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا أَنْصَارَ اللَّهِ ، رَأْسُ الْكَافِرِ أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، لَا نَجْوَتْ إِنْ نَجَا .

فَأَحَاطُوا بِنَا حَتَّى جِئَ لَوْلَانَا فِي مِثْلِ الْمُسْكَةِ^(١) ، وَأَنَا أَذْبُ عَنْهُ ، فَأَحَافَ

(١) اللسكة : الحلقة كالسوار .

رجل السيف فضرب رجل ابنه فوق ، وصاح أمية صبيحة ما سمعت مثلاً قط ،
فقلت : ائج بنفسك ، ولا نجاء به ، فوالله ما أغنى عنك شيئاً ، فهبروها
بأسيا فهم حتى فرغوا منها ، فكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالاً ،
ذهبت أذراعى ونجفى في^(١) أسيرى .

[اللائكة تقابل مع المؤمنين]

وقالت اللائكة يوم بدر . قال ابن عباس : ولم تقابل في يوم سواء ،
وكانوا يكونون فيما سواء من الأيام عدداً أو مدداً لا يضربون ، وكانت
سيام يوم بدر عمام بيضاء ، قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمام حمراء .

وذكر ابن هشام عن علي رضي الله عنه في سيام يوم بدر مثل ما قال
ابن عباس ، إلا جبريل ، فإن في حديث علي أنه كانت عليه عمام صفراء .

وقال ابن عباس : حدثني رجل من غفار قال : أقبلت أنا وابن عمي
حتى أصعدنا في جبل أشرف منه^(٢) على بدر ، ونحن مشركان ، فنظر لمن نكون
الدائرة فنهب مع من يسب : فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا
فيها حجة الخليل ، فسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم . فأما ابن عمي
فأنكشف قناع قلبه فأت مكانه ، وأما أنا فسمعت أهلك ثم نامت .

وقال أبو أسيد الساعدي بعد أن ذهب بعمره ، وكان شهيد بدر :
لو كنت اليوم بيد ومعي بهري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه
اللائكة ، لا أشك ولا أنماري .

وقال أبو داود اللاتني : إني لأنيح رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه
إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فمرفت أنه قد قتله غيري .

• • •

(٢) ابن هشام : يشرف بنا .

(١) ابن هشام : بأسيرى .

[مصرع أبي جهل]

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر بأبي جهل أن يلتبس في القتلى، وقال لهم : انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته ، فإني ازدحمته يوماً أنا وهو على مادية لعبد الله بن جُدعان ونحن فلامان وكنت أشف^(١) منه بيسير ، فدفعته فوق على ركبتيه فجيش^(٢) في إحداهما جحشاً لم يزل أثره به .

وكان من حديث عدو الله يوم بدر أنه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال : اللهم أقطعنا للرحم وآنانا بما لا يعرف فأخذه^(٣) الغداة . فكان هو المستفتح ، وأقبل يرتجز وهو يقول :

ما تنقم الحربُ العوانُ مني بازلُ عامين حديثَ سبي^(٤)
لمثل هذا ولدني أمي

وكان أول من أقيه فيما ذكر مُعاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة ، قال : سميتُ القوم وأبو جهل في مثل المخرجة^(٥) يقولون : أبو الحكم لا يُخلص^(٦) إليه .

فلما سمعتها جعلته من شأني ، فصعدتُ نحوه ، فلما أمكنتني حملت عليه

(١) أشف : أحمل .

(٢) الجحش : سمع الجلد وقشره من شيء بصيبه .

(٣) أخذه : أهلكه .

(٤) العوان : الشديدة . والبازل : الذي خرج نابه من الإبل .

(٥) المخرجة : الشجر اللث . وفي الحديث من عمر بن الخطاب أنه سأل أعراباً

عن المخرجة فقال : هي شجرة لا يوصل إليها .

(٦) ابن هشام : لا يخلص .

فضربته ضربةً أظنّت^(١) قدمه بنصف ساقه ، فضربني ابنة عكرمة على طائي فطرح يدي فتملّقت بحلدةٍ من جمبي ، وأجهضني^(٢) القتال عنه ، فلقد قانتُ عامةً يومى وإني لأسحبها خلفي ، فلما آذنتني وضعت عليها قدمي ثم غطيتُ بها حتى طرحتها . وعاش بعد ذلك معاذٌ هذا رحمه الله ، إلى زمان عثمان رضى الله عنه .

ثم مرّ بأبي جهل ، وهو عقيبر ، معوذ بن عفاء فضربه حتى أثبتته فتركه وبه رمق ، وقاتل معوذ حتى قتل .

فرّ عبدُ الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنماسة في القتلى . قال عبد الله : وقد كان ضبث^(٣) بي مرةً بمكة فأذاني واستكزني ، فوجدته بأحر رمقٍ فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت له : أخزأك الله يا عدو الله ا قال : وماذا أخزاني ؟ أعدد^(٤) من رجل قتلتوه ، أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قلت : لله ولرسوله .

ثم احتززت رأسه ، ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقات : يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل . فقال : الله الذي لا إله غيره ؟ وكانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : نعم ، والله الذي لا إله غيره . ثم أقيمت رأسه بين يديه ، فحمد الله .

وحرج مسلم في صحيحه عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : بيذا أنا واقف في الصف يوم بدرٍ نظرتُ عن يميني وشمالى ، فإذا أنا بين علامين من الأنصار حديثاً أسفاًهما ، فتمنيتُ لو كنت بين أضلع^(٥) منهما فمعرنى أحدهما ،

(١) أظنّت : أطارت .

(٢) أجهضني : هلبى .

(٣) ضبث : قبض عليه ونزله ، قال ضابي بن المارث البرجمي :

فأصبحتُ بما كان بيني وبينكم من الودّ مثل الغائب الماء باليد

(٤) أى ما هو إلا رجل قتله قومه يريد أنه ليس عليه عارٍ ذلك .

(٥) أضلع : أقرى .

فقال : يا عم ، هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم وما حاجتك إليه يا بن أخي ؟ قال : أخبرنا أنه يسبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعرجُ منّا . قال : فتمجّبت لذلك ، فغمزنى الآخر فقال مثلها .

قال : فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجُول في الناس ، فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه .

فابتدراه ، فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه ، فقال : أيكما قتله ؟ فقال كل واحدٍ منهما : أنا قتلتُه . فقال هل مسحتما سيفيكما ؟ قالا لا ، فنظر في السيفين ، فقال : كلاكما قتله . وقضى بسلبه لعاذ بن عمرو بن الجموح . والرجلان : معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ ابن عفراء .

وذكر ابن عُبَيْة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم بدر على القتلى ، فالتبس أبا جهل فلم يجدّه ، حتى عُرِف ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم لا يُعجزَنَّكَ فرعونُ هذه الأمة .

فسعى له الرجال حتى وجده عبد الله بن مسعود مصروعاً ، بينه وبين الحركة غير كبير ، مقنّعاً في الحديد واضعاً سيفه على نَحْذيه ، ليس به جرح ولا يستطيع أن يحرّك منه عضواً ، وهو مكبّ ينظر إلى الأرض ، فلما رآه ابن مسعود طاف حوله ليقتله وهو خائف أن يدوء^(١) إليه ، فلما دنا منه وأبصره لا يتحرك ظنَّ أنه أثبت جراحاً ، فلما أراد أن يضربه بسيفه ، خاف أن لا يفي شيئاً فأناء من وراءه ، فتناول قائم سيف أبي جهل فاستلّه وهو مكبّ لا يتحرك ، ثم رفع ساقه البيضاء البيضاء عن قفاه ، فضربه فوق رأسه بين يديه ، ثم سلّبه ،

(١) ينوء : ينهض بجهد ومشقة .

فلما نظر إليه إذا هو ليس به جراح وأبصر في عنقه حذراً^(١) وفي يديه وكفه
مثل آثار السياط .

وأنى ابنُ مسعود النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بقتله ، والذي رأى به ،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، زعموا : ذلك ضرب الملائكة .

| في القلب |

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتل أن يُطرحوا في القليب فطرحوا
فيه إلا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ في درعه فلأها ، فذهبوا
ليجروه فتزابل ، فأقروه وألقوا عليه ما غييه من التراب والحجارة .

وبقال أنهم لما ألقوا في القليب وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال : يا أهل القليب بنس عشيرة النبي كنتم أنبيكم ، كذبتوني
وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاثلتموني ونصرتني الناس .
يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ، فإني وجدت ما وعدني
ربي حقاً .

فقال له أصحابه : يا رسول الله أتسلك قوماً موتى ؟

فقال لهم : لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق .

والناس يقولون : لقد سمعوا ما قلت لهم ، وإنما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : لقد علموا .

وفي حديث أنس أن المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين
نادى أصحاب القليب : يا رسول الله أتنادى قوماً قد جئفوا . فقال : ما أنتم
بأسمع لما أقول منهم ، ولا كنتم لا يستطيعون أن يجيبوني .

وذكر ابن عتبة نحواً من ذلك عن نافع عن عبد الله بن عمر .

(١) المدر : ورم الجلد وقاطعه من الضرب .

وقال حسان بن ثابت :

عرفت ديارَ زنبَ بالكُثيبِ
كُط الوَحى في الورق القشيب^(١)
تداولها الرياح وكلُّ جَوْنٍ
من الوسمى^(٢) مُنمِرٍ سَكوبٍ^(٣)
فأمسى رثمها خلَقًا وأمست
يَبابًا بعد ساكها الحبيب
فَدَعُ عنك التذَكُّرُ كلُّ يومٍ
ورُدَّ حرارة الصَّدر الكُثيبِ
وخبِرَ بالذي لا عيبَ فيه
بصدقٍ غير أخبار الكُذوبِ
بما صنَّع للمليك غداة بدرٍ
لنا في المشركين من الدبيبِ
غداة كانَ جمهم حِرَّالاً
بَدَتْ أركانهُ جَنَحَ الغروبِ
فلاقَيْنَاهُمُ مِنَّا بجمع
كأسد الغاب مُردانٍ وشيبِ

(١) الكُثيبُ : الرمل المكس . والقشيب : الجديد .
قال السهلي : أراد حسان بالقشيب هنا : الذي خالطه ما يفسده ، إما من دنس وإما
من قدم .
(٢) الجون : الأيئس ، والوصمى : مطر الربيع الأول .

— ٤١ —

أمامَ محمدٍ قد آزروه
على الأعداء في أفتح الحروبِ
بأيديهم صوارمُ مُرهَقات
وكل مجربِ خانلي الكعوب^(١)
بنو الأوس الغطارفِ آزرَتْها^(٢)
بنو العجَّارِ في الدين الصَّليبِ^(٣)
فما أدركنا أبا جهلٍ صريمًا
وغتبه قد تركنا بالجبوبِ^(٤)
وشذبة قد تركنا في رجال
ذوي حَسَبٍ إذا نسبوا حسبِ
بناديرهم رسولُ الله أتما
قدفناهم ككتابٍ في القليبِ^(٥)
ألم نجدوا كلامي كان حقًا
وأمرُ الله يأخذ بالقلوبِ
فما نطقوا ، وأو نطقوا لقالوا
صدقتَ وكنتَ ذا رأيٍ مُصيبِ

* * *

- (١) الصوارم : السيوف البوارق . والمخاض : مكنت الكعوب لويها .
(٢) ابن هشام : وآزرَتْها .
(٣) الصليب : الشديد .
(٤) الجبوب : وجه الأرض .
(٥) كذا ب : جماعات .

ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتقوا في القليب أخذ عتبة ابن ربيعة فسحب إلى القليب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكر ، في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير فقال : يا أبا حذيفة لعلك دخلك من شأن أبيك شيء ؟ أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

قال ^(١) : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في أبي ولا في مضرعه ، ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وحيداً وفضلاً ، فسكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ^(٢) ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ، أحزنتني ذلك .

فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيراً .

[الذين ظلموا أنفسهم]

وكان في قريش فتية أسلموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما هاجر إلى المدينة حبسهم آباؤهم وعشائرم بمكة ، وقتلهم فافتننوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعاً ، فنزل فيهم من القرآن فيما ذكر « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كذبتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ^(٣) » .

وأولئك الفتية : الحارث بن زمة بن الأسود ، وأبو قيس بن الفاركة وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلي بن أمية بن خلف ، والمعاص بن مغيبة ابن الحجاج .

(١) ابن هشام : فقام .

(٢) ابن هشام : إلى الإسلام .

(٤) سورة النساء ٩٧ .

[قصة الغنائم]

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما في العسكر مما جمع للناس فجمع .

فاختلف فيه المسلمون ، فقال من جمعه : هو لنا . وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه : والله أولانا نحن ما أصبتموه ، لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم .

وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم بخافة أن يخالف إليه العدو :

والله ما أنتم بأحق به منا ، لقد رأينا أن تقتل العدو إذا فتحنا الله أكتافهم^(١) ، ولقد رأينا أن نأخذ المتساع حين لم يكن دونه من يحميه ، ولكننا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كربة للعدو فقمنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا .

فكان عبادة بن الصامت إذا سُئل عن الأنفال ، قال : فيما معاشر أصحاب بدر أنزلت حين اختلافنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمه بيننا على بؤاه .
يقول : على السواء .

فكان في ذلك تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله ، وصلاح ذات البين .

[بشير النضر]

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رزاعة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل

(١) ابن هشام : أكتافه .

للسافلة ، قال أسامة بن زيد : فأنا الخبرُ - حين سويها على رُقِيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خافئ عليها مع زوجها عثمان - أن زيد بن حارثة قد قديم .

قال : فجنَّته وهو واقف بالمصلَّى وقد غشيه الناس وهو يقول : قتل عتبة ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام ، وزُمنة بن الأسود ، وأبو البختري بن هشام ، وأمّية بن خلف ، ونُبَيْهَة ومُنْبِهَة ابنا الحجاج . قلت : يا أبتِ أحقُّ هذا ؟ قال : نعم يا بني ^(١) .

[رجوع الرسول إلى المدينة]

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين ، وفيهم عتبة بن أبي مُعَيْط والنُّعْمر بن الحارث ، حتى إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مَضِيقِ الصَّفراء ، نزل على كَثِيب يقال له سَيْرٌ إلى سَرْحَة به ، ففَسَمَ هَذَاكَ الذَّمْلَ الَّذِي أَفَاءَ اللهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ من المشركين على السواء .

ثم ارتحل حتى إذا كان بالرَّوْحاء ، لقيه المسلمون يهتفون به بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش : ما الذى تهتفون بها ؟ فوالله إن أقمينا إلاَّ بمجائز صلَّمَّا كالأبدنِ المعقَّلة فنحرمها . فنبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أى ابنِ أخى ؟ أو أملك الله ^(٢) .

حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء ، قُتِلَ النُّعْمر ابن الحارث ، قتله علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، ثم خرج حتى إذا كان

(١) ابن هشام : نعم والله يا بني .

(٢) اللأ : الأشراف والرؤساء .

بمَرِّق الظَّهْبِيَّة ، قُتِلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ عُقْبَةُ حِينَ أُمِرَ بِقَتْلِهِ : فَن
لِلصَّبِيَّةِ يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ : النَّارُ !

فَقَتْلُهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بْنِ أَبِي الْأَفْلَحِ ، فِي قَوْلِ ابْنِ عُقْبَةَ وَابْنِ إِسْحَاقَ .
وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ ^(١) : قَتَلَهُ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَتْ قَتِيلَةُ أُخْتِ النَّضْرِ ^(٢) بْنِ الْحَرْثِ لَمَّا بَلَغَهَا مَقْتُلُ أَخِيهَا :

يَا رَاكِبًا إِنِّ الْأَثِيلَ ^(٣) مَطْلَعَةٌ

مِنْ صُنْبُعٍ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ

أَبْلَغُ بِهَا مَيِّتًا بِأَنْ نَحْيَةَ

مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا الرِّكَابُ تَخْفُقُ

مَنْى إِلَيْكَ وَعَظِيرَةٌ مَسْفُوحَةٌ

جَادَتْ بِوَاكِفِهَا وَأُخْرَى تَخْفُقُ ^(٤)

هَلْ بِسَمْعِي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ

أَمْ سَتَيْفٌ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ

أَعْمَدُ يَا حَيْرُ ضَرْبِ كَرِيمَةٍ

فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَتَحْلُ مَعْرِقُ ^(٥)

(١) ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ ثُمَّ قَالَ : وَيَمَالُ : قَتَلَهُ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَيَا دُرَّ لُ
ابْنَ هِشَامٍ الرَّهْرِيَّ وَعَبْدَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ .

(٢) قَالَ السَّهْبِيُّ : الصَّحِيحُ أَنَّهَا بِنْتُ النَّضْرِ لَا أُخْتُهُ ، لِذَلِكَ قَالَ الزَّيْبِيُّ وَغَيْرُهُ ، وَكَذَلِكَ
وَقَعَ فِي كِتَابِ الْفَلَاحِ : انْزَوْسُ ٢ / ١١٩ .

(٣) الْأَثِيلُ : مَوْضِعُ بَيْنِ بَدْرٍ وَوَادِي الصَّفَاءِ .

(٤) الْوَاكِفُ : الْمَهْمَرُ . وَفِي سِيرَةِ ابْنِ كَثِيرٍ ٢ / ٤٧٤ : بِوَاكِفِهَا .

(٥) الضَّنْءُ : الْأَصْلُ . وَرَوَى : صَيْ : وَهُوَ الْأَصْلُ وَالْوَالِدُ . وَالْمَعْرِقُ : الْمَرِيضُ الْكَرِيمُ .

— ٤٦ —

ما كان ضَرَكُ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبِّمَا
 مَنُ الْفَتَى وَهُوَ الْمَنِيظُ الْحَقُّ
 وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مِنْ أَسْرَتِ قَرَابَةِ
 وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِثْقُ يُعْتَقُ
 ظَلَّتْ سَيْوْفُ بَنِي آيَةَ تَنَوُّشُهُ
 اللَّهُ أَرْحَمُ هَذَاكَ تَشَقُّقُ ا

قال ابن هشام : فيقال والله أعلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لما بلغه هذا الشعر قال : لو بلغني هذا الشعر قبل مقتله ، لمنتُ عليه .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدِمَ للمدينة قبل الأسارى بيوم ،
 وقد كان فرقتهم بين أصحابه ، وقال : استوصوا بالأسارى خيراً .

وكان أبو عزيز بن عمير أخو مُصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى ،
 قال : وكنتُ في رهطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بدرٍ وكانوا إذا قدّموا
 غداهم وعشاءهم خصّوني بالخبز ، وأكلوا النمر ، أوصية رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لإيام بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كِسرةٌ من الخبز إلا نفّحني
 بها ، قال : فَأَسْتَحْيَ فَأَرُدُّهَا عَلَيْهِ فِيرُدُّهَا عَلَيَّ مَا يَسْتَمُ ا

قال : ومرّ بي أخى مُصعبٌ ورجلٌ من الأنصار يأسرني ، فقال له :
 شدّ يدك به ، فإن أمّه ذات متاعٍ لعلمها تقدّبه منك فقال له أبو عزيز - فيما
 ذكر ابن هشام - يا أخى هذه وصانك بي ا فقال له مصعب : إنه أخى
 دونك ، فسألت أمّه عن أغلَى ما قُدِّىَ به قرشيّ ، فقيل لها : أربعة آلاف
 درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم فقصدته بها .

* * *

وذكر قاسم بن ثابت في دلائله ، أن قريشاً لما توجهت إلى بدر مرّ
هاتف من الجن على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون وهو ينشد بأبعد
صوت ولا يرى شخصه :

أَزَارَ الحَنَفِيَّيْنَ بَدْرًا وَفَيْعَةً
سَيَقْنُضُ مِنْهَا رَكْنُ كِشْرَى وَفَيْعَرَا
أَبَادَتِ رَجَالًا مِنْ لُؤَيٍّ وَأَبْرَزَتْ
خَرَائِدَ بَضْرَيْنَ التَّرَائِبِ حُسْرَا
فِيَا وَبَحْ مِنْ أُمَيٍّ عَدُوِّ مُحَمَّدٍ
أَقْدَ حَادَّ عَنْ قَعْدِ الْهَدْيِ وَنَحِيرَا

فقال قائلهم : من الحنفيّون ؟ فقالوا : هو محمدٌ وأصحابه ، يزعمون أنهم
على دين إبراهيم الحنيف ، ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين^(١) .
وكان أول من قديم مكة بمصاب قريش : الحنيمان بن عبد الله الخزاعي .
فقاتلوا ما وراك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم
ابن هشام وأمية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، ونبيه ومُقبه ابنا الحجاج ،
وأبو البختري بن هشام ، فلما جعل يمدد أشراف قريش ، قال صفوان
ابن أمية وهو قاعد في الحِجْرِ والله إنَّ يَمُقِلَ هذا ، فسأله عنى . قالوا :
ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : ها هو ذلك جالس في الحِجْرِ ، وقد والله
رايت أباه وأخاه حين قُتلا .

[موت أبي لهب]

وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعباس
ابن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباسُ ،

وَأُمُّ الْفَضْل ، وَأَسْلَمْتُ ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ يُهَابُ قَوْمَهُ ، وَيَكْرِهُ خِلَافَتَهُمْ ، فَسَكَانَ
يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ ، وَكَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ مَتَفَرِّقٍ فِي قَوْمِهِ ، وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ قَدْ تَخَافُفَ
عَنْ بَدْرِ فَلَمَّا جَاءَهُ الْخَبَرُ عَنْ مَصَابِ أَصْحَابِ بَدْرِ مِنْ قَرِيشٍ كَيْفَهُ اللَّهُ وَأَخْزَاهُ ،
وَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا قُوَّةَ وَعِزَّةً ، وَكُنْتُ أَعْمَلُ الْأَفْدَاحَ فِي حُجْرَةٍ زَمَزَمَ ،
فَوَاللَّهِ إِنِّي لَجَالِسٌ فِيهَا أَنْتَحْتُ أَفْدَاحِي وَعَلَيْدِي أُمُّ الْفَضْلُ جَالِسَةٌ ، وَقَدْ سَرَرْنَا
مَا جَاءَنَا مِنَ الْخَبَرِ ، إِذَا أَقْبَلَ أَبُو لَهَبٍ يَمْجُرُ رَجُلِيهِ بِشَرِّهِ حَتَّى جَالَسَ إِلَى
طُنْبٍ^(١) الْحِجْرَةَ ظَهَرَهُ إِلَى ظَهْرِي .

فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ إِذَا قَالَ النَّاسُ : هَذَا أَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
قَدْ قَدِمَ . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ هَلُمَّ إِلَيْهِ فَعَمِدَهُ أَمْرِي الْخَبَرُ ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ النَّاسُ قِيَامَ
عَلَيْهِ ، فَقَالَ يَا بَنَ أَخِي أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَ أَمْرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ
إِلَّا أَنْ لَقِينَا الْقَوْمَ فَمَجَّعْنَاهُمْ أَكَيْفَانَا يَقْتُلُونَنَا^(٢) كَيْفَ شَاءُوا وَيَأْمُرُونَنَا كَيْفَ
شَاءُوا وَأَيْمُ اللَّهِ مَعَ ذَلِكَ مَا لُمْتُ النَّاسَ ، أَلَقَيْنَا رَجَالًا بَيْضَةً هَلَى خَيْلٍ بَلَقَى
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهِ مَا تَلَيَّقَ^(٣) شَيْئًا ، وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ .

قَالَ أَبُو رَافِعٍ : فَرَفَعْتُ طُنْبَ الْحِجْرَةِ بِيَدِي ثُمَّ قَاتَ : تِلْكَ وَاللَّهِ
لِلْمَلَأْسِكَةِ أَفْرَعَ أَبُو لَهَبٍ يَدَهُ فَضْرَبَ وَجْهِي ضَرْبَةً شَدِيدَةً ، وَتَأَوَّرْتُهُ فَاحْتَمَلَنِي
وَضْرَبَ بِي الْأَرْضَ ، ثُمَّ بَرَكَ عَلَيَّ فَضْرَبَنِي وَكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا ، فَقَامَتِ
أُمُّ الْفَضْلِ إِلَى عَمُودٍ مِنْ عُمُدِ الْحِجْرَةِ فَضْرَبَتْهُ بِهِ ضَرْبَةً فَاقْتَتَ^(٤) فِي رَأْسِهِ شَجَّةً

(١) الطنب : جبل طويل يشد به بسراقد البيت أو الوند . والله يريد : الطارب .

(٢) ابن هشام : يقدوننا كيف شاءوا . ومأهنا أصبح وأوضح .

(٣) ماتليق : ماتبقى .

(٤) فلقط : كذا بالأصل ، والطبري ١٣٣٠ ط أوربا و ابن هشام : فامت .

ومعناها : شقت .

منكرة . وقالت : استضعفه^(١) أن غاب عنه سيده ا فقام مولياً ذليلاً ،
فوالله ما غاب إلا سبع ايالٍ حتى رماه الله بالمدسة فقتله .
وذكر محمد بن جرير الطبري في تاريخه أن المدسة قرحة كانت العرب
تشام بها ويرؤن أنها تمدي أشد المدوى .

فلما أصابت أبا لمب تباعد عنه بدوه ، وبقي بعد موته ثلاثاً لا تقرب
جنازته ، ولا يحاول دفنه ، فلما خافوا الشبهة في تركه حفروا له ثم دفعوه يعوّد
في حفرته ، وقذفوه بالحجارة من بعيد ، حتى وارؤه^(٢) .

وقال ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه : إنهم لم يحفروا
له ولكن أسندوه إلى حائطٍ وقذفوا عليه الحجارة من خلف الحائط ،
حتى وارؤه .

ويروى أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا مرّت بموضعه ذلك غطت
وجهها .

وخرج البخاري في صحيحه أن أبا لمب رآه بعض أهل في المنام بشراً خبيثاً ،
أى حالة ، فقال : ما لقيتُ بمدكم راحةً ، غير أنني سُقيت في مثل هذه - وأشار
إلى النقرة بين السجاية والإبهام - بميتقى ثوبية .

وثوبية هذه أَرْضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَرْضعت عمه حمزة
وأبا سلمة بن عبد الأسد .

وروى غير البخاري أن الذي رأى أبا لمب من أهله هو أخوه العباس ،
قال : فسكنتُ حولاً بعد موت أبي لمب لا أراه في نوم ، ثم رأته في شر

(١) ابن هشام : استضعفته وما هنا موافق لرواية الطبري في تاريخه .

(٢) تاريخ الطبري ١٣٣٠ ط أوروبا .

(م ، الاكتفاء ج ٢)

حال ، فقال : ما لقيتُ بعدكم راحة ، إلا أن العذاب يُخَفَّفُ عَنِّي كُلَّ يومٍ اثنين .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ، فبُشِّرَتْ أبا لهب بمولده ثُوَيْبَةَ مولاته فقالت له : أشعرت أن آمنة ولدت غلاماً لأحيك عبد الله ؟ فقال لها : اذهبي فأنت حرّة ، فنفعه ذلك وهو في النار ، كما نفع أخاه أبا طالب ذبّه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتهاده في مدحه ونصرته ، فهو أهونُ أهل النار عذاباً .

وفعل الله ما يشاء مما يطابق سابق تقديره ، وقد قضى الله سبحانه إحباط عمل الكافرين ، فبحال أن يقيم لهم يوم القيامة وزناً ، أو يدالوا عنده بشيء قدموه مما يتصور بصورة الأعمال الصالحة نبيّاً ، إلا أنه رباً جعل التفاوت بين جاهلهم وبين من شاء منهم بمقدار العذاب ، فيضاعفه على قوم أضاعوا ، ويضع من شدّة أيّده عن آخرين تخفيفاً .

وكل عذاب الله شديد ، فلهوذا برضا مولانا الكريم من سخطه ، وبمغافاته من عقوبته .

[قریش تبکی قتلها]

وحدّث محمد بن إسحاق بن يسار عن يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد ابن عبد الله بن الزبير ، قال : ناحت قریش على قتلامهم ، ثم قالوا : لا تمحلوا فيبلغ محمد وأصحابه فيشمتوا^(١) بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأوا بهم لا يتأرب^(٢) عليكم محمد وأصحابه في القداء .

قال : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمنة وعقيل

(١) الطبرى : فيشت .

(٢) يتأرب : يتشدّد وينلو .

ابناءه ، والحارث بن زمة وهو ابن ابيه ، وكان يحب أن يبكي عليهم ، فسمع
نائحة من الليل فقال لأملاك له وقد ذهب بصره ، انظر هل أحلّ النعيب ؟ هل
بكت قريش على قتلاها ؟ ألملى أبكى على أبي حكيمه يعني زمة ، فإن جوف
قد احترق !

فلما رجع إليه الغلام ، قال : إنما هي امرأة تبكى على بعير لها أضلته .
قال : فذاك حين يقول الأسود :

أتبكي أن يَخِلَّ لِمَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ الذَّوْمِ السُّهْدُ
فلا تبكى على بَكْرٍ ولكن على بَذْرِ تَقَاعَرَتِ الْجُدُودُ
في أبيات ذكرها ابن إسحاق .

وقد تقدم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأسود بن عبد المطلب
هذا بأن يُعْمَى الله بهمه وبشكله ولده ، فاستجيب له وفق دعائه ، سبق
العمى أولاً إلى بصره ، ثم أصيب يوم بدر بمن سُمِّيَ آنفاً من ولده ، فقامت
إجابة الله سبحانه رسوله فيه .

وكان في الأسارى أبو ذؤاعة السهمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : إن له عكة ابدأ أيّساً تاجرأ ذا مال ، وكأسكم به قد جاءكم في طلب
فداء أبيه فلما قالت قريش : لا تمجلو بفداء أسراكم لا يتأرب عايكم محمد
وأصحابه ، قال المطلب بن أبي ذؤاعة ، وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم عني : صدقتم لا تمجلوا . وانسل من الليل فقدم المدينة وأخذ أباه
بأربعة آلاف درهم .

ثم بعثت قريش في فداء الأسارى ، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في

فداء سهيل بن عمرو وكان الذي أسره مالك بن النخشم أخو بني سالم بن عوف ،
فلما قالوا لم فيه مكرزواته إلى رضاهم قالوا : هات الذي لنا ، قال : اجمعوا
رجلي مكان رجله ، واخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . فخلوا سبيل
سهيل ، وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم ، فقال مكرز :

فَدَيْتُ بِأَذْوَادِ ثَمَانِ سِبَا فَتَى
بِقَالِ الصِّمِّ غُرْمُهَا لَا التَّوَالِيَا
رَهْنَتْ يَدِي وَاللَّالُ أَيْسَرُ مِنْ يَدِي
مَلَى وَلَكِنِّي خَشِيتُ الْخَزَابَا
وَقَلْتُ سُهَيْلٌ خَيْرُنَا فَاذْهَبُوا بِهِ
لَأُبْقَانَسَا حَتَّى نَذِيرَ الْأَمَانِيَا

وكان سهيل قد قام في قريش خطيباً عندما استفزهم أبو سفيان ،
فقال : يا ثعلبة أثاركون أنتم عمداً والعصبة من أهل يثرب يأخذون عيرانكم
وأموالكم ، من أراد مالا فهدأ مالي ، ومن أراد قوة فهذه قوة .

فَبُرِّوْا أَنْ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أُسِيرَ سُهَيْلٌ يَوْمَ بَدْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ انْزِعْ^(١) تَنَبَّيْتُ سُهَيْلُ بْنُ
عَمْرٍو يَدْلُعُ^(٢) لِسَانَهُ ، فَلَا يَقُومُ عَلَيْكَ خُطْبِيَا فِي مَوْطِنٍ أَبَدًا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا أُثْبِلُ بِهِ ، فَيُمَثِّلُ اللَّهُ بِي ، وَإِنْ
كَفَتُ نَبِيًّا إِنْهُ عَمَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا لَا تَذْمُهُ .

(١) الطبري : انزع . ول ابن هشام : دعني انزع .

(٢) يدلغ : يخرج .

فصدق اللهُ رسولَه ، وكان اسمُهِل بعد وفاته صلى الله عليه وسلم في تثبيت أهل مكة على الإيمان مقام سيّاني ذكر حديثه في موضعه إن شاء الله .

وكان عمرو بن أبي سفيان بن حرب^(١) أسيراً في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسارى بدر ، فقبل لأبي سفيان بن حرب : فِدَ عمراً ابناً . فقال : أجمع على دَبي ومالي ، قتلوا حفلة وأفدى عمراً ؛ دعوه في أيديهم يسكونه ما بدا لهم ا

فبَينا هو كذلك محبوس بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ خرج سعدُ بن النعمان بن أكل أخو بني عمرو بن عوف معتمراً ، ومعه مَريّة^(٢) له ، وكان شيخاً مسلماً في غنم له بالبقيع ، فخرج من هناك معتمراً ولا يخشى الذي صُنع به ، لم يظن أن يُحبس بمكة ، إنما جاء معتمراً وقد كان عهد قريشاً لا يعرّضون لأحد^(٣) جاء حاكباً أو معتمراً إلاّ بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابه عمرو . ثم قال أبو سفيان :

أَرْهَطَ ابْنِ أَكَلٍ أَجِيبُوا دَعَاءَهُ

تَعَاذُكُمْ لَا تُسَلِّمُوا السَّيِّدَ السَّكْبَلَا

فَإِنْ بَنَى عَمْرٍو إِيَّامًا أَذَلَّةً

لَئِنْ لَمْ يَفْسَكُوا عَنْ أَسِيرِهِ السَّكْبَلَا

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

(١) في ابن هشام والطبري وكان لابنة عقبة بن أبي معيط .

(٢) مريّة : تصغير امرأة .

(٣) الطبري : لا تعترض لأحد .

لو كان سعدٌ يوم مكة مُطلقاً
لأكثرَ فيكم قبل أن يُوسرَ القتلاً
بعضِ حُسامٍ أو بصفرَاءِ نَبْعةٍ
نحن إذا ما أُنْبِضتْ تَحْمِزُ النَبْلاءِ^(٢)

ومشى بنو عمرو بن عوفٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره ، وسأله أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان ، فيفكوا به صاحبهم ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به إلى أبي سفيان ، ففك سبيل سعد .
وكان في الأسارى أيضاً أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته زينب ، وكان صلى الله عليه وسلم يثني عليه في صهره خيراً ، وكان من رجال مكة المدودين مالا وأمانةً وتجارة ، وهو ابن أخت خديجة رضى الله عنها وهى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي أن يزوجه ، وكان لا يخالفها ، فزوجه ، وكانت تعدُّ بمنزلة ولدها .

فلما أكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بنبوته ، آمنت به خديجة وبذاته ، فصَدَّقَتْهُ وَدِنَ بَدِينَهُ ، وشهدن أن الذى جاء به هو الحق ، وثبت أبو العاص على شركه .

فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً بأمر الله تبارك وتعالى وبالعداوة ، قالوا : إنكم فرغتم محمداً من همه ، فردوا عليه بذاته فاشغلوه بهن . فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له : فارق صاحبك ونحن نزوجك أى امرأة شئت . قال : لا ها الله ، إذا لا أفارق صاحبتى ، وما أحب أن لى بها امرأة من قريش .

(٢) النبع : شجر القسي والسهم . وأنبضت : حركت . وتحمز : تغلب .

ثم مشوا إلى عتبة بن أبي لهب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجته رقية وأخاه أم كلثوم، فقالوا له طلق ابنة محمد ونحن نكحك أى امرأة من قريش شئت، فقال: إن زوجتوني ابنة أبان بن سميد بن العاص، أو ابنة سميد بن العاص فارقتهما. فزوجوه بنت سميد بن العاص وفارقها، ولم يكن دخل بها فأخرجها الله من يده كرامة أمها وهوانا له. وخلف عليها عثمان ابن عفان بعده.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُحَلِّ بِمَكَّةَ وَلَا بِمَحْرَمٍ، مغلوباً على أمره، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب ابنته وبين أبي العاص، إلا أنه كان لا يقدر أن يفرق بينهما، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلما سارت قريش إلى بدرٍ سار فيهم أبو العاص فأصيب في الأسارى، فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص بمالٍ وبعثت فيه بقلادة لما كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقّة شديدة، وقال: إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها، وتردّوا عليها الذي لها فافعلوا. قالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه وردوا عليها مالها.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه أن يُحَلِّي سَبِيلَ زَيْنَبَ إِيَّاهُ، وعده أبو العاص بذلك، أو شرطه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطلاقه، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم خيماً ما هو.

إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخطى سبيله، بعث رسول الله صلى الله

عليه وسلم مكانه زيد بن حارثة ، ورجلا من الأنصار ، فقال كونا ببطن
يا أبا جح حتى تمر بكما زينب فتصحبها ، حتى تأتيا بيها . فخرجا وذلك بعد
بدر بشهر أو جمعة ، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالأحوق بأبيها ، فخرجت
تجهز .

قالت زينب : بيئنا أنا أنجهز بمكة لقيتني هند ابنة عتبة ، فقالت : يا ابنة
محمد ألم يبلغني أنك تريدن اللحاق بأبيك ؟ قلت : ما أردت ذلك . قالت :
أي ابنة عم لا تفعل ، إن كانت لك حاجة بمقاع مما يرفق بك في سفرك
أو مال تبغين به إلى أبيك ، فإن عندي حاجتك ، فلا تضطغي مني ^(١)
فإنه لا يدخل بين النساء ما [يدخل] ^(٢) بين الرجال . قالت زينب : فوالله
ما أراها قالت ذلك إلا لئلا فعل ، واسكني خفيها فأنسكرت أن أكون أريد
ذلك ، ونجهزت .

ولما فرغت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قدم إليها
كيدانة بن الربيع أخو زوجها بديراً فركبته ، وأخذ قوسه وكمانته ثم خرج
بها نهاراً يقودها وهي في هودج لها ، ونحدث بذلك رجال قريش ، فخرجوا
في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، فسكان أول من سبق إليها هبار بن
الأسود القهري ، فرواها هبار بالرمح وهي في هودج لها ، وكانت حاملاً
فيما يزعمون ، فلما ريمت طرحت ذا بطنها ، وبزك حوها كيدانة ونثر كيدانته
ثم قال : والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً . فتنكرت
الناس عنه ، وأتى أبو سفيان بن حرب في جيلة من قريش فقال : أيها الرجل
كف عفا نبك حتى نكلمك . فأكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف

(١) اضططى : تستحي أو تتعقبى . ون العبرى : اضططى بالهمز على الأصل .

(٢) من العبرى .

عليه ، فقال : إنك لم تُصِيبْ ، خرجتَ بالمرأة على رؤوس الناس علانيةً ، وقد عرفتَ مُصِيبَتَنَا ونَكِبَتَنَا ، وما دخل علينا من محمد ، فيفان الناسُ إذا خرجتُ إليه ابتغته علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذلِّ أصابنا عن مصيبتنا التي كانت ، وأن ذلك منا ضعفٌ ووهنٌ ، لعمرى ! ما لنا بتجسسها عن أبيها من حاجة ، وما لنا في ذلك من ثورة ، ولكن أُرْجِعِ المرأة ، حتى إذا هذات الأصوات وتحدث الناسُ أن قد ردَدْنَاهَا ، فسَلَّمَهَا سرّاً والحَقُّها بأبيها . ففعل ، فأقامت آيالي حتى إذا هذات الأصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدمها بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتهم عند بنت عتبة فقالت لهم :
أى السِّلْمِ أَعْيَارٌ جَفَاءٌ وَغِلْظَةٌ

وفي الحرب أشباهُ للنساء العوارك^(١)

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سريةً بعثها بتعريق هُبَّار بن الأسود والرجل الذي سبق معه إلى زينب إن ظفروا بهما ، ثم بعث إليهم فقال : إني كدت قد أمرتكم بتعريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيتُ أنه لا ينبغي أن يمدَّبَ بالدار إلا الله عز وجل ، فإن ظفرتُم بهما فاقتلوهما .

[إسلام أبي العاص]

وأقام أبو العاص بمكة وأقامت زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرَّقَ بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى

(١) الأعيار : جمع عير ، وهو الحمار . والعوارك : الميئس .

الشام ، وكان رجلاً مأموناً ، بمال له وأموالٍ لرجال من قريش أبغضوها^(١) معه ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابوا ماعه وأعجزهم هارباً ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار بها فأجارتها ، وجاء في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح فكبر وكبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء : أيها الناس : إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال : أيها الناس هل سمعتم ما سمعتم ؟ قالوا : نعم . قال : أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعتم ما سمعتم ، إنه يجير على المسلمين أذنهم .

ثم انصرف ، فدخل على ابنته فقَالَ : أي بنتية أكرمي مشوا ولا يخلصن إليك ، فإنك لا تجلين له . وبعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحمسوا وتردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو قىء الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحق به . قالوا : يا رسول الله بل نردّه نأيه ، فردوه عليه ، حتى إن الرجل ليأتى بالدلو ويأني بالشفة والإداوة ، حتى إن الرجل آتاني بالشظاظ^(٢) حتى ردوا عليه ماله بأشره لا يفقد منه شيئاً ، ثم احتمل إلى مكة فأدّى إلى كل ذى مالٍ من قريش ماله ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقي لأحدٍ منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفياً كريماً . قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ،

(١) ط : انضموها

(٢) الشنة : القرية الخلق . والمظاظ : خشبة عفاء تجعل في عروقي الجرافيق .

وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفُ
أن تظلموا أني إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغتُ
منها ، أسلمتُ . ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحكى ابن هشام عن أبي عبيدة ، أن الماص لما قدم من الشام ومعه
أموال المشركين قيل له : هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال ، فإنها
للمشركين ؟ فقال : بئس ما أبداً به إسلامي أن أخون أمانتي !
[أمر أبي عزة]

ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفرٍ من الأسارى من قريش بغير
فداء ، منهم أبو عزة عمرو بن عبد الله الجعفي ، كان محتاجاً ذابداً ، فكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : لقد عرفتُ مالي من مالٍ
وإني لندو حاجة وذو عيالٍ قائمٌ عليَّ . فمَن عايه رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم وأخذ عليه أن لا يظهرَ عليه أحدًا ، فقال أبو عزة في ذلك يمدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر فضله على قومه :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّدًا
بِأَنَّكَ حَقٌّ وَلِلَّيْكَ تَحِيَّاتُ
بِأَنَّكَ^(١) أَمْرٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى
عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدُ
فَإِنَّكَ مِنْ حَارِبِهِ أَمَّارٌ
شَقِيٌّ وَمَنْ سَأَلَتْهُ أَمِيدُ
فَأَنْتَ أَمْرٌ نُوْتَتْ فِيْنَا مَبَآءُ
لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصَعُودُ

ولسكن إذا ذُكِرْتُ بِدَرَا وَأَهْلَهُ تَأَوَّبَ مَا بَى حَسَنَةً وَقَعُودُ
وذكر موسى بن عُقْبَةَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ جَهِدُوا عَلَى أَبِي عَزَّةَ هَذَا عِنْدَمَا أُسِرَ بِدْرُ
قَالَ : لَا حَتَّى أَضْرِبَ فِي الْخَزْرَجِيَّةِ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ .

وَمَا وَقَعَ فِي شِعْرِهِ وَمَحَاوَرَتِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَقْتَضِي
الْتِمَاضِ بِرِسَالَتِهِ فَلَا أَعْلَمُ لَهُ مَخْرَجًا ، إِنْ صَحَّ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ جَهْلِهِ
مَا قَصَدَ بِهِ أَبُو عَزَّةَ أَنْ يَخْدَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَادَ عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ
مَا اتَّعَمَّرَ ، وَلَمْ يَخْدَعْ إِلَّا نَفْسَهُ وَمَا شَعَرَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَخَذَتْ قُرَيْشٌ قَبْلَ أَحَدٍ
فِي الْإِعْدَادِ لِلْحَرْبِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَبًا بِثَارِهِمْ فِي يَوْمٍ بَدَرَ قَالَ
صَفْوَانُ بْنُ أُمِيَّةَ لِأَبِي عَزَّةَ هَذَا : يَا أَبَا عَزَّةَ إِنَّكَ امْرُؤُ شَاعِرٌ ، فَأَعِنَّا بِلِسَانِكَ ،
فَاخْرُجْ مَعَنَا . فَقَالَ : إِنْ سَمَّيْتُكَ قَدَمًا عَلَى فُلَا أُرِيدُ أَنْ أَظْهَرَ عَلَيْهِ . قَالَ :
بَلَى ، فَأَعِنَّا بِنَفْسِكَ ، فَلَكَ اللَّهُ عَلَى إِنْ رَجَعْتَ أَنْ أُعِيدَكَ ، وَإِنْ أَصَبْتَ
أَنْ أَجْعَلَ بِثَانِكَ مَعَ بَثَانِي ، يُصِيبُهُنَّ مَا أَصَابَهُنَّ مِنْ عَزَّةٍ وَيُسِرُّ . فَخَرَجَ
أَبُو عَزَّةَ يَسِيرُ فِي تَهَامَةٍ وَيَدْعُو بَنِي كَدَانَةَ وَيَقُولُ :

أَيَا بَنِي عَبْدِ مَنَاةَ الرِّزَامُ^(١) أَنْتُمْ حُجَّاتُ وَأَبُوكُمْ حَامٍ
لَا تَعْتَمِدُونِي تَضُرُّكُمْ بَعْدَ الْعَامِ لَا تُسَلُّونِي لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ

نَمَّ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ يَوْمَ أَحَدٍ مَا كَانَ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بَعْدَ الْوَقْعَةِ مُرْهَبًا لِعَدُوِّهِ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى حِمْرَاءِ الْأَسَدِ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِهَةِ ذَلِكَ أَبَا عَزَّةَ الْجَنْحِي ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَمْ يَأْنِي
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَاللَّهِ لَا تَمْسَحُ عَارِضِيكَ بِمَكَّةَ ، تَقُولُ :
خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ ! أَضْرِبْ عُنُقَهُ يَا زَيْبِر » . فَضَرَبَ عُنُقَهُ .

وَذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ فِيمَا بَلَغَهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) الرِّزَامُ : الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الصَّعْبُ .

عليه وسلم قال له : « إن المؤمن لا يُلْدَغ من جُحْرٍ صرّتين ، اضرب عنقه ، يا عاصم بن ثابت » فاضرب عنقه .

[إسلام عمير بن وهب]

وكان عُمر بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، ومن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة ويَلْقُون منه مَنَةً ، وكان ابنه وَهْب بن عمير في أسارى بدر ، فجلس عمير مع صفوان بن أمية في الجُحْر بعد مُصَاب أهل بدر ببسير ، فذكر أصحاب القَلْبِيب ومُصَابهم ، فقال له صفوان : فوالله إن في العيش خيرٌ بعدكم . فقال له عمير : صدقت والله ، أما والله لولا ديني هلّ ليس له عدو قِصَالاً وعِيَالاً أخشى عليهم العُنِيمة بعدى لركبتُ إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة^(١) ، ابني أسير في أيديهم . فاغتنمها صفوان فقال : هلّ دَبْنُكَ أنا أفضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أو أسبهم ما بقوا لا يسمي شيء وبمَنَجِرٍ عنهم ، قال عمير : فاكنتم عتي^(٢) شأني وشأنك ، قال : أفعل . ثم أسرا عمير بسيفه فشدّه ونُصِمَ ، ثم انطلق حتى قدم المدينة . فتبئدا عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدرٍ وبذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عُمر بن وهب حين أُنَاخ على باب المسجد متوشحاً السيف ، فقال : هذا لا يكذب عدو الله عُمر بن وهب ما جاء إلا لشر ، وهذا الذي حرّش ببئنا وحزراً^(٣) للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب ، قد جاء متوشحاً سيفه . قال : فأذله علي . فأقبل

(١) العلة : قباهم علة .

(٢) الطبرى : على .

(٣) حزراً : قدر عددنا .

عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلجّبه بها^(١) وقال لرجال من الأنصار كانوا معه : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحذروا عليه هذا الخبيث فإنه غير مأمون . ثم دخل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قال : أرسله يا عمر ، أذن يا عمير . فدنا ثم قال : أنتموا صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة » . قال : أما والله إن كنت بها يا محمد لحديث عهد . قال : فما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسبوا فيه ، قال : فما بال السيف في عنقك ؟ فقال : فبها الله من سيوف ، وهل أغت شيئا ؟ قال : اصدقني ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك . قال : بل قدمت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا ديني على وعيالي عندي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتعجل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك . قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالجدد الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فقهوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره » ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله إنني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديداً الأدي لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعهم إلى الله

(١) لبيه : جمع ثيابه عند نحره في المصومة .

وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كدت أؤذي أصحابك في دينهم .

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة . وكان صفوان حين خرج يقول : أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر . وكان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فخاف أن لا يكلمه أبداً ولا يدفعه يدفع أبداً ، فلما قدم عير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالعه أذى شديداً ، فألم على يديه ناس كثير .

وعير هذا أو الحارث بن هشام - بشك ابن إسحاق - هو الذي رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر فقال : أين أيُّ مُرّاق ؟ فثل^(١) عدو الله فذهب . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه : « وَإِذْ زَيْنٌ لَمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ »^(٢) فذكر استدراج إبليس إياهم بتشبهه بسرّاقه بن مالك بن جُشم لم حين ذكروا ما بينهم وبين بني بكر من الحرب ، يقول الله عز وجل : « فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ » ونظر عدو الله إلى جود الله من اللائكة قد أبد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم « نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ : إِنِّي تَرَى مَا مَعَكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ » وصدق عدو الله السكدوب ، رأى ما لم يروا وقال : « إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ » فذكروا أنهم كانوا برونه في كل منزل في صورة سرّاق لا يكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان نكص على عقبيه فأوردتهم ثم أسلمهم .

(١) ابن هشام : ومثل . والمقصود : اطمأ بالأرض واختن .

(٢) سورة الأنفال ٤٨ .

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

خَوَّيَ الذِّبْنَ مُمْ آوَدَا نَفْيَهُمْ
وَصَدَّقُوهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ كَفَّارُ
إِلَّا خِصَائِصَ أَقْوَامٍ مُمْ سَلَفَ
لِلصَّالِحِينَ مَعَ الْأَنْصَارِ أَمْسَارُ
مُسْتَبْشِرُونَ بِقَسَمِ اللَّهِ قَوْلُهُمْ
لَمَّا أَنَامَ كَرِيمُ الْأَصْلِ نُخْتَارُ
أَهْلًا وَسَهْلًا فِي أَمْنٍ وَفِي سَعَةٍ
نِعْمَ الدَّبِيُّ وَنِعْمَ الْقَسَمُ وَالْجَارُ
فَأَنْزَلُوهُ بَدَارٍ لَا يَخَافُ بِهِ
مَنْ كَانَ جَارَهُمْ دَارًا هِيَ الدَّارُ
وَقَاسَمُوهُمْ بِهِ الْأَمْوَالَ إِذَا قَدَمُوا
مُهَاجِرِينَ وَقَسَمُ الْجَاهِدِ النَّارُ
سِيرْنَا وَسَارُوا إِلَى بَذْرِ الْحَقِيقَةِ
لَوْ يَعْلَمُونَ بِقِيَمَةِ الْعِلْمِ مَا سَارُوا
دَلَامُهُمْ بِغُرُورٍ نَمَّ أَسْلَمَهُمْ
إِنَّ الْخَبِيثَ لَمَنْ وَالَاهُ غَرَارُ
وَقَالَ إِنِّي جَارُكُمْ فَأَوْرَدَهُمْ
شَرَّ الْمَوَارِدِ فِيهِ الْخِلَازِيُّ وَالْمَسَارُ
ثُمَّ التَّقْيِيدُ فَوَاوَا عَنْ سَرَائِهِمْ
مَنْ مُنْجِدِينَ وَمِنْهُمْ فِرْقَةٌ غَارُوا

وَبُرِّوَى أَنْ قَرِيبًا رَأَوْا سُرَافَةَ الْمَذْلُجِي بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، وَهُوَ الَّذِي نُمَثِّلُ
لَهُمُ إِبْلِيسَ فِي صُورَتِهِ يَوْمَ بَدْرٍ كَمَا تَقْدِمُ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا سُرَافَةُ أَخْرِمْتَ الْخَصْفَ
وَأَوْقَعْتَ فِينَا الْمَزِيَّةَ ۚ قَالَ : وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِكُمْ حَتَّى كَانَتْ
هَزِيمَتُكُمْ ، وَمَا شَهِدْتُ بِكُمْ فَمَا صَدَّقُوهُ حَتَّى أَسْلَمُوا وَسَمِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي
ذَلِكَ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ كَانَ إِبْلِيسَ نُمَثِّلُ لَهُمُ

[مَا نَزَلَ فِي بَدْرٍ مِنَ الْقُرْآنِ]

وَلَمَّا انْقَضَى أَمْرُ بَدْرٍ ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ « الْأَنْفَالَ »
بِأَمْرِهِ (١) .

[مِنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ]

وَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، مِنْ شَهِدَهَا
وَمِنْ ضُرِبَ لَهُ بِسُيُوفِهِمْ وَآخَرُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ رَحِلٍ وَأَرْبَعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا ، مِنْ الْمُهَاجِرِينَ
ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا : ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ ضُرِبَ لَهُمْ بِسُيُوفِهِمْ وَأُجُورُهُمْ وَلَمْ يَشْهَدُوا ،
وَهُمْ : عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، تَخَلَّفَ عَلَى أَمْرَاتِهِ رَقِيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِمَرْضَاهَا الَّذِي تَوَفَّيَتْ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَدْرٍ ،
فَضْرِبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُيُوفِهِمْ قَالَ : وَأَجْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
قَالَ : وَأَجْرُكَ . وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ (٢) ، كَانَا بِالشَّامِ فَرَجَعَا بَعْدَ
رَجُوعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَدْرٍ ، فَضْرِبَ لِكُلِّهِمَا بِسُيُوفِهِمْ قَالَ .
وَأَجْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَأَجْرُكَ .

وَمِنْ الْأَوْسِ : وَاحِدٌ وَسِتُّونَ ، اثْنَانِ مِنْهُمْ ضُرِبَ لَهَا بِسُيُوفِهِمَا : عَاصِمُ بْنُ

(١) انظر تفسير ابن هشام وعرضه لسورة الأنفال في السيرة ١/٦٦٦ — ٦٧٧ .

(٢) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

(م ٥ - الاكتفا ج ٢)

عَدِيّ الْعَبْلَاقِي ، رده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن خرج معه وضرب له بسهمه ، وخوات بن جُبَيْر ضرب له أيضاً بسهمه
ومن الخزرج مائة وسيمون رجلاً ، منهم الحارث بن الصنمة كُسر به
بالروحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه^(١) .

[الشهداء]

واستشهد يومئذ من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر رجلاً : ستة من قريش : عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِب ، وَعُمَيْرُ بْنُ أَبِي وقاص الزُّهْرِي ، وذو الشَّمالين بن عبد عمرو حليف لبني زهرة ، وعاقِلُ بْنُ الْبَكَّار حليف لبني عَدِيّ ، ومُهَجِّعُ مولى عمر بن الخطاب ، وصفوان بن بَيْضَانَ .

ومن الأنصار ثمانية نفر ، خمسة من الأوس سعد بن خيثمة ، ومبشر ابن عبد المنذر من بني عمرو بن عوف ، وبزید بن الحارث الذي يقال له ابن فُضْلَم من بني الحارث بن الخزرج ، وعُمَيْرُ بْنُ الْحَمَام من بني سلمة ، ورافع بن المَعْلَى من بني جُشَم .

وثلاثة من الخزرج من بني النجَّار : حارثة بن سُراقَة ، وعوف ومُتَوَذ ابنا الحارث بن رفاعه منهم ، وهما ابنا عفرأ ، رحمة الله على جميعهم ورضوانه .

وكان مع المسلمين يوم بدر من الخليل فرس الزبير بن العوام ، وفرس مَرْثَدِ بْنِ أَبِي مَرْثَدٍ الْقَفَوِي ، وفرس المقداد بن عمرو البَهْرَانِيّ

[قتلى المشركين]

وذكر ابن إسحق أن جميع من أُخِصَ له من قتلى قريش من المشركين يوم بدر خمسون رجلاً . وقال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو أن قَتْلَى بدرٍ من المشركين كانوا سبعين رجلاً والأسرى كذلك ، وهو قول

(١) زاد الوالدي : وأجره . ابن كثير ٢/ ٥٠٩ .

ابن عباس وسعيد بن المسيب . وفي كتاب الله تبارك وتعالى : « أَوْ لَكُمْ أَصَابَتُكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا » يقول لأصحاب أحد ، وكان من استشهد منهم سبعون رجلاً يقول : قد أصبتم يوم بدرٍ مثلي من استشهد منكم يوم أحدٍ : سبعين قتيلًا وسبعين أسيرًا .

وانشدنی ابو زید الانصاری الکعب بن مالک من قصيدة له یسمى

قتلی بدر :

فَأَقَامَ بِالْعَلَى الْمَعْلَى مِنْهُمْ سَبْعُونَ عَشْرَةَ مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ

[ما قيل من الشعر في يوم بدر]

وكان مما قيل في يوم بدر من الشعر : قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله ،

ومن أهل العلم من يذكرها له :

ألم تر أمراً كان من أعجب الدهر (١)

وَالْحَقِّنْ أَسْبَابَ مُبِيدَةِ الْأُمْرِ

وما ذاك إلا أن قومًا أقامم

فَإِنُّوا تَوْصِ بِالْعَقُوقِ وَبِالْكَفْرِ (۲)

عَشِيَّةَ رَاحِوْ نَحْوِ بَذَرِ بِجَمْعِهِمْ

فَكَانُوا رُحُومًا بَالِرْكِيَّةِ مِنْ بَدْرِ (٢)

وَكَا طَلَبْنَا الْخَيْرَ لَمْ نَجِدْ خَيْرًا

فَسَارُوا إِلَيْهَا فَالْتَقَيْنَا عَلَى قَدَرٍ

فَلَمَّا التَقَيْنَا لَمْ تَسْكُنْ مَشْنُوبَةً

الساخِر طَمَن بِالْمُفَقَّة الشَّيْخ (١)

(۱) ایں مشام : کان من عجب الدهر •

(۲) امامدم : اهلڪهم • ومانوا : جاء سينهم •

(٣) الركبة : اليرث غير المطاوعة .

(٤) المئوية : الرجوع والانصراف .

وضرب بيضٍ ينفلي الممام حذها
 مشهرة الألوان بيته الأثر^(١)
 ونحن تركنا عقبه النى ثاوباً
 وشيبة في قتلى تجرجم في الجفر^(٢)
 وعمرؤ ثوى فيمن ثوى من حاتم
 فشمت جيوب النائمات على عمرو
 جيوب نساء من لوى بن غالب كرايم
 تفرعن الدواب من قهر أولئك قوم
 فقتلوا في ضلالم وحاولوا لواء
 غير مختفر للزمر لواء ضلال
 قد ابليس أهله فتخاسهم
 إن الخبيث إلى غدر^(٣) وقال لهم
 إذ عاب الأمر واصحسا برئت إليكم
 ما بي اليوم من صبر فإني أرى
 ما لا ترون وإنني أخاف عقاب الله
 والله ذو قنبر فقد همم
 للحسن حتى نورطوا وصكان
 بمالم يختبر القوم ذا خير

(١) ينفلي : يقطع . والأثر : بفتح الهمزة : فرند السيف . وليس هذا مراداً هنا .
 وبالنسبة : أثر الجراح يقى بعد البرء . ولعله مراد المقصود .
 (٢) تجرجم : لقط . والجفر : البثر لم تطو ، أو طوى بعضها .
 (٣) غدر : خسر .

فكانوا غداةَ البَرِّ أَلَمًا وَجَعًا
ثَلَاثَ مِئِينَ كَالسَّدَمَةِ الزُّهْرِي^(١)
وَفِينَا جَنُودُ اللَّهِ حِينَ يُمِدُّنَا
بِهِمْ فِي مَقَامٍ ثُمَّ مُسْتَوْضِعِ الذِّكْرِ
فَقَسَدَ بِهِمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا
لَدَى مَا زِقَ فِيهِ مَنَابِهُمُ تَجْرِي
وَقَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ - وَلَمْ يَرِ ابْنُ هِشَامٍ
أَحَدًا يَعْرِفُهَا مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَتَى رَسُولَهُ
بِلَاءٍ عَزِيزٍ ذِي اقْتِدَارٍ وَذِي فَضْلٍ
بِمَا أُنْزِلَ الْكَفَّارَ دَارَ مَدَائِلِ
فَلَا قُوا هَوَانًا مِنْ إِسَارٍ وَمَنْ قَتَلَ
فَأَنْتَسَى رَسُولُ اللَّهِ قَدْ غَزَّ فَصْرُهُ
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ أُزِيلَ بِالْعَدْلِ
لِجَاءِ بِفِرْقَانٍ مِنَ اللَّهِ مُنْزِلٍ مُبَيِّنَةٍ آيَاتِهِ لِدَوَى الْعَقْلِ
فَأَمَّنْ أَقْوَامٌ بِذَلِكَ وَأَبْقَاوَا فَأَمْسَوْا بِحَمْدِ اللَّهِ بِمَجْمَعِ الشَّعْلِ
وَأَنْكَرَ أَقْوَامٌ فَرَاغَتْ قُلُوبُهُمْ
فَزَادَهُمْ ذُو الْعُرْشِ خَبَلًا عَلَى حَبْلٍ
وَأَمْسَكَنَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ رَسُولَهُ
وَقَوْمًا غَضَابًا فِعْلُهُمْ أَحْسَنُ الْعَمَلِ

(١) السدمة : الفجور الهادرة . والزهر : البيض .

بأيديهم ببعض خفاف عصوا بها^(١)

وقد حادّوها بالجلالة وبالصفـ

فكم تركوا من ناشئ ذي حية صريع ومن ذي نجدة منهم كهل
تبيت عيون اللامحات عليهم تجود بإسبال الرشايش وبالونل
نوايح تنعى عقبه النى وابنه وشيبة تنعاه وتلقى أبا جهل
وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم مسلبة حرى مبيدة للـ^(٢)
ثوى منهم فى بئر بدر عصا به

ذوى تجذات فى الحروب وفى المـ
دعا النى منهم من دعا فأجابه وللنى أسباب مرمقة الوصل^(٣)
فأضحوا لدى دار الجحيم بمـ
عن الشغب والعذوان فى أشغل الشغل^(٤)

* * *

وقال كعب بن مالك أخو بنى سلمة يذكر بدرًا ويقول :
عجبتُ لأمرِ الله والله قادرٌ على ما أرادَ ليس لله قاهرٌ
قضى يوم بدر أن نلاقى مـ بشراً بقوا وسبيلُ النى فى الناس جائرٌ
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم من الناس حتى جهمهم متكائرٌ
وسارت إلينا لا نحاول غيرنا بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامرٌ
وفينا رسول الله والأوس حوله له سقيل منهم عزيز وناصرٌ

(١) عصوا بها : ضربوا .

(٢) اللسبة : التى تلبس السلاب ، وهى الثياب السود ، حدادا .

(٣) الرمق : الضيف .

(٤) فى سيرة ابن كثير ٢ / ٥٢٦ : فى أسفل السفلى .

وَجَمَعَ بَنِي الدَّجَارِ تَحْتَ لَوَائِهِ يَمْشُونَ فِي الْمَازِي وَالنَّفْعِ ثَائِرُ^(١)
 فَلَمَّا لَقِيَ سَامَ وَكُلَّ مُجَاهِدٍ لِأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلِ الْفَنَسِ صَابِرُ
 شَهِدْنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرُ
 وَقَدْ عُرِّبَتْ بِيضُ خِيفَاتِهَا مَقَامِيسُ زُهْيَا أَمِينِكَ شَاهِرُ
 بَيْنَ أَدْنَا جَهَنَّمَ فَنَبَذُوا وَكَانَ يَلَاقِي الْحَيْنَ مِنْهُ فَاجِرُ
 فَكُتِبَ أَبُو جَهْلٍ سَرِيحًا لِوَجْهِهِ وَعُتِبَ قَدْ غَادَرَتْهُ وَهُوَ عَازِرُ
 وَشَيْبَةُ وَالتَّيْمِيُّ غَادَرْنَ فِي الْوَعْيِ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بِذِي الْمَرَشِ كَافِرُ
 فَأَسْتَوَا وَقَوَدَ النَّارُ فِي مُسْتَقَرِّهَا وَكُلَّ كَفُورٍ فِي جَهَنَّمَ صَائِرُ
 تَلَقَّى عَلَيْهِمْ وَهِيَ قَدْ شُبَّ حُجُبُهَا بِزُبُرِ الْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ سَاجِرُ^(٢)
 وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا فَوَاؤُوا وَقَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ سَاحِرُ
 لِأَمْرِ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكَ وَابَهُ وَلَيْسَ لِأَمْرِ تَحْمِهِ اللَّهُ زَاجِرُ

واخبرنا بن الخطيب القهري في هذا الروي شعره ، ذكر ابن إسحاق
 أن كعب بن مالك أجابه عنه بهذا الشعر الذي كتبه أيضاً ، والأظهر من
 مقتضى الشعر أن ضراراً هو الذي أجاب كعب بن مالك ومقتضى عليه . وهذا
 شعر ضرار رضي الله عنه .

مَجِبْتُ لِفَخْرِ الْأَوْسِ وَالْحِمْيَرِ دَائِرُ عَلَيْهِمْ غَدَاً وَالْدَّهْرُ فِيهِ بِصَائِرُ
 وَنَفَرَ بَنِي الدَّجَارِ أَنْ كَانَ مَعْتَرُ أُصِيبُوا بِبِدْرِ كُلِّهِمْ تَمَّ صَابِرُ
 فَإِنْ تَكَ قَتْلَى غَوْدِرَتْ مِنْ رَجَالِنَا فَإِنَّا رَجَالٌ بَعْدَهُمْ سَفَافِرُ

(١) الماذي : الدروع البيض البينة .

(٢) تلقى : تولد . وزبر الحديد بفتح الباء وإنما سكنت لوزن الشعر : قطعه .

والساجر : للوقد .

وَتَرَدَّى بِنَا الْجُرْدُ الْمَنَاجِيجُ وَسَطَهُمْ

بَنَى الْأَوْسَ حَتَّى يَشْفَى النَّفْسَ ثَائِرٌ^(١)

ووسط بني النجار عوف نكرها لها بالقمنا والدرعين زوافر
فترك مصرعى تمصيب الطير حولهم وليس لهم إلا الأمانى ناصر
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة لمن بها ليل عن الدوم ساهر
وذلك أنا لا نزل سيوفنا بهن دم من يحاربن مائر^(٢)
فإن تظفروا في يوم بدر فإنما بأحد أمتى حدكم وهو ظفر
وبالفقر الأخيار هم أولياؤه يحامون في اللاواء والموت حار^(٣)
بعد أبو بكر وحزة فيهم وبدعى على وسط من أنت ذاكر
أولئك لامن نتجت في ديارها بدو الأوس والنجد حين تفاخر
ولكن أبوم من لوى بن غالب إذا عدت الأناب كعب وعامر
هم الطاعون الخليل في كل معرك غداة الهياج الأطييون الأكار
ومن شعر حسان بن ثابت يعرض بالحارث بن هشام وفراره من يوم
بدر:

إن كنت كاذبة الذي حدثتني ففجوت منجى الحارث بن هشام^(٤)
ترك الأختبة أن يقايل دونهم ونجا برأس طمرية ولجام^(٥)

(١) تردى : تسرع . والجرد : الخيل القصار الشعر . والمناجيج : جياد الخيل .
والثائر : الطالب لثأره . وفي ابن هشام : وسطهم . بدلا من : وسطكم .
(٢) المائر : الجارى .
(٣) اللاواء : الناس والشدة .
(٤) من قصيدة أوردها ابن هشام في السيرة ٣ / ١٦ .
(٥) الطمرة : الفرس الجواد .

فأجابته الحارث بن هشام فيما ذكر فقال :

الله أعلم ما تركت قتالهم حتى علّوا فرسي بأشقر مُزِيدٍ
وعرفتُ أنّي إنْ أقاتلُ واحداً أقتلُ ولا يضرُّ^(١) عدويّ مشهدي
فصدّدتُ عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقابِ يومِ مُفسِدِ
وقال حسان بن ثابت أيضاً ، ويقال إنها لعبد الله بن الحارث السهمي ،
ويشبهه أسما من قصيدة :

مُسْتَشِيرِي حَتَّى الْمَاضِي يَفْقِدُهُمْ جَلْدُ النَّعْبِزَةِ مَاضٍ غَيْرِ رَغْدِيدِ^(٢)
أعنى رسولَ الإله^(٣) الحقَّ فضله هلى البريةِ بالنعوى وبالجلودِ
وقد زعمتم بأن نحموا ذماركم وماء بدرٍ زعمتم غير مَوْرُودِ
ثم وردنا ولم نسمع أقوالكم حتى شربنا رِواء غير تعريدي^(٤) !
مستعصمين ببطل غير مُتَجَدِّدِمْ مُسْتَحْكَمٍ من حبال الله محدودِ
فيما الرسول وفيما الحق نذبه حتى المات ونهر غير محدودِ
وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألايت شمرى هل أنى أهل مكة إبادتنا الكفارَ في ساعة العُسرِ
قتلنا سَرَاقَةَ اللّوْمِ عند مجالسا فلم يرجعوا إلا بقاصمِ الظاهرِ
فكم قد قتلنا من كريم مرزٍ له حسبٌ في قومه نايه الذُكرِ

(١) في سيرة ابن كثير ٢ / ٥٣١ : ولا ينسكى .

(٢) الماضى : الدروع الآتية . والمستشير اللابس على جسده بغير حاجز والنعبزة :
الطبيعة . والرعديد : الجبان .

(٣) كذا بالأصل . وفي ابن هشام : رسول إله الحق . .

(٤) التعريدي : الضرب القليل دون الرى .

تركناهم للعوايات تَدْوُسُهُمْ^(١) وَيَصْلَوْنَ نَارًا بَعْدَ حَامِيَةِ الْقَمَرِ
لَعَمْرُكَ مَا حَامَتْ فَوَارِسُ مَالِكٍ وَأَشْيَاعُهُمْ يَوْمَ التَّقِيْنَا عَلَى بَدْرٍ
وَقَالَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ ، يَذْكُرُ مَبَارَزَتَهُ هُوَ وَحِزَّةُ
وَعَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَمَا كَانَ مِنْ إِصَابَةِ رَجُلِهِ يَوْمَئِذٍ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَبِمَعْزِ أَهْلِ
الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُهَا لَهُ :

سَتَيْلُغُ عَنَا أَهْلَ مَكَّةَ وَقَعَةً يَهْبِ لَهَا مِنْ كَانَ عَنْ ذَلِكَ نَائِيًا
بُتْمَةً إِذْ وَلَّى وَشِبْهَةً بَعْدَهُ وَمَا كَانَ فِيهَا بِسَكْرٍ عُتْبَةً رَاضِيًا
فَإِنْ تَقَطَّعُوا رِجْلِي فَإِنِّي مُسْلِمٌ أَرْجَى بِهَا عَيْشًا مِنْ اللَّهِ دَانِيًا
مَعَ الْحُورِ أَمْثَالِ الثَّمَائِلِ أَخْلِصْتُ مَعَ الْجَنَّةِ الْمُلْدِيَا لِمَنْ كَانَ عَالِيًا
وَعِثْتُ بِهَا عَيْشًا تَعْرِفْتُ صَفْوَةً وَعَالَجْتُهُ حَتَّى فَقَدْتُ الْأَدْنِيَا
وَأَكْرَمَنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلِ مَنَّةٍ بَثُوبٍ مِنَ الْإِسْلَامِ طَلَى الْمَسَاوِيَا
وَمَا كَانَ مَكْرُوهاً إِلَيَّ فَتَسَالَهُمْ غَدَاةً دَعَا الْأَكْفَاءَ مَنْ كَانَ دَاعِيًا^(٢)
لَقِيْنَاهُمْ كَالْأَسَدِ تَعَتَّرُ^(٣) بِالْقَنِيَا مُقَاتِلٍ فِي الرَّحْمَنِ مَنْ كَانَ عَاصِيًا
فَسَابَرَحَتْ أَقْدَامُنَا مِنْ مَقَامِنَا ثَلَاثَتْنَا حَتَّى أَزْبَرُوا لِلْمَنَائِيَا
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : لَمَّا أَصِيبَتْ رِجْلُ عُبَيْدَةَ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكَ أَبُو مُطَالِبٍ

هَذَا الْيَوْمَ لَعَلَّمَنِي أَحَقَّ مِنْهُ بِمَا قَالَ حِينَ يَقُولُ :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ يُبْزَى مُحَمَّدًا^(٤) وَلَمَّا نَطَاعِنَ حَوْلَهُ وَنُتَاضِلَ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصْرِعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَانِنَا وَالْحَلَالِ

(١) ابن هشام : يَفْنِيهِمْ . وفي رواية له : يَفْنِيهِمْ .

(٢) بعده في ابن هشام زيادة :

ولم يبقَ إِذْ سَالُوا النَّبِيَّ سِوَاهَا ثَلَاثَتْنَا حَتَّى حَضَرْنَا الْمَسْنَدِيَا

(٣) كَذَا بِالْأَسْلِ . وفي اللسان : عَرِ الرَّمَجُ وَغَيْرُهُ اشْتَدَّ وَاضْطَرَبَ وَاعْتَزَّ ، قَالَ :

وَكُلُّ خَطِيٍّ إِذَا هَزَّ عَصَا وَفِي ابْنِ هِشَامٍ : تَخْمَلُ بِالْقَنِيَا

(٤) في اللسان : يُبْزَى مُحَمَّدٌ . وَمَعْنَاهُ : يَتَهَرَّجُ وَيَنْفِلُ .

ولما هلك عبدة بن الحارث من مُصَّاب رَجُلُهُ قَالَتْ هَذَا ابْنَةُ أَنَاثَةِ بْنِ عَبَّادِ
ابْنِ الْمُطَّلَبِ ، وَكَانَتْ وَفَاتَهُ بِالصَّفْرَاءِ وَبِهَا دُفِنَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ :

أَقْدَمَ صَمْنُ الصَّفْرَاءِ مَجْدًا وَسُودَدَا
وَحِلْدًا أَصِيلًا وَافِرَ الْأَبِّ وَالْعَقْلِ
عَبِيدَةُ فَا بَكِيهِ لِأَضْيَافِ غُرْبَةٍ
وَأَرْمَلَةٍ تَهْوِي لِأَشْمَثِ كَالْجَذْلِ^(١)
وَبَكِيهِ الْأَفْوَامِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ
إِذَا احْمَرَّتْ آفَاقُ السَّمَاءِ مِنَ الْمَخْلِ^(٢)
وَبَكِيهِ الْأَبْطَامِ وَالرَّيْحُ زَفَزَفَ^(٣)

وَأَشْيَبُ قَدَرٍ طَالَ مَا أَزْبَدَتْ تَغْلَى
فَإِنْ تُصْبِحُ الْفَيْرَانُ قَدْ مَاتَ ضَوْوُهَا

فَقَدْ كَانَ يُذَكِّرُنِ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ
إِطَارِقِ إِيْلٍ أَوْ لِلْمَتَمَسِّ الْقِرَى

وَمُسْتَنْبِيعِ أَضْحَى لَدَيْهِ عَلَى رِشْلِ

وَقَالَ طَالِبُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَدْحُ إِلَهِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَبْكِي أَحِبَّابِ
الْقَلْبِ مِنْ فَرِيش :

أَلَا إِنِّي عَيْنِي أَمَدَّتْ مَاءَهَا سَكْبًا

تَبْكُنِي عَلَى كَمِيرٍ وَمَا إِنِّي تَرَى كَمَبًا

(١) تهوى : تسقط من البكاء والأشمت : الوند . والجذل : ما عظم من أصول الشجر
تريد : أنه ثابت قوي .
(٢) المل : الجذب .
(٣) زفzf : شديدة .

أَلَا إِنْ كَعَبًا فِي الْحُرُوبِ تَخَاذَلُوا
وَأَرْدَاهُمْ ذَا الدَّهْرِ وَاجْتَرَحُوا ذَنْبًا
وَعَامِرٌ تَبْشَى لِلْمَلِكِ غُدُوَّةً
فِيَالَيْتَ شَمْرَى هَلْ أَرَى لَهَا قُرْبًا
هِيَ أَخْوَايَ لَنْ بُمْدًا لَعْنَةً
تُعَدُّ وَلَنْ يُسْتَمَّ جَارُهَا غَضَبًا
فِيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا
فِدَا لَكُمْ لَا نَبْعَثُوا بَيْنَكُمْ حَرْبًا
وَلَا تُصْبِحُوا مِنْ بَعْدِ وَدٍّ وَأُفٍّ
أَحَادِيثَ فِيهَا كَلْسُكُمْ يَشْتَكِي الْمُسْكِبَا
أَلَمْ تَقْلُوا مَا كَانَ فِي حَرْبٍ دَاحِسٍ
وَجَيْشٍ أَبِي بَكْسُومٍ إِذْ مَلَأُوا الشُّعْبَا^(١)
فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرِهِ
لَأَصْبَحْتُمْ لَا تَمْنَعُونَ اسْمَ سَرَّ^(٢)
فَمَا إِنْ جَنَيْنَا فِي قَرِيشٍ عَظِيمَةً
سِوَى أَنْ حَمَيْدًا خَيْرَ مَنْ وَطَى، التُّرْبَا
أَخَا نِقَةٍ فِي السَّائِبَاتِ مُرْزَأً
كَرِيمًا نَسَاءً لَا يَجْزِلَا وَلَا ذَرْبًا^(٣)

(١) أَبُو بَكْسُومٍ : أبرهة الحبشي . الذي قصد مكة لهدم الكعبة فأهلكه الله وجنوده .
(٢) السَّرْبُ بِالْفَتْحِ : الطريق . وَبَكْسَرُ الْبَاءِ : النفس .
(٣) النَّا : الذكر والمخير . وَالتُّرْبُ : السليط اللسان .

بُطِيفَ بِهِ الْمَافُونَ يَفْشُونَ بِابِهِ

يَوْمُونَ نَهْرًا لَا نَزُورًا وَلَا صَرًّا^(١)

فَوَالله لَا تَذُفُكَ نَفْسِي حَزِينَةً

تَمَلِّمْ حَتَّى تَصْدُقُوا الْخُزْرَجَ الْغُرَبَا

[غزوة بنى سليم]

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان ، وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها في عقبه أو في شوال بعده .

فلما قدم المدينة لم يبق بها إلا سبع أيال حتى غزا بنفسه بريد بنى سليم ، فبلغ ماء من مياههم يقال له السكندر^(٢) فأقام عليه ثلاث أيال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وأفدى في إقامته ملك جبل الأسارى من قريش .

[غزوة السويق]

وكان أبو سفيان بن حرب حين رجع قل^(٣) قريش من بدر نذر ألا يمس رأسه مالا من جناية حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج في مائتي راكب من قريش لتبصر بمنزله فسلك للنجدة حتى نزل بصدر قناة ، هل بريد أو نحوه من المدينة ، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل ، فأبى حتى ابن أخطب فغضب عليه بابه ، فأبى أن يفتح بابه وخافه ، فانصرف عنه إلى

(١) النزور : القليل الماء . والعرب : الما من . وأصله : لائن .

(٢) في معجم البلدان : كدر : جمع أكدر ، قرارة السكندر . قال الواقدي بناحية للمدن قريبة من الأرحضية ، بينها وبين المدينة ثمانية برد : وقال غيره : ماء ابنى سليم . ثم ذكر خبر الغزوة .

(٣) القل : المهزم من الجيش .

سَلَامٌ بِنِ مِشْكَمَ وَكَانَ سَيِّدُ بَنِي الْقَضِيرِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ وَصَاحِبُ كَنْزِهِمْ ،
فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ فَقَرَأَ وَسَقَاهُ وَبَطَنَ^(١) لَهُ مِنْ خَبَرِ النَّاسِ ، ثُمَّ خَرَجَ
فِي عَقَبِ لَيْلَتِهِ حَتَّى أَتَى أَصْحَابَهُ ، فَبِعِثَ رِجَالًا مِنْهُمْ فَأَتَوْا نَاحِيَةَ الْمُرَيْضِ
فَعَرَفُوا بِهَا أَصْوَارَ نَخْلٍ^(٢) وَقَتَلُوا رِجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَحَلِيفًا لَهُ فِي حَرْبٍ لَهَا ،
ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ ، وَنَذَرَ^(٣) بِهِمُ النَّاسُ نَفْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِمْ حَتَّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكَذْرِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ فَاتَهُ أَبُو سَفْيَانَ
ابْنُ حَرْبٍ وَأَصْحَابُهُ ، وَطَرَحُوا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ يَتَخَفُّونَ مِنْهَا لِلنَّجَاءِ ، وَكَانَ
أَكْثَرُ مَا طَرَحُوهُ السَّوْبِقَ ، فَهَجَمَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى سَوْبِقٍ كَثِيرٍ ، فَسَمِعَتْ
غَزْوَةَ السَّوْبِقِ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ رَجَعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ طَعِمَ لَنَا أَنْ تَكُونَ غَزْوَةً ؟ قَالَ : نَعَمْ .

[غَزْوَةُ ذِي أَمْرِ]

ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَجْدًا يُرِيدُ غَطَفَانَ ، وَهِيَ غَزْوَةُ
ذِي أَمْرِ ، فَأَقَامَ بِبَيْعَةِ ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا .
ثُمَّ غَزَا قَرِيشًا حَتَّى بَلَغَ بَحْرَانَ مَعْدَنًا بِالْحِجَازِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمُرُجِ ، ثُمَّ رَجَعَ
مِنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَقَامِهِ بِهِ نَحْوًا مِنْ شَهْرَيْنِ ، رَبِيعَ الْآخِرِ
وَجُهَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ

(١) بَطَنَ : أَمَّهُ آخِرُهُ بِأَسْرَارِهِمْ .

(٢) الْأَصْوَارُ : جَمْعُ صُورٍ وَهُوَ النَّخْلُ الْعَنَابُ أَوْ الْمَجْتَمِعُ .

(٣) نَذَرَ بِهِمُ النَّاسُ : شَرُّوا بِهِمْ وَحَنَرُوهُمْ .

أمرُ بنى قَيْنَقَاع

وكان فجا بين ما ذكر من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرُ بنى قَيْنَقَاع .

وكانوا أولَ يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوا فيما بين بدرٍ وأحدٍ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم في سوقهم ، ثم قال : « يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسئلوا ، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم »

قالوا : يا محمد إنك نرى أننا قومك إلا يفرمك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لن حاربناك ^(١) لئلا نعلمن أننا نحن الناس .

وقال ابن عباس : ما أنزل ^(٢) هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُهُمْ كَيْدٌ وَإِلَى جَهَنَّمَ وَنُفْسُ الْيَهُودِ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ بَرَّوْهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ » .

وكان منشأ أمرهم : أن امرأة من العرب قدمت بجماب ^(٣) لما فباعته بسوق بنى قَيْنَقَاع وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف

(١) الطبري : لن حاربنا .

(٢) ابن هشام : ما نزل .

(٣) الجلب : ما يباع للأسواق للتجارة .

وجها وأبَتْ [فممد الصائغ إلى طرف ثوبها فمقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سَوْدَتُها ، فضحكوا بها] فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، فشَدَّت اليهودُ على المسلم فقتلوه ، فاستمرَّخَ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود ، فأغضب^(١) للمسلمون فوق الشَّر بينهم وبين بنى قينقاع .

فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي سَلُول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد أحسين في مَوَالِي ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فأبطلأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد أحسن في مَوَالِي ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدخل يده في جيب دِرْع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقال لها ذات الفضول ، فقال له : أرسِلني أو غضب صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظِللاً^(٢) ، ثم قال : ويحك أرسِلني . قال : لا والله لا أرسلاك حتى نَحِين في مَوَالِي ، أربعمائة حائِر وثلاثمائة دارِع قد منعموني من الأحمر والأسود تَمُصُّدُم في غَدَاة واحدة إني والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مُمَّ لَكَ .

ولما حاربت بنو قينقاع وتَشَبَّثَ عبدُ الله بن أبي بَأمرهم وقام دونهم ، مشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد بني عوف ، لم من حلفه مثل الذي لم من عبد الله بن أبي ، فجعلهم^(٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : يا رسول الله

(١) ابن هشام : فغضب .

(٢) الطبري : حتى رأوا لوجهه ظلالاً ، يعني تلونا .

(٣) ابن هشام : فجعلهم .

أَتَوَلَّى اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَأَبْرَأَ مِنْ جُلُفِ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِ وَلَا يَتَّبِعُهُمْ .
 فِيهِ وَفِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَزَلَتْ [هَذِهِ] الْقِصَّةُ مِنَ الْمَائِدَةِ : « يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
 وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *
 فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ « يريد عبد الله بن أبي » يُسَارِعُونَ فِيهِمْ
 يَقُولُونَ نَحْشِي أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ، فَتَمَسَّى اللَّهُ أَنَّ بَأْسَ بِلَالٍ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ
 مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبُحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَاكِدِينَ » . ثُمَّ الْقِصَّةُ إِلَى
 قَوْلِهِ : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
 وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ » وَذَلِكَ لِمَوْلَى عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَتَبَرَّيْهِ ، مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعٍ وَحِلْفِهِمْ وَلَا يَتَّبِعُهُمْ * وَمَنْ
 يَتَوَلَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ » .

[سِرِّيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ]

وَاتَّكَانَ مَنْ وَقَعَهُ بَدْرٌ مَا كَانَ ، خَافَتْ قَرِيشٌ طَرِيقَهُمُ الَّتِي كَانُوا
 يَسْلُكُونَ إِلَى الشَّامِ ، فَسَلَكُوا طَرِيقَ الْعِرَاقِ ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ تِجَارَةٌ فِيهِمْ
 أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَمَعَهُ فَضْلَةٌ كَثِيرَةٌ وَهِيَ عَظْمُ تِجَارَتِهِمْ ، وَبَعَثَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فَلَقِبَهُمْ عَلَى الْقَرَدَةِ ، مَاءٌ مِنْ
 مِيَاهِ نَجْدٍ ، فَأَصَابَ تِلْكَ الْمَيْدَ وَمَا فِيهَا وَأَعْجَزَهُ الرِّجَالُ ، فَقَدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَذَلِكَ الَّذِي يَمْنَى حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ بِقَوْلِهِ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْآخِرَةِ بِوُتْبِ
 قَرِيشًا فِي أَخْذِهِمْ تِلْكَ الطَّرِيقَ يَقُولُ :

(م ٦٠ الاكشاف ج ٢)

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا
جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْخَاضِ الْأَوَارِكِ^(١)
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ
وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَائِكِ
إِذَا سَلَكَتْ لَغَوْرٌ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ
فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَاكَ^(٢)

[مقتل كعب بن الأشرف]

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة
بشيرين إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عليه وقتل من قُتل من المشركين
بيدر ، قال كعب بن الأشرف وكان رجلاً من طيء ، ثم أحد بني نَبْهَانِ ،
وأمه من بني النَّضِيرِ ، حين بلغه هذا الخبر ، أحمقٌ هذا ؟ أرون أن محمدًا قُتل
هؤلاء الذين سُمِّيَ هذان الرجلان ؟ فهؤلاء أشرف العرب وملوك الداس ،
والله لئن كان محمدٌ أصاب هؤلاء القوم لَبَطُنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لِي^(٣) مِنْ ظُهُبِهَا .
فلما تبين عدو الله الخبير ، خرج حتى قديم مكة ، فجعل يمرض على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الأشعار ، ويبكي أصحاب القليب من
قريش ، ثم رجع إلى المدينة فشذب بنساء المسلمين حتى آذاهم .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى من^(٤) ابن الأشرف ؟

(١) الفلجيات : الأودية ، أو الأنهار الصغار . والجلاذ : المجالدة في الحرب . والخاض :
الإبل الموامل . والأوارك : التي ترمى الأراك . شجر معروف .
(٢) الغور : للتخفص من الأرض . وعالج : اسم مكان فيه رمل كثير .
(٣) الطبرى : خير لنا .
(٤) كذا بالأصل والطبرى ، وفي ابن هشام : من لى بابن الأشرف .

فقال له محمد بن مسleme الأشملى : أنا لك به يارسول الله ، أنا أقتله . قال : فافعل إن فدرت على ذلك .

فرجع محمد بن مسleme فسكت ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُملق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له : لم تَرَكتَ الطعام والشراب ؟ فقال : يارسول الله قلت لك قولاً لا أدري هل أُفِين^(١) لك به أم لا . قال إنما عليك الجهد ، قال : يارسول الله لا بد لنا من أن نقول . قال : قولوا ما بدا لكم فأنتم في حِلٍّ من ذلك .

فاجتمع في قتله محمد بن مسleme ، وسيلسكان بن سلامة أبو نائلة ، وعبداد بن بشر والحارث بن أوس ، وكلهم من بنى عبد الأشهل ، وأبو عبس بن جبر أخو بنى حارثة ، ثم قدّموا إلى عدو الله ابن الأشرف سيلسكان بن سلامة وكان أخاه من الرضاعة ، فجاءه فتحدث معه ساعة ثم قال : ويحك يابن الأشرف إني قد جئتكم للحاجة أريد ذكرها لك فآكتهم عنى قال : أفعل قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من اللبلاء ، عادت لنا العرب ورمقنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا الشبل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس . فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول . فقال له سيلسكان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونزّهك ونوثق لك . قال : أنزّهوني نساءكم ؟ قال : كيف نزّهك نساءنا وأنت أشبّ أهل يثرب وأعظمهم . قال : أنزّهوني أبنائكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا ، يُسبّ ابنُ أحدنا فيقال : رُهِن في وسق شعير ! ثم قال له : إن منى أسمايا لي على مثل رأبي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيهمهم وتُحسن في ذلك ونزّهك من الحلقة^(٢) ما فيه وفاء وأراد سيلسكان ألا يفكر السلاح إذا جاءوا بها . قال : إن في الحلقة أوفاء .

(١) الطبرى : هل أوفى .

(٢) الحلقة : السلاح .

فرجع سِلْكَان إلى أصحابه فأخبرهم وأمرهم أن يأخذوا السلاح ويجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشى معهم صلوات الله عليه إلى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ في ليلة مُقَمَّرَةٍ ، ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعينهم . ثم رجع إلى بيته .

فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بمرس ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بداحيتها وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة لو وجدني ناعماً ما أبغضني . فقالت : والله إنى لأعرف في صوته الشر . فقال لها كعب : لو يُدعى الفتي لَطَعَنِي لَأُجَابَ !

فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، فقالوا له : هل لك يا بن الأشرف إلى أن تنامى إلى شَرَبِ الْعَجُوزِ فتحدث فيه بقیة ليلتنا هذه . قال : إن شئتم . فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام^(١) يده في فؤود رأسه ثم شم يده ، فقال : ما رأيتُ كلاليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ، حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفؤود رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربروه فاختلفت عليه أسيافهم فان ثعن شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فتذكرت مِغْوَلًا^(٢) كان في سيفي حين رأيت أسيافنا لا تُغْنِي شيئاً ، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار ، قال : فوضعت في ثُنته^(٣) ثم تحاملت عليه حتى بلغت غايته^(٤) فوقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو رأسه أصابه ببعض

(١) شام يده : أدخلها . والفؤود : معظم الشعر الرأس مما يلي الأذن أو ناحية الرأس .

(٢) المغول : فصل طويل أو سيف دقيق له قفا .

(٣) الطبرى : في ثندوته . والثنة : المانة أو ما بينها وبين السرة .

(٤) ابن هشام والطبرى : مانتة .

أسيافنا ، نخرجنا حتى أَسْنَدْنَا فِي حَرَّةِ الْعُرَيْضِ وَقَدْ أَبْعَلْنَا عَلَيْنَا الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ صَاحِبَنَا وَنَزَفَهُ الدَّمُ ، فَوَقَفْنَا لَهُ سَاعَةً ثُمَّ أَنَا نَقِيعُ آثَارَنَا فَاحْتَمَلْنَاهُ فَجَنَّبْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخِرَ اللَّيْلِ وَهُوَ قَائِمٌ يَهْجُو ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ نَخْرِجُ إِلَيْهَا فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللَّهِ ، وَتَقَلُّ عَلَى جُرْحٍ صَاحِبِنَا ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى أَهْلِنَا فَأَصْبَحْنَا وَقَدْ خَافَتْ يَهُودُ لَوْقَمَتِنَا بِعَدُوِّ اللَّهِ ، فَلَيْسَ بِهَا يَهُودِي إِلَّا وَهُوَ يَخَافُ هَلِي نَفْسِهِ .

وَذَكَرَ ابْنُ عُقْبَةَ أَنَّ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ إِذَا قَدِمَ عَلَى قُرَيْشٍ يَسْتَنْفِرُهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ وَالْمَشْرُكُونَ : نَدَاشُدُكَ اللَّهُ : أَدِينُنَا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ أَمْ دِينَ مُحَمَّدٍ وَأَحِبَّاهُ ؟ وَابْتِغَا أَهْدَى فِي رَأْيِكَ وَأَقْرَبَ إِلَى الْحَقِّ ، فَإِنَّا نَعْلَمُ الْجَزُورَ السَّكُومَاءَ ^(١) وَتَسْقَى الْإِبْنُ عَلَى الْمَاءِ وَنُطْعِمُ مَا هَبَّتِ الشَّمَالُ .
فَقَالَ ابْنُ الْأَشْرَفِ : أَنْتُمْ أَهْدَى سَبِيلًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ :
« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ^(٢) » .

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِذَا نَزَلَتْ فِي حَيٍّ مِنْ أُخْطَبَ وَسَلَامٍ ابْنِ أَبِي الْخَلَفَتِيقِ وَجَاعَةٍ غَيْرَهُمَا مِنْ أَحْبَارِ يَهُودٍ ، لَيْسَ ابْنُ الْأَشْرَفِ مَذْكُورًا فِيهِمْ ، وَهُمْ الَّذِينَ حَزَّبُوا الْأَحْزَابَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ قَالُوا : هَؤُلَاءِ أَحْبَارُ يَهُودٍ وَأَهْلُ الدِّمِ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ فَسَاوِمُ : أَدِينُكُمْ خَيْرٌ أَمْ دِينَ مُحَمَّدٍ ؟ فَسَأَلُوهُمْ فَقَالُوا : بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ وَأَنْتُمْ أَهْدَى مِنْهُ وَمِنْ أَتْبَعِهِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ الْآيَةَ الْمَذْكُورَةَ .
فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

• • •

(١) السَّكُومَاءُ : النَّاتِلَةُ الْمَطْلُوبَةَ السَّامَ .

(٢) سُورَةُ النِّسَاءِ .

قال ابن إسحاق ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه . فوثب محبيصة بن مسعود الأوسى هلى ابن سُنَيْدَةَ من نجار يهود ، وكان يلبسهم ويأبئهم فقتله ، فلما قتله جعل أخوه حُوَيْصَةَ ابن مسعود ولم يكن أسلم يومئذ وكان أسن من محبيصة ، يضربه ويقول : أى عدو الله أقتلت ، أما والله لأرُبَّ شحم في بطنك من ماله ! فقال محبيصة : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك ! قال : فوالله إن كان لأول إسلام حُوَيْصَةَ قال : أو الله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتُها ، قال : والله إن ديننا بلغ منك هذا أعجب ! فأسلم حُوَيْصَةَ ، وقال محبيصة فى ذلك :

يلوم ابنُ أُمى لو أمرتُ بقتله لعطبتُ ذِفْراه بأبيض قاضب^(١)
حُسام كلون الملح أخْلص صفة متى ما أصوبه فليس بكاذب
وما سرّنى أنى قتلتك طائعا وأن لنا ما بين بُعْرى ومأرب

وذكر ابن هشام أن هذا عَرْضُ لمحبيصة بعد غزوة بنى قريظة وظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع إليهم منهم كعب بن يهوذا . قال : وكان عظيما فيهم ، ليقته ، فقال له أخوه حُوَيْصَةَ وكان كافرا : أقتلت كعب بن يهوذا ؟ قال : نعم . قال : أما والله لأرُبَّ شحم نَبَتَ فى بطنك من ماله ، إنك لاثم . فقال له محبيصة : لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك . فعجب من قوله ، ثم ذهب عنه متعجبا فذكروا أنه جمل ينتفض^(٢) من الليل فيمجب من قول أخيه محبيصة حتى أصبح وهو يقول : والله إن هذا لدين . ثم أنى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم .

(١) القرى : عظم نأى خلف الأذن . والأبيض القاضب : السيف البتار .

(٢) ابن هشام : يتيقظ .

غزوة أحد

وكان من حديث أحد أنه لما قتل الله من قتل من كفار قريش يوم بدر ورجع قائلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيرهم ، مشى عبد الله ابن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وقالوا لهم : إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم ، فأعيدوا بهذا المال على حربهم لعلنا ندرك منه ثأراً بما أصاب منا . ففعلوا .

ففيهم يقال أنزل الله عز وجل : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ^(١) » .

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير ، وحرّكوا لذلك من أطاعهم من القبائل وخرّصوهم عليه وخرجوا بجمدهم وجدّهم وأحايشهم ومن تابعهم من بنى كدانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظعن ^(٢) النماس الحفيظة وأن لا يفرّوا ، ففرج أبو سفيان بن حرب وكان قائد الناس همد بنت عتبة ، وكذلك سائر أشراف قريش وكبرائهم خرجوا معهم بنسائهم .

وكان جبير بن مطعم قد أمر غلامه وحشيًا الحبشي بالخروج مع الناس وقال له : إن قتلت حمزة عم محمد بعتي طميمة بن عدي فأنت عتيق . فكانت همد بنت عتبة كلما مرت بوحشي أو مرّ بها قالت : قُبِها ^(٣) أبادنيمة ، وهي كديته ، اشف واشتف ^(٤) .

(١) سورة آل عمران .

(٢) الظعن : النساء . وأصل الظمينة : المرأة المودج .

(٣) وبها : كلمة للتحريض والتشجيع .

(٤) ابن هشام : واشتشف ومن هنا أصح .

فأقبلوا حتى نزلوا بمَينين ، جبل^(١) ببطن السَّبَخَة من قِساء على شَفِيرِ
الوادي مقابل المدينة .

[الرسول يشاور أصحابه]

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيث
نزلوا ، قال عليه السلام : إني قد رأيت والله خيراً ، رأيت بَقَرًا تُذْخِجُ ،
ورأيت في ذُبَابٍ^(٢) سيفي ثَلَمًا ، فأما البقر ، فهي ناس من أصحابي يُقْتَلُونَ
وأما الثلم الذي في ذُبَابٍ سبفي فهو رجل من أهل يَدِي يُقْتَلُ ، ورأيت أني
أدخلت يدي في دِرْعٍ حصينة فأولئها المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة
وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشرّ مُقام وإن هم دخلوا علينا
قاتلناهم فيها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج وكان عبد الله بن أبي
بري رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فقال رجل من المسلمين بمن
أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره بمن كان فاتمه بدر : يا رسول الله ، اخرج
بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جَبَنًا عنهم . فقال عبد الله بن أبي : يا رسول الله
أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب
منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا
بشرّ تحبّس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورمائم العبيان والنساء
بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا .

[خروج الرسول والمسلمين]

فلم يزل برسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الذين كان من أمرهم حُبّ لقاء

(١) ابن هشام : بجبل . وما هنا أصح . فإن مَينين جبل بأحد ، كما في القاموس

(٢) الذباب : حد السيف . والثلم : الكسر .

العدو ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فابس لأمته وذلك يوم الجمعة حين فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، وقدمات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له عمرو أخو بني النجار ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم وقد نديم الناس ، فقالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقم صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ينبغي للذي إذا ابس لأمته أن يعضها حتى يقاتل » .

فخرج في ألف من أصحابه ، حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبي بن ثلث الناس وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس . فرجع بمن اتبعه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول : يا قوم أذكركم الله أن تتخذوا قومكم ونبيكم عند ما حضر من عدوم . قالوا : لو نعلم أنكم تقتلون ما أسلمناكم ، ولـكنا لا ندرى أنه يكون قتال . فلما استمعوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرّة بني حارثة ، فذَبَّ^(١) فرسٌ بذنبه فأصاب كلاب^(٢) سيفٍ فاستلّه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحب الفأل ولا يمتاف^(٣) :

« يا صاحب السيف شِمَّ^(٤) سيفك فإني أرى السيوف تسفل اليوم » .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رجل يخرج بنا على القوم

(١) ذب : ضرب .

(٢) الكلاب : ذؤابة السيف ، أو مسمار في طرفه .

(٣) لا يمتاف : لا يتطير .

(٤) شِم سيفك : اغمدته . وهو من أفعال الأسداد .

من كَتَبَ أَى من قُرْب ، من طريق لا تَمَرَّ بها عليهم ؟ فقال أبو خيثمة
أخو بني حارثة : أنا يا رسول الله .

فنفذ به في حَرَّة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك في مالٍ إِمْرَبَع بن
قَيْظَى ، وكان مفاقاً ضرير البصر ، فلما سمع حسن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يَمْحُو التراب في وجوههم ويقول :
إن كنت رسول الله فإني لا أُحِلُّ لك أن تدخل حائطى . وذكر أنه أخذ
حفنة من تراب في يده ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد
لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه فقال "رسول الله صلى الله عليه
وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الأعشى أعمى القلب أعمى البصر ا .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فجعل
ظَهْرَهُ وعسكره إلى أحد وقال : لا يقاتلن أحدٌ حتى نأمره بالقتال .
وقد سرَّحت قريش الظَّهر والسكرَاع^(١) في زروع كانت للمسلمين فقال
رجل من الأنصار : أترعى زروع بني قَيْظَةَ^(٢) وأما نُضَارِبُ ا

[الرسول بمعنى جيشه]

وتعفى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سَبْعِمِائَةِ رجل ،
وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف ، وهو مُعَلَّم يومئذ
بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً فقال : انضَحْ^(٣) الخليل عما لا يأتوننا من
خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نُؤْنِنُ من قبلك .

(١) الظَّهر : الإبل . والسكرَاع : الخيل .

(٢) بنو قَيْظَةَ : الأوس والمزرج .

(٣) انضَحْ : ادفع .

وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين دِرْعَيْن ، ودفع اللواء إلى مُصَنَّب بن عُمر أخى نبي عبد الدار .

[تعبئة قريش]

وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومهمهم مائتا فرس قد جَنَّبُوها ، فجعلوا على ميمنة الخليل خالد بن الوليد وعلى الميسرة عِكْرِمَة بن أبي جهل .
[أمر أبي عامر]

وقد كان أبو عامر عبد عمرو بن صَفِيَّة من الأوس ، خرج عن قومه إلى مكة مباعدًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان بِعِدِّ قريشًا أن لو آتَى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من اتهم أبو عامر في الأحابيش وعُبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنتم الله بك عينا يا فاسق . وبذلك سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى في الجاهلية الراهب ، فلما سمع رُدُّهم عليه ، قال : لقد أصاب قومي بعمى شرًّا ثم قاتلهم قتالًا شديدًا ثم راضخهم بالحجارة .

وقال أبو سفيان يومئذ لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك : يا بني عبد الدار إنكم قد رايتُم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رايتُم ، وإنما يُؤتَى الناس من قِبَل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإِنَّا أن تَكْفُونَا لواءنا وإِما أن نُخْلَوْا بيدينا ويديه فكفيناكموه . فهمُّوا به وتواعدوه وقالوا : أنحن نُسلم إليك لواءنا استسلم غدا إذا التقينا كيف نصنع وذلك أراد أبو سفيان .

[القتال]

فاقتتل الناس حتى حُجِّيت الحرب .

وقاتل أبو دُجَانَة سِمَاك بن خَرِشَة أخو بني ساعدة ، حتى أَمعن في الناس ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسيِّفٍ عنده : من يأخذ

هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجَانَةَ فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به العدو حتى ينحني . قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه . فأعطاه إياه ، وكان أبو دُجَانَةَ رجلاً شجاعاً مختالاً عند الحرب ، وكان إذا أُعْلِمَ بمصيبة له حمرأه فاعتصب بها عِلْمُ الناس أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فمصبب بها رأسه ، ثم جعل يتبختر بين الصّفين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه يتبختر : إنها لمشيئة بينكما الله إلا في مثل هذا الموطن !

وكان الزبير بن العوام قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك السيف مع من سأله منه فدعه إياه ، فقال : وجدت في نفسي حين سأته إياه فدعته وأعطاه أبا دُجَانَةَ ، وقلت : أنا ابن صفيّة عمته ومن قريش وقد قتت إليه فسأته إياه قبله فأعطاه إياه وتركني ! والله لأنظرن ما يصنع ، فأتبعته ، فأخرج عصابة حمرأه فمصبب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجَانَةَ عصابة الموت ! وهكذا كانت تقول له إذا تمصّب بها ، فخرج وهو يقول : أنا الذي عاهدتني خليلي وعن بالسيف لدى الفخيل أن لا أفوم الدهر في السكّول^(١) أضرب بسيف الله والرسول فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله ، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذفّ^(٢) عليه ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دُجَانَةَ فاتقاه بدرقه^(٣) فمضت سيفه ، وضربه أبو دُجَانَةَ فقتله ، ثم رأته قد حمل

(١) السكّول : آخر صفوف الحرب .

(٢) ذفّ : أجهز .

(٣) الدرقة : ترس من جلد بلا خشب .

السيف على فُرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها ، قال الزبير :
فقلت الله ورسوله أعلم .

وقال أبو دُجانة : رأيت إنساناً يَحْمِشُ^(١) الناس خشاً شديداً فصعدت
إليه^(٢) ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمت سيف
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

[استشهد - اد حمزة]

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أحد الدفر^(٣) الذين كانوا يحملون
اللوام من بني عبد الدار ، وكان جُبَيْر بن مطعم قد وعد غلامه وحشيًا بالعتق
إذا قتل حمزة بعمه طعينة بن عدي المقتول يوم بدر ، قال وحشي : فخرجت
مع الناس وكنت رجلاً حبشياً أفذف بالحرية قَذَف الحبشة قل ما أخطئ
بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة حتى رأته في عرض الناس
مثل الجمل الأورق^(٤) يهتأ الناس بسيفه هذا ما يقوم له شيء ، فوالله إني
لأنهياً له أريده وأستقر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع
ابن عبد العزى الغبشاني ، فلما رآه حمزة قال له : هلم إلى يا ابن مقطعة البظور .
وكانت أمه ختانة بمكة ، قال : فضربه ضربة فسكأنما أخطأ رأسه ، قال :
وهزئت حررتي حتى إذا رضيت مهزأ فتمتها عليه فوقعت في ثلثته حتى خرجت
من بين رجله وذهب اينوه نحوى فذاب وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتته

(١) يحمش : يضرب .

(٢) ابن هشام : فعدت له .

(٣) وهو أرملة بن عبد شرجيل بن هاشم .

(٤) الأورق من الإبل : ما ن لونه يبيض إلى سواد ، وهو من أطيب الإبل سبوا

وعلا .

فأخذت حربى ورجعت إلى العسكر فعمدت فيه ، ولم تسكن لى بغيره حاجة ،
إنما قتلت لأعتق .

فلما قدمت مكة عتقت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت إلى الطائف فكنت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُسلموا تعييت على المذاهب ، فوالله إني أنى ذلك إذ قال لى رجل : ويحك إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل فى دينه ، فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يرعه إلا بى قائماً على رأسه أتشهد شهادة الحق ، فلما رآنى قال : أوحشنى ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : اقمى حدثنى كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال : ويحك اغييب عنى وجهك . فكنت أنفكبه صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يرانى حتى قبضه الله تعالى .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلة الكذاب خرجت معهم وأخذت بحربى التى قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس رأيت مسيلة قائماً فى يده السيف وما أعرفه ، فتهيأت له وتهيأ له رجل من الأنصار من الداحية الأخرى كلاًنا يريده ، فمزرت حربى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه وشده عليه الأنصارى فضربه بالسيف ، فربك أعلم أبنا قتله ، فإن كنت قتلت فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عم رسول الله ، وقد قتلت شر الناس .

وذكر ابن إسحاق بإسناد له إلى عبد الله بن عمر ، وكان شهد البامة قال : سمعت يومئذ صارخاً يقول : قتله العبد الأسود .

قال ابن إسحاق : فبأنى أن وحشياً لم يزل يُحد فى الخمر حتى خلع من الدبوان . فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : قد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة .

قال ابن إسحاق :

وقاتل مُصَنَّب بن عُمَيْرَ دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله ابن قَمِيْثَةَ^(١) لائِثِي ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : قتلتُ محمداً .

فلما قُتِلَ مصعب أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواءَ عليَّ بن أبي طالب ، فقاتل عليَّ ورجال من المسلمين .

ولما اشتد القتال يومئذ جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار وأرسل إلى عليٍّ أن قدَّم الراية ، فقدم فقال أنا أبو القُصَمِ^(٢) فناداه أبو سعد بن أبي طلحة : هل لك يا أبا القُصَمِ في البراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرزوا بين الصنفين فاختلعا ضربتين فضربه عليٌّ فصرعه ثم انصرف ولم يجرز عليه ، فقال له أصحابه : أؤلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بمورته فمطأنتني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله .

ويقال : إن أبا سعد هذا خرج بين الصنفين وطالب من يبارزه مراراً فلم يخرج إليه أحد ، فقال : يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار ، كذبهم واللات لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إلى بعضكم . فخرج إليه عليٌّ فاختلعا ضربتيه فقتله عليٌّ . وقد قيل إن سعد بن أبي وقاص هو الذي قتل أبا سعد هذا .

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقتل مُسَافِحَ بن طلحة وأخاه الجَلَّاسَ بن طلحة ، كلاهما بِشَعره سهماً فيأني أمه فيضع رأسه في حجرها فتقول : يا بني من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً يقول حين رماني : خذها

(١) كذا بالأصل والعلوي ، ون ابن هشام : ابن قنفة .

(٢) في اللسان : قصم ، مثل قُصِمَ : يحطم ما يلقي . والقصم : دق القوم .

وأنا بن أبي الأفلح . فذرت إن أمكنتها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركاً ولا يمسّه مشرك أبداً ، فغمم الله له ذلك حياً وميتاً حسب ما نذره عند مقتل عاصم على الجميع ، ماء لهذيل ، إن شاء الله تعالى .

والتقى يوم أحد حفظة بن أبي عامر القسيلي وأبو سفيان ، فلما استملا حفظة رآه شداد بن الأسود بن شؤوب قد عملاً أبا سفيان فضر به شداد فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم ، يعني حفظة ، اتفّسه الملائكة فسألوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت صاحبة ، فقالت : خرج وهو جُنُب حين سمع المانعة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسلته الملائكة . ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدّقهم وعده فحشّوم^(١) بالسيوف حتى كشفوم عن العسكر ونهكوم قتلاً .

وقد حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات ، كل ذلك تُنفضح بالقبيل فترجع مقلولة ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .

فلما أبصر الرماة الخمدون أن الله قد فتح لإخوانهم قالوا : والله ما نجلس هنا لشيء ، قد أهلك الله العدو ، وإخواننا في عسكر المشركين ، فتركوا منازلهم التي عهد إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يتركوها ، وتنازعوا وفشلوا ، وعصوا الرسول فأوجفت الخيل فيهم قتلاً ، ولم يكن تبيل ينقصها ووجدت مدخلا عليهم ، فكان ذلك سبب الهزيمة على المسلمين بعد أن كانت لهم .

قال الزبير بن العوام رضى الله عنه : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدَم^(٢)

(١) حشوم : قتلوم واستأسلوم .

(٢) الخدم : الساق أو الخنخال .

هند بنت عُتبة وصواحبها مكشفات هوارب ، مادُون أخذهن قليل ولا كثير ،
إذ مالت الرماة إلى المسكر حين كشفنا القوم عنه ، وخلّوا ظهورنا للخيل ،
فأنتننا من خافتنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قُتل ، فانكفأنا وانكفأ
عيننا القوم بعد أن أصبدا أصحاب اللواء ، حتى ما يدنو منه أحد من القوم .
وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، ويقال إن الصارخ هو
الشیطان .

وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة .
حتى خلّص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذُت بالحجارة ^(١) حتى
وقع أشقته فأصيبت رباعيته وكَلِمَت شفته وشجّ في وجهه فجعل الدم يسيل على
وجهه ، وجعل صلى الله عليه وسلم يسحبه ويقول : « كيف يفلح قوم خضبوا
وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ! » .
فأنزل الله في ذلك : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم
فإنهم ظالمون » ^(٢) .

وكان الذي كسّر رباعيته وجرح شفته عُتبة بن أبي وقاص وشجّه عبد الله
ابن شهاب الزهري في جبهته وجرح ابن قتيبة وجنّته فدخلت خلقتان من
حلق المَغْر في وجفته ، ووقع صلوات الله عليه في حفرة من الحفر التي عمل
أبو عامر ليقيم فيها المسلمون وهم لا يعلمون فأخذ على بن أبي طالب بيده ورفع
طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، ومضى مالك بن سنان والد أبي سعيد
ألتدري الدم من وجهه ثم ازدرد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من مسّ دمه دمي لم تصبه النار » .

(١) دث : رمي وأصيب .

(٢) سورة آل عمران ١٢٨ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على الأرض فليتنظر إلى طليحة » .

ونزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين من وجهه صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته ، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى ، فكان ساقط الثنيتين .

وكان سعد بن أبي وقاص يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط حرصى على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وهو أخوه ، وإن كان ما علمت لبيء الخلق مبغضاً في قومه ، ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضب الله على من دعى وجه رسول الله ^(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم : « من رجل يشترى لنا نفسه ؟ » فقام زياد بن السكك في نفر خمسة من الأنصار ، وبعض الناس يقولون : « إنما هو عمارة بن زياد بن السكك » ، فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ثم رجلاً ، يقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم جاءت فئة من المسلمين فأجهضوه ^(٢) عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه مني . فأدنوه منه فوضعه قدمه ، فمات وخذته على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقالت أم عمارة نسيبه ^(٣) بنت كعب المازنية يومئذ قالت : خرجت

(١) ابن هشام : وجه رسوله .

(٢) أجهضوه : أزالوه وغلبوه .

(٣) نسبه : بفتح النون وكسر السين للهجاء ، كما ضبطها في الإكمال والتصغير والإسابة وغيرهم . وضبطها بالتصغير وهم ، إنما هذا في نسبة أم عطية فقهه في أم عمارة غلط . انظر شرح المواهب ٤١/٢ .

أول النهار وأنا أنظر ما يصدع الناس ومعى سقاء فيه ماء ، فأنتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة والريح المسلمين ، فلما انهزم المسلمون انخرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت أباشر القتال وأدبته بالسيف وأرمى عن القوس ، حتى خَلَصْتُ الجراح إلى .

قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قميصة أقامه الله ، لما ولّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : ذأوني على محمد فلا نجوت إن نجيا . فاعترضته أنا ومصعب بن عمير وأناس من ثبث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ، واقتد ضربته على ذلك ضرباتٍ واسكن عدو الله كانت عليه درعان .

وترأس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دُجَّانة بنفسه ، بقع النبل في ظهره وهو ملتحق عليه ، حتى كثر فيه النبل .

ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال سعد : فلقد رأيته يفاوضي النبل ويقول : ارم فذاك أبي وأمي حتى إنه يداؤني السهم ماله من نعل فيقول : ارم به .

ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى اندقت سيئتها . وأصيب يومئذ عيْنُ قتادة بن النعمان فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فسكانت أحسن عينيه وأحدهما .

وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف فتمتيم وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله ففزع .

وأتى أسد بن النضر عم أس بن مالك وبه سمي ، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم ،

فقال : ما يُجالسكم ؟ قالوا : لقد قُتل محمد رسول الله . قال : فما تصنعون بالحياة بعده ! قوموا ففوتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم استقبل الذومَ فقاتل حتى قُتل رحمه الله تعالى .

وروى حميد عن أنس ، أن عمه أنس بن النضر هذا غاب عن قتال يوم بدر ، فقال : غيبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين ابن أشهدني الله قتالاً ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، يعني المشركين ، واعتذر إليك مما جاء به هؤلاء ، يعني المسلمين ، ثم مشى بسيفه فلقى سمع بن معاذ فقال : أي سمع والذي نفسي بيده إني لأجد ربح الجنة دون أحد ! واهأ لريح الجنة . فقال سمع : فما استطعت يا رسول الله ما صنع . فوجدناه بين القتلى وبه بضع وثمانون جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ، وقد مثلوا به حتى عرفته أخته ببذانه .

قال أنس : كما نقول أنزلت هذه الآية : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ^(١) » فيه وفي أصحابه .

قال ابن إسحاق : وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وتحدث الناس بقتله : كعب بن مالك الأنصاري ، قال : عرفت عينيه تزهرا نحت الميقر فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأشار إلي أن أنصت . فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ، معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وهلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام والحارث بن الصمة ، ورهط من المسلمين .

* * *

فلما أُسْنَدَ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشَّعْبِ أدركه أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوتُ إن نجنا ! فقال القوم : يا رسول الله أبعطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال : دعوه . فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصَّمَّةِ ، يقول بعض القوم : فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضةً تطايرنا عنه تطاير الشعراء^(٢) من ظهر البعير إذا انتفض بها ، ثم استقبله فطعمه في عنقه طعمَةً تَدَأْدَأُ^(٣) منها عن فرسه مراراً .

وكان أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يلتقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد إن عندي العوذ ، فرساً أعلفه كل يوم فرقاً^(٤) من ذُرَّةِ أَفْطَلِكْ عليه . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أَفْطَلِكْ إن شاء الله .

فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم قال : قتلتني والله محمد ! فقالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك بأس قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أَفْطَلِكْ . فوالله لو بصق عليّ لقتلتني .

فماز عدو الله بسرف^(٥) وهم قائلون به إلى مكة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال يومئذ : « اشتدَّ غضبُ الله على رجل قتل رسول الله » . فسُحِقَتْهُ لأصحاب السدير .

* * *

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشَّعْبِ خرج على بن

(١) أُسْنَدَ : صعد . أي استند إلى جانب من الجبل .

(٢) الشعراء : ذباب له ليع .

(٣) تَدَأْدَأُ : تفلج عن فرسه فجعل يتدسرج .

(٤) الفرق : مكيال يسع ستاً عشر دنا ، أو اثني عشر رطلا .

(٥) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

أبى طالب حتى ملأ دَرَقَتَهُ من المِهْرَاس^(١) ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجد له ريحاً فمافه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم فغضب على رأسه وهو يقول : « اشتد غضب الله على من دى وجهه رسول الله » .

فَبَيَّنَّا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب معه أوائلك الفهر من أصحابه إذا علت عالية من قريش الجبل فقال : « اللهم إنه لا ينبغي لم أن يَمْلُونَا » فقاتل عمرُ بن الخطاب ومعه رهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل . ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلموها فلم يستطع ، وقد كان بَدَنُ^(٢) وظاهر بين درعين ، فجلس تحتها طلحةُ بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : أَوْجَبَ طَلْحَةُ^(٣) . وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهر يومئذ قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

* * *

ولما خرج صلى الله عليه وسلم إلى أحد رُفِيع حُسَيْل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وثابت بن قيس في الآكام مع النساء والصبيان فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : لا أبالك أ ما تنتظر ؟ فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلا ظم^(٤) حمار ، إنما نحن هامة اليوم^(٥) أو غد ، أفلا تأخذ

(١) المهراس : ماء بأحد .

(٢) بدن : عظم جسمه . أو أسن وضف .

(٣) أى وجبت له الجنة .

(٤) الظم : ما بين الشرعين والوردين ، والمراد : ما بقى لا يسير ، لأنه ليس نبي أقصر : طلباً منه .

(٥) هامة : يريد موتى ، والهامة طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتل يصبح طلباً للتأر له .

أسيافنا ثم نلتحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله يرزقنا الشهادة معه ؟
فأخذنا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الداس ولم يعلم بهما .

فأما ثابت فقتله للمشركون ، وأما حُسَيْل فاختلقت عليه أسياف المسلمين
فقتلوه وهم لا يعلمون ، فقال حذيفة : أبى ا قالوا : والله إن عرفناه . وصدقوا .
قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . فأراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يديه فتصدق حذيفة بدينته على المسلمين ، فزاده عند رسول الله خيرا .

| خبر نخير بق |

وكان ممن قُتِل يوم أحد نخير بق من أحرار اليهود ، وقد تقدم خبره
وكيف قال يومئذ ليهود : لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق . فعملوا عليه بأنه
يوم السبت ، فقال لهم : لا سبت لكم . وأخذ سيفه وعدته فلحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قُتِل بعد أن قال : إن أصبت فإلى محمد يصنع
فيه ما شاء . وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نخير بق خير يهود » .

وكان عمرو بن ثابت بن وقش أصيرم بنى عبد الأشهل يأتى الإسلام على
قومه ، فلما كان يوم أحد بداه في الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ففدا حتى دخل
في غرض الداس فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، فبينما رجال من بنى عبد الأشهل
يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ما جاء به ؟
لقد تركناه وإنه لمسكر لهذا الحديث . فسألوه ما جاء بك يا عمرو ؟ أحذب على
قومك أم رغبة في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله
وأسلمت ثم أخذت سيفي ففدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت
حتى أصابني ما أصابني . ثم لم يلبث أن مات في أيديهم فذكروه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : إنه لمن أهل الجنة .

وكان أبو هريرة يقول : حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط ؟ فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو ؟ فيقول : أصيرم بنى عبد الأشهل .

* * *

وكان عمرو بن الجُمُوح أعرجَ شديد العرج ، وكان له بفون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا : إن الله قد عذرك . فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن بنى يريدون أن يعبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه فى الجنة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك » . وقال لبنيه : « ما عليكم أن لا تملوه لعل الله يرزقه الشهادة » فخرج معه فقتل ، رحمه الله .

* * *

ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتى معها يمتلن بالقتلى من المسلمين يحدثن الآذان والأنوف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدما^(١) وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشياً قائل حمزة ، وبعرت عن كبد حمزة رضى الله عنه فلا كتبها فلم تستطع أن أسيغها فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها :

نحن جزيـناكم يوم بدر والحربُ بعد الحرب ذات سُمُرٍ^(٢)
ما كان عن عُتْبَةٍ لى من صبر ولا أخى وعـه وبـكـرٍ
شقيتُ نفسى وقصيت نذرى شفيت وحشى غليل صدرى

(١) الخدم : الملائيل .

(٢) السمر : الشدة والقرم .

فشكر وحشى على عمري حتى ترم أضلأى فى قبرى^(١)
فأجابها هند بنت أئانة بن عباد بن المطلب فقالت :

خزيت فى بدر وبعد بدر يا بنت وقاع عظيم الكفر
صباحك الله غداة الفجر بالمشامين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى حمزة لىلى وهلى صقرى
إذرام شيب وأبوك غدرى نفضها منه ضواحي النجر
ونذكرك سوء فشر نذر

وقد كان الحليس بن زبآن أخو بنى الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ
سيد الأحابيش ، مر بأبى سفيان وهو يضرب فى شدة حمزة بن عبد المطلب بزج
الرمح ويقول : ذق عقق^(٢) ، فقال الحليس : يا بنى كدانة هذا سيد قرىش يصنع
بابن عمه ما ترون لحما . فقال : ويحك اكتبها عني فإنها كانت زلة .

* * *

ثم إن أبى سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى
صوته : أنعمت فعال^(٣) ، إن الحرب سجال يوم يوم بدر ، أعل هبل . أى
ظهر دينك^(٤) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عمر فأجبه . فقل : « الله أعل »

(١) ترم : تلى .

(٢) عقق : أراد باعق . فعده إلى صيفة (فعل) .

(٣) أنعمت : بفتح الاء : خطاب نفسه ، وبسكونها يريد الحرب أو الواقعة ، أو أن
الأزلام أجابت بنعم . وفعال اسم للفعل الحسن ، وقال السهيلي : فعال : أمر ، أى عال عنها
وأنصر عن لومها ، تقول العرب : أعل عى وعال ، بمعنى ارتفع عى ودعى .

(٤) ابن هشام : أى أظهر دينك .

وأجلّ ، لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاك في النار » .

وفي الصحيح من حديث البراء أن أبا سفيان قال : لما العزى ولا عزى لكم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال قولوا : « الله مولانا ولا مولى لكم » .

وفيه أيضاً : أن أبا سفيان أشرف يوم أحد فقال : أرى القوم محمد ؟ فقال : لا نجيبوه . فقال أرى القوم ابن أبي قحافة ؟ قال : لا نجيبوه . قال : أرى القوم ابن الخطاب ؟ قال : لا نجيبوه فلما لم يجبه أحد قال : إن هؤلاء قتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدو الله قد أبى الله لك ما يحزبك .

قال ابن إسحق : فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له : هلم إلى يا عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : ابته فانظر ما شأنه . فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر : أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق صدى من ابن قتيبة^(١) وأبر . أقول ابن قتيبة لهم : إنى قد قتلت محمداً ، ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مثل^(٢) ، والله ما رصيت وما سخطت ، وما أمرت وما نهيت .

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر العام التالي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل : نعم هو بيننا وبينكم موعد .

* * *

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال : اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جفبوا الخيل

(١) كذا بالأسل والطبري : وى ابن هشام وابن كثير : ابن قتيبة .

(٢) المثل : كالمثلة ، التشكيل بالقتل .

وامتطوا الإبلَ فإنهم يبدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة ، والذي نفسى بيده انن أرادوها لأسيرنَ إليهم منها ثم لأنجزنهم فخرج على فرآهم قد جيبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة .

وفرغ للناسُ اقتتالهم وانتشروا ببتغونهم ، فلم يجدوا قتيلًا إلا وقد مثلوا به إلا خنظلة بن أبي عامر ، فإن أباه كان مع المشركين فتركوه له ، وزعموا أن أباه وقف عليه قتيلًا فدفع صدره بقدمه وقال : قد تقدمتُ إليك في مصرعك هذا ، وامر الله إن كنت أو اصلا للرحم برأ بالوالدة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجلٌ ينظر لى ما فعل سعد ابن الربيع ، أى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أما أنظر لك يا رسول الله ما فعل . فنظر فوجده جريحاً فى القتلى وبه رمق ، قال فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر أى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : أنا فى الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له : إن سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته ، وأبلغ قومك السلام عنى وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خيلكم إلى نبيكم وفيكم من عائن تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات . فبغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

وفى سعد هذا يقول أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد دخل عليه رجل وهلى صدره بنتٌ اسمها جارية صغيرة يرشفها ويقبلها فقال الرجل : من هذه ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : بنت رجل خير منى ، سعد بن الربيع ، كان من الأقباء ليلة العقبة وشهد بدرًا ، واستشهد يوم أحد .

[حزن الرسول على حمزة]

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي قد بُقِر بطنه عن كبده ومثّل به فجُدع أنفه وأذناه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى ما رأى : « لولا أن تحزن صفية ويكون سُنَّة من بعدى لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثّلت بثلاثين رجلاً منهم » .

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغِيظه على من فعل بعمه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظهرنا الله بهم يوماً من الدهر لثمنان بهم مُثْلَةٌ لم يمثّلها أحدٌ من العرب . فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ، فَبِمَا قَالَهُ مِنْ ذَلِكَ رَسُولُهُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ^(١) » فَعَفَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَبَرَ وَنَهَى عَنِ الْمُثْلَةِ .

ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقف على حمزة قال : ان أصاب بمثلك أبداً ما وقفتُ موقفاً قط أغْضِظُ لى من هذا . ثم قال : جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة ابن عبد المطلب أسدُ الله وأسدرسوله .

ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجّى بيزده ، ثم صلى عليه

فكبر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى ، بوضعون إلى حمزة وصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة .

وأقيات صفية بنت عبد المطلب انتظرت إليه ، وكان أخاها لأبيها وأماها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : ألقها فأرجعها ، لا ترى ما بأخيها . فقال لها : يا أمه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي . قالت ولم ؟ وقد بلغتني أن قد مثل بأخي ، وذلك في الله ، فما أَرْضَانَا ، أكان من ذلك ، لأحسنين ولأصبرين إن شاء الله . فلما أخبر الزبير بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : خَلَّ سبيلها . فأنته فنظرت إليه فصَلَّت عليه واسترجعت واستغفرت له .

ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن .

وزعم آل عبد الله بن جعش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفن عبد الله بن جعش مع حمزة في قبره ، وهو ابن أخته أميمة بنت عبد المطلب ، وكان قد مثل به كما مثل بخاله حمزة ، إلا أنه لم يُبْقَر عن كبده وجُدع أنفه وأذناه ، فلذلك يقال له : المجدع في الله .

وكان في أول النهار قد لقي سَمَدَ بن أبي وقاص فقال له عبد الله : هلم ياسمعد فلنَدْعُ الله وليذكر كل واحد منا حاجته في دعائه وأُيْمُؤَمِنُ الآخر . فقال سمعد : يارب إذا لقيت العدو فلقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حَرْدَه أقاتله فيك وبقاتلني ثم ارزقني الظم عليه حتى أقتله وأُسْلِبْه سَلْبَه . فأَمِنَ عبد الله بن جعش ثم قال : اللهم ارزقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حَرْدَه أقاتله فيك وبقاتلني ثم يَجْدَعُ أنفي وأذني ، فإذا لقيت غداً قلت لي : يا عبد الله فبم جُدع أنفك وأذناك ؟ فأقول : فيك يارب وفي رسولك . فتقول لي : صدقت . فأَمِنَ سمعد على دعوته .

قال سعد : كانت دعوة عبد الله خيرا من دعوتي ، لقد رأيت آحر
النهار وإن أذنيه وأنته معلقتان في خيط ، ولقيت أنا فلانا من المشركين
فقتلته وأخذت سلبه .

وذكر الزبير أن سيف الله عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد فأعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فماد في يده سيفاً قائمه معه ، فقاتل به
فكان ذلك السيف يسمى المرجون ، ولم يزل هذا يتوارث حتى بيع من
بقا التركي بمائتي دينار .

[دفن الشهداء]

واحتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنهم بها ، ثم نسي
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال : ادفنهم حيث صرّعوا .

ولما أشرف صلوات الله عليه وسلامه يوم أحد على القتلى قال : أنا شهيد
على هؤلاء ، إنه ما من جريح يُجرَح في الله إلا والله ببعثه يوم القيامة
يذمي جرحه اللون لون دم والريح ريح مسك ، انظروا أكثر هؤلاء
جماً للقرآن فاجملوه إمام أصحابه في القبر . وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة
في القبر الواحد .

وقال يومئذ حين أمر بدفن القتلى : انظروا عمرو بن الجوح وعبد
الله بن عمرو بن حرام ، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا فاجملوهما في
قبر واحد .

وذكر مالك بن أنس في موطئه أن السيل حفر قبرهما بعد زمان فخر
عنهما ليغيرا من مكانهما ، فوجدا لم يتغيرا كما ماانا الأوس ، وكان

أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميطت يده
عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين أحد وبين يوم
خُفِرَ عنهما ست وأربعون سنة .

[رجوع الرسول إلى المدينة]

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة فاقبضته حمزة بنت
جحش ، فلما اقيمت اللباس نعى لها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت
واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت
له ، ثم نعى لها زوجها مُصَنَّب بن عجير فصاحت وزلّوات فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « إن زوج المرأة منها ليمسكها » لما رأى من تنبّتها على
أخيها وخالها وصياحها على زوجها .

[بكاء الشهداء]

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار فسمع البكاء
والدوايح على قتلاهم ، فذرفت عيناه فبكى ثم قال : اسكن حمزة لا بواكى له !
فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حُضَيْر إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا
نساءهما أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ففعلا ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن
وهن على باب المسجد يبكين عليه فقال : ارجعن يرحمكن الله فقد آستين بأنفسكن .
وقيل إنه لما سمع بكاءهن قال . رحم الله الأنصار ، فإن المواساة منهم ما علمت
أقديمة ، مروهن فليدعفرن .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم في انصرافه بامرأة من بنى دينار وقد
أصيب زوجها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نموا لما قالت :
فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان هو بمحمد الله كما

تحيين . قالت : أرونيه حتى أنظر إليه . فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جلل أنريد صغيرة^(١) .

* * *

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنه فاطمة فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقني اليوم ، وناولها علي ابن أبي طالب سيفه وقال : وهذا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حذيف وأبو دجانة .

وكان يقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذو الفقار . وبأدى مفاد يوم أحد :

لا سيف إلا ذو الفقار ر ولا فتى إلا علي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : « لا يصيب المشركون منا مثلاًها حتى يفتح الله علينا » .

[غزوة حراء الأسد]

وكان يوم أحد يوم السبت للهِف من شوال .

فلما كان الغد منه يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلب العدو ، وأذن مؤذنه : أن لا يخرج من معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس .

فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال : يا رسول الله كان أبي

(١) قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل والكثير . وهو ما هنا القليل ، قال امرؤ القيس :

لقتل بني أسد ربهم ألا كل شيء خلاه جلل
أي صغير وقليل .

خلفني على أخوات لي سبع وقال : « يا بُنَيَّ إنه لا ينبغي لي أو لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، واستُ بالذي أوترك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ، فتخلف على أخواتك . فتخلفت عليهن . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه .

وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو آتياً بهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يؤمنهم عن عدوهم .

وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخوان من بني عبد الأشهل فرجاً جريحين ، قال أحدهما : فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي أو قال لي : أنقوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٢ والله مالدا من دابة تركبها وما منا إلا جريح ثقيل . فخرجنا وكنت أيسر جرحاً منه ، فسكان إذا غلب حملته ، عقيبته^(١) ومشى عقبه ، حتى انتهى إلى ما انتهى عليه^(٢) المسلمون .

وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خروجه إلى خمراء الأسد ، على ثمانية أميال من المدينة . فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة .

وقد مر به هناك مئبد من أبي مئبد الخزاعي ، وكانت خزاعة مسلمهم ومشرکهم عبيد نصيح^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم بهامة ، صدقتهم^(٤) معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومئبد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد أما والله لقد عز عنا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافك فيهم .

(١) العقبه : التوبة .

(٢) ابن هشام : إليه .

(٣) العيبة : وضع السر .

(٤) صدقتهم : حلفهم .

ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمحمراء الأسد ، حتى أتى أبا سفيان ابن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدة أصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم ترجع قبل أن نستأصلهم ! لنكرن على بقيتهم فلفرغن منهم . فلما رأى أبو سفيان ممبداً قال : ما وراءك يا ممبدا ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان يخاف عه في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الخلق عليكم شيء لم أر مثله قط . فقال : ويحك ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترنحل حتى ترى نواصي الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكربة عليهم لنستأصل بقيتهم . قال : فإني أنهارك عن ذلك ، والله لقد حلني ما رأيت أن قلت فيه أياناً من الشعر . قال : ما قلت ؟ قال قلت :

كادت تهذ من الأصوات راحلتى إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل^(١)
تردى بأشد كرايم لا تنالني عهد اللقاء ولا ميل معاذيل^(٢)
فظلت عدواً أظن الأرض مائلة لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لفائكم إذا تظلمت البطاح بالجليل^(٣)
إنني نذير لأهل البسل^(٤) ضاحية لكل ذي إزنة منهم ومعهول
من جيش أحمد لا وخشاً قنابله وليس يوصف ما أذرت بالاقيل^(٥)
ففتى ذلك أبا سفيان ومن معه

(١) الجرد : عناق الخيل . والأبايل : الجماعات .

(٢) تردى : تسرع .

(٣) تظلمت : اهتزت . والجليل : الصف من الناس .

(٤) أهل البسل : قريش .

(٥) الوحش : الردى . وفي ابن هشام : لا وخش تنابله . ووسيرة ابن كثير

١٠٠/٣ : لا وخش قنابله .

ومرّ به ركب من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنى عمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأجل لكم بهذه^(١) غداً زيباً بمكافئ إذا ما أتيتوها ؟ قالوا نعم . قال : فإذا وافيتهم فأخبروه أننا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه ليستأصل بقيتهم . فرّ الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه فقالوا^(٢) : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » .

وبقال إنهم لما هموا بالرجوع إلى المدينة ليستأصلوا - كما زعموا - بقيّة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم صفوان بن أمية : لا تفعلوا فإن القوم قد حَرَبُوا^(٣) وقد خشينا أن يكون لهم قتالٌ غير الذي كان ، فارجموا . فرجموا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجوع : « والذي نفسي بيده لقد سَوَّمتُ لهم حجارة لو صبَّحوا بها لسكَّنوا كأس الداهي » .

وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجهه قبل رجوعه إلى المدينة معاوية ابن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس جد عبد الله بن مروان أبا أمه وأبا عزة الجعفي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرّه بيد رُمٍّ من عليه وقد تقدم ذكر ذلك وذكر مقتله إياه في هذه الأحدث الثانية صدر غزوة أحد ، ولجأ معاوية بن المغيرة إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه على أنه إن وجد بعث ثلاث قُتل ، فأطام بعدها ونواري . فبعث النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال : إن سَكَمَ سَجْدانه بموضع كذا . فوجداه مقتلاً .

(١) ابن هشام : هذه .

(٢) ابن هشام : فقال .

(٣) حَرَبُوا : غضبوا .

[ما نزل من القرآن في أحد]

وكان يوم أحد يومَ بلاء ومصيبة وتحييص ، اختبر الله به المؤمنين وتحق به المنافقين ممن كان يُظهر الإيمان بلسانه وهو مستخف بالكفر في قلبه ، وأكرم الله فيه من أراد كرامته لشهادة من أهل ولايته .

وكان مما أنزل الله تبارك وتعالى من القرآن في شأن أحد ستون آية من آل عمران في طاعة من أطاع ، ونفاق من نافق ، وصفة ما كان في يومهم ، وتمزية المؤمنين في مصيبتهم ومعابرة من عائب منهم .

يقول الله تبارك وتعالى للبيه صلى الله عليه وسلم : « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » . أى سميع لما يقولون عليهم بما يُخفون .

« إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ فُتِنَا بِالْجَنَاحِ » أى نتخذا . والطائفتان : بدو سلمة من الخزرج وبدو حارثة من الأوس ، وهما الجناحان ، يقول الله تبارك وتعالى : « وَاللَّهُ وَابِعُهُمَا » أى المدافع عنهما ما همتا به من ذلك برحمته وعائذته حتى سلمتا ولحقنا بنبيهما . وقيل إنه لما أنزل الله تعالى في هاتين الطائفتين قائلاً : ما نحب أنألم نهم بما همتا لتولى الله إياها في ذلك .

« وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على الله وليستعن بى أعنه على أمره وأدفع عنه حتى أبلغ به وأقويه على نيته .

« وَاقْدِرْ اللَّهُ بِيَدِ رُسُلِهِ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » أى فائقكم بآياته وأمره وأدفع عنه حتى أبلغ به وأقويه على نيته .

« إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ رُسُلَكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ؟ » بلى إن تصبروا وتتقوا وباتوا كمن فورهم لهذا

يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ « أَيْ إِنْ تَصْبِرُوا
أَمْدُؤِي وَتَطِيعُوا أَمْرِي وَيَأْتِيَكُمْ مِنْ وَجْهِهِمْ هَذَا أَمْدُكُمْ بِهَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُسَوِّمِينَ أَيْ مُعَلِّمِينَ .

« وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ
عِنْدَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ « أَيْ مَا سَمَّيْتُ لَكُمْ مَنْ سَمَّيْتَهُ مِنْ جُنُودِ مَلَائِكَتِي
إِلَّا لَتَسْتَبْشِرُوا بِذَلِكَ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ إِلَيْهِ ، لَمَّا أَعْرَفَ مِنْ ضَعْفِكُمْ ، وَمَا
النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَسْلَاطَانِي وَقَدَّرْتِي ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعُرَّةَ وَالْحَكْمَ لِي لَا
إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي .

ثُمَّ قَالَ لِلْحَمْدِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ
يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ « أَيْ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْحَكْمِ شَيْءٌ فِي
عِبَادِي إِلَّا مَا أَمَرْتُكَ بِهِ فِيهِمْ ، أَوْ أَنْتُوبَ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِي فَإِنْ شِئْتُ فَعَلْتُ ،
أَوْ أَعَذَّبْتُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَيُبْحَقُ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ أَيْ عَصَوْا فَاسْتَوْجِبُوا ذَلِكَ
بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاي .

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ ذَكَرَ الْمَصِيبَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِهِمْ وَالْبَلَاءَ الَّذِي أَصَابَهُمْ وَالتَّجْهِيسَ
بِمَا كَانَ فِيهِمْ وَاتِّخَاذَهُ الشَّهَادَةِ مِنْهُمْ ، فَقَالَ تَعْزِيَةً لَهُمْ وَتَعْرِيفًا لَهُمْ فِيمَا صَنَعُوا
وَفِيمَا هُوَ صَانِعٌ لَهُمْ : « قَدْ خَلَلْتُ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنَ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ « أَيْ قَدْ مَضَتْ مِنِّي وَقَائِعُ نَقْمَةٍ فِي أَهْلِ التَّكْذِيبِ
بِرُسُلِي وَالشَّرِكِ ، فِي عَادٍ وَثَمُودٍ وَقَوْمِ لُوطٍ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ ، فَرَأَوْا مِثْلَاتِي
قَدْ مَضَتْ مِنِّي فِيهِمْ وَلَنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ مَا هُمْ عَلَيْهِ : « هَذَا بَيِّنَاتٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ « أَيْ نُورٌ وَأَدَبٌ لِمَنْ أَطَاعَنِي وَعَرَفَ أَمْرِي .

« وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا « أَيْ لَا تَغْضَبُوا وَلَا تَبْتَئِسُوا عَلَى مَا أَصَابَكُمْ

« وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ » لَكُمْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ وَالظَّاهِرُ « إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » أَيْ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ نَبِيٌّ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ عَنِّي .

« إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ » أَيْ جَرَّاحٌ « فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ » أَيْ
جَرَّاحٌ مِثْلُهَا « وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ » أَيْ نَصْرُهَا لِلْبَلَاءِ وَالْتِمَاحِصِ
« وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَبَتَّخَذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ » وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ .
« وَلَيَحْصِصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ » أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ
وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ « أَيْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا
الْجَنَّةَ فَتَصِيبُوا كَرَامَةً ثَوَابِي وَلَمْ أُخْتَبِرْكُمْ بِالشَّدَةِ وَأَبْتَلَايَكُمْ بِالْمُسْكَرَةِ حَتَّى أَعْلَمَ
صِدْقَ ذَلِكَ مِنْكُمْ ، الْإِيمَانُ بِي وَالصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي .

« وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ » أَيْ الشَّهَادَةَ « مِنْ قَبْلِ أَنْ نَلْقَاهُ » بِمَعْنَى
الَّذِينَ اسْتَهْضَمُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْخُرُوجِ بِهِمْ إِلَى عَدُوِّهِمْ
يَوْمَ أُحُدٍ لَمَّا فَاتَهُمْ مِنْ يَوْمٍ بِدَرٍ رَغْبَةً فِي الشَّهَادَةِ يَقُولُ : « فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ » .

« وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَئِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ » أَيْ لَقَوْلِ النَّاسِ : « قُتِلَ مُحَمَّدٌ . وَانْهَرَاهُمْ عَدَدُ ذَلِكَ
وَانْصَرَفَهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ . أَفَئِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ رَجَعْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ كَافِرَاتٍ كَمَا كُنْتُمْ ،
وَنَزَكْتُمْ جِهَادَ عَدُوِّكُمْ وَكُتَابَ رَبِّكُمْ وَمَا خَلَفَ نَبِيُّهُ مِنْ دِينِهِ مَعَكُمْ وَعَدَدَكُمْ
وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ فِيهَا جَاءَكُمْ بِهِ عَنِّي أَنَّهُ مَيِّتٌ عِنْدَكُمْ وَمُهَاجِرٌ لَكُمْ ؟ » « وَمَنْ
يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ » أَيْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ « فَلَنُيَخِّرَنَّ اللَّهُ شَيْئًا » أَيْ إِنْ يَنْقُصُ
ذَلِكَ عِزُّ اللَّهِ وَلَا مُلْكُهُ وَلَا سُلْطَانُهُ وَلَا قُدْرَتُهُ « وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ »
أَيْ مَنْ أَطَاعَهُ وَعَمِلَ بِأَمْرِهِ .

« وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَابًا مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ

الدنيا نُورُهُ منها ومن يُرَدُّ ثوابَ الآخرةِ نُورُهُ منها وسليجُ الشاكرين «
أى من أراد الدنيا خاصة أتاه منها ما كُتِبَ له وماله فى الآخرة من نصيب ،
ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن أتاه منها ما وعد به مع ما يُجزى
عليه فى دنياه من رزقه المقدر له ، وذلك هو جزاء الشاكرين أى الملتزمين .

« وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا » أى وكم من نبي أصابه القتلُ ومعه
جماعات من أنصاره ، فما وهنوا لفقد نبيهم وما ضعفوا عن عدوهم وما استكانوا
لما أصابهم فى الجهاد عن الله وعن دينهم ، وذلك هو الصبر « والله يحب
الصابرين » .

« وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِشْرَاقَنَا فِي
أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَفْئِدَتَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » أى فقولوا مثل
ما قالوا ، واعلموا أن ذلك بذنوب منكم فاستغفروه كما استغفروا ، وامضوا على
دينكم كما مضوا على دينهم ولا تردوا على أعقابكم راجعين ، وسلوه كما سلوه
أن يثبت أفئدتكم ويبصركم على القوم الكافرين . فكل هذا من قولم كان
وقد قُتل نبيهم ، ولم يفعلوا كما فعلتم .

« فَإِنَّمَا اللَّهُ نَوَاصِرُ الدُّنْيَا » بالظهور على عدوهم « وَحُسْنُ نَوَاصِرِ الْآخِرَةِ »
الذى به وعدم « والله يحب المحسنين » .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذِلُوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ
فَتَنقَلِبُوا خَائِبِينَ » أى عن عدوكم فتذهب دنياكم وآخرتكم .

« بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ » فإن كان ما تقولون بالسننكم
صِدْقًا عن قلوبكم فاعتصموا به ولا تنقصروا بخيره ، ولا ترجعوا كفرًا على
أعقابكم مرتدين عن دينه .

« سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ » الذي كنت به أنصركم عليهم جزاء لم بما أشركوا بي ، فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر أو ظهوراً عليكم ما اعتصمتم في واتبعتهم أمري ، وإنما أصابكم منهم ما أصابكم بذنوب قدمتموها لأنفسكم خالفتهم بها أمري وعصيتهم فيها نبي .

« وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ » أي لقد وقفت أسكم ما وعدتكم من النصر على عدوكم إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بالسيف أي نستأصلونهم قتلاً بِإِذْنِي وتسلط على أيديكم عليهم وكفى أيديهم عنكم « حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ » أي نخاذلتهم « وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ » اختلفتم فيه « وَعَصَيْتُمْ » بترك أمر نبيكم ، يعني الرعاة الذين عهد إليهم ألا يفارقوا مكانهم يخالفوا أمره حتى أني المسلمون من قبائلهم « مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ » أي الفتح لا شك فيه وهزيمة القوم من نساءهم وأموالهم « مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا » أي الذهب « وَمِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةِ » أي الذين جاهدوا في الله ولم يخالفوا إلى ما شئوا عنه « ثُمَّ مَرَّرْنَاكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَليَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ » أي أنه سبحانه وإن عاقب من يشاء من عباده ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدباً وموعظة ، فإنه غير مستوفٍ كل ماله فيهم من الحق بما أصابوا من معصية ، فضلاً من الله ورحمة .

ثم أنبئهم بالفرار عن نبيهم وهو يدعوهم ولا يعطفون عليه فقال : « إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَنَابَكُمْ عَنْكُمْ يَوْمَئِذٍ » أي كرباً بعد كرب يقتل من قُتِلَ من إخوانكم وعلو عدوكم عليكم وما وقع في أنفسكم حين سمعتم أنه قُتِلَ نبيكم « لَسْكِيلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَانَسَكُمْ » من الظهور على عدوكم بعد أن رأيتموه بأعينكم « وَلَا مَا أَصَابَكُمْ » من قتل

إخوانكم بما فرّجت عنكم من الكرب بوقاية نبيكم وكشف كرب الشيطان في الصراخ بقتله بينكم ، فكان هذا هو الذي فرج الله به عنهم ما تابع عليهم من النعم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بين أظهرهم هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم والمصيبة التي أصابتهم فيمن قتل منهم .

ثم قال تعالى بعد آيات ذكر فيها ما ذكر من قصة أحد « وما أصابكم يوم النقي الجماع فيبذن الله وانيعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا فانيأولوا في سبيل الله أو اذفموا ، قالوا : لو نعلم فتيالا لا تبعنكم » يعني عبد الله بن أبي والراجعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى عدوة من المشركين . يقول الله تبارك وتعالى : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم الإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون * الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فاداروا عن أنفسهم الموت إن كنتم صادقين . »

ثم قال انبيه عليه السلام يرعب المؤمنين في الجهاد ويهون عليهم القتل : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . »

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم وما كلفهم وحسن مقيلم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ائلا يزهّدوا في الجهاد ولا ينسكلوا عن الحرب » قال الله تبارك وتعالى : فأنا أبلغهم عنكم . فأنزل الله عز ذكره على رسوله صلى الله عليه

وسلم هذه الآيات : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » إلى آخرها .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشهداء على بارقٍ نهر بباب الجنة
في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً » .

وسئل عبد الله بن مسعود عن هؤلاء الآيات : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا » فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه إما أُصيب
إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيورٍ خضراء تردُّ أنهارَ الجنة
وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فيطالع الله إليهم
اطلاعةً ، فيقول : يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون ربنا لا فوق
ما أعطينا : الجنة نأكل منها حيث شئنا . ثم يطالع الله إليهم اطلاعة فيقول
يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون ربنا لا فوق ما أعطينا الجنة نأكل
منها حيث نشاء ، إلا أنا نحب أن تردَّ أرواحنا في أجسادنا ثم تردنا إلى الدنيا
ففيقاتل فيك حتى نُقتل فيك مرة أخرى » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله : « ألا أبشرك
يا جابر ؟ قال : قلت : بلى يا رسول الله . قال : إن أباك حيث أُصيب بأحد
أحياه الله ، ثم قال : ما نحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أئني
ربُّ أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ما من مؤمن
يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من النهار وأن له الدنيا وما فيها ،
إلا الشهيد فإنه يحب أن يُردَّ إلى الدنيا فيقاتل في الله فيقتل مرة أخرى » .

واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المهاجرين والأنصار خمسة وستون رجلاً ، أربعة من المهاجرين وسائرهم من
الأنصار وقتل الله من المشركين يومئذ اثنين وعشرين رجلاً .

[ما قيل من الشعر في أحد]

وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد قول كعب بن مالك الأنصاري
رحمه الله :

الآهل أنى عسان عنا ودونهم	من الأرض خرق سيرة مُتَمَتِّع ^(١)
صَحَارٍ وأعلامٌ كأن قَتَامَهَا	من البعدِ نَقَعَ هامدٌ مَقَطْعُ ^(٢)
نَظَّلَ به البزلُ العَرَامِيسَ ذُرَجًا	وَيَحْمِلُو به غِيثُ السَّيْنِ فَيُتْرَعُ ^(٣)
به جَيْفُ الحُسْرِى يُلَوِّحُ صَلِيبَهَا	كما لاحَ كَتَّانِ التَّجَارِ المَوْضِعُ ^(٤)
به العَيْنِ والآرامِ يَمْشِينَ خِلْفَةً	وَبَيْضُ نَعَامٍ قَيْضُهُ يَنْقَلَعُ ^(٥)
نَجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلُّ فَخْمَةٍ	مُذْرَبَةٍ فِيهَا القَوَانِسُ تَلْعُ ^(٦)
وَكُلُّ صُمُوتٍ فِي السَّمَوَانِ كَأَنَّهَا	إِذَا لَيْسَتْ نَهْيٌ مِنَ المَاءِ مُتْرَعُ ^(٧)
وَأَسْكَنْ بِبَدْرِ سَائِلُوا مِنْ لَقِيمَتِهِ	مِنْ النَّاسِ وَالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ تَنْفَعُ
وَلَمَّا بَارِضُ الخُوفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا	سَوَانَا لَقَدْ أَجْلُوا لَبِيلَ فَأَفْشَعُوا
إِذَا جَاءَ مَدَا رَا كَبُّ كَانَ قَوْلُهُ	أَعِدُّوا لِلْمُزْجِي ابْنُ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ ^(٨)

-
- (١) الحرقى : الفلاة الواسعة . والمتمتع : العنيف . وتروى : متنعن : أى مضطرب .
(٢) الأعلام : الجبال . والقَتَامُ : الغبار . والنقَم : الثبار أيضاً .
(٣) البزل : جمع بارل ، وهى الناقة التى تبلى الناسة . والعَرَامِيس : الصلبة .
والرَّج : اللبينة .
(٤) الصاب : ودك الطعام . والموضع : الميسوط .
(٥) العين : بقرة الوحش ، والآرام : جمع رثم ، وهو الغابى الخالص البياض . وخافة :
تعلمة وراء قدامة . والبيض : قشور البيض . ويتقاع : يتشقق .
(٦) مذربة : متعددة . والقوانس : جمع قولس وهى بيضة السلاح .
(٧) كل صموت . أراد به الدرع ، جماعها صموتا لشدة نجها وإحكام صنعتها .
والنهي : الفدير . والمترع : اللى .
(٨) يزجى : يسقى .

ولما ابْتَقُوا بِالْعَرِضِ قَالَ سَرَاتُنَا
وفينا رسولُ الله نَتَّبِعُ أَمْرَهُ
تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
نُشَاوَرُهُ فَبِمَا نُرِيدُ وَقَصَدْنَا^(٣)
وقال رسول الله لما بَدَوْا لَنَا
ولكن خذوا أسيافكم ونوكلوا
وكونوا كن بَشَرِي الحَبَاةَ تَقْرُبَا
فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رَحَالِهِمْ
بِلُحُومِهِ فِيهَا السُّنُورُ وَالْقَنَا
فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطُهُ
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةُ
نَغَاوَرُهُمْ تَجْرِي الْمَقِيَّةُ بَيْنَهُمَا
تَهَادَى قَسَى الثَّنْبِ فِينَا وَفِيهِمْ
وَمَنْجُوفَةٌ حَرَمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ

عَلَامَ إِذَا لَمْ يُمْنَعِ الْعَرِضُ نَزَعُ^(١)
إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا نَتَطَلَّعُ^(٢)
يَنْزِلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ
إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نَطِيعُ وَنَسْمَعُ
ذَرُّوا عَنْكُمْ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا
عَلَى اللَّهِ إِنْ الْأَمْرُ لِلَّهِ أَجْمَعُ
إِلَى مَلِكٍ بُنْيَا لَدَيْهِ وَيُرْجَعُ^(٤)
ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا تَنْخَشَعُ
إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تُرْوَعُ^(٥)
أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمَقْتَعُ
ثَلَاثَ مِائِينَ إِنْ كَثُرْنَا وَأُرْتَعُ^(٦)
نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَقَايَا وَنُشْرَعُ^(٧)
وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَتْرَبِيُّ الْمَقَطُّعُ^(٨)
يَذَرُّ عَلَيْهَا الشَّمْسُ سَاعَةً تُصْنَعُ^(٩)

(١) العرض : سفح الجبل ، وهو جبل أحد .

(٢) لا نتطلم : لا ننظر إلى غيره . ويروى : لا نتظلم : أى لا تعيل ع .

(٣) ابن هشام : وقصرنا . أى : غايقتنا .

(٤) ذكر ابن هشام هذا البيت قبل : ولكن خذوا أسيافكم .

(٥) اللعومة : الكتيبة . والسنور : السلاح . وتروع : تهزع . ورواية ابن هشام .

لا تورع .

(٦) النصية . الحيار من القوم .

(٧) نغاورهم : نثير عليهم . ونشارعهم : نشاربهم . ونشرب : نشرب .

(٨) الثنيج : شجر للقسى والسهم ينبت في قلة الجبل . واليتربى : الوتر المنسوب إلى

يترب .

(٩) للمجوفة : السهام . والحرمية : المنسوبة إلى الحرم . والصاعديّة : المنسوبة إلى

صاعد ، رجل كان يصنعها .

وخيلٌ تراها بالفضاء كأنها جرادٌ صبيًا في قَرَّةٍ بتربع^(١)
 فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى وليس لأمرٍ حَمَهُ اللهُ مَدْفَعُ
 ضربناهم حتى تركنا سرائرهم كأهمُّ بالفاع خُشبٌ مُصَرَّعُ
 لَدُنْ غُدُوِّهِ حتى استَغَفَقْنَا عَشِيَّةً كَأَنَّ ذَ كَاها^(٢) حَرُّ نَارٍ تَلْفَعُ
 وراحوا سِرَاعًا مَوْجَعِينَ كأنهم جَهَامٌ هَرَأَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُتَمَاعُ^(٣)
 ورُحْنَا وَأَخْرَانَا بِطَالٍ كأننا أُسُودٌ عَلَى لَحْمٍ بَيْشِةٍ ظَلَعُ^(٤)
 فِينَا ونال القومُ منا وربما فَعَلْنَا وَلَكِنْ مَا لَدَى اللهِ وَاسِعُ^(٥)
 ودارت رحانا واستدارت رحامُ وقد جَعَلُوا كُلُّهُ مِنَ الشَّرِّ يَشْعُ
 ونحن أُنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الدَّمَارَ وَيَمْنَعُ
 جِلَادٌ عَلَى رَبِّبِ الْخَوَادِثِ لَا تَرَى عَلَى هَالِكٍ عَيْنٌ لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ^(٦)
 بدو الحرب لَا نَعْنِيَا بِشَيْءٍ فَقَوْلُهُ وَلَا نَحْنُ مِمَّا جَرَّتْ الْحَرْبُ نَجْزَعُ
 بدو الحرب إِنْ نَظَفَرْنَا بِفَحْشٍ وَلَا نَحْنُ مِنْ أَظْهَارِهَا نَتَوَجَّعُ

* * *

وقال حسان بن ثابت يحيب عبد الله بن الزُبَيْرِ عن كلمة له على روى

-
- (١) العبا : ريع شرفية . والفترة : الليلة الباردة . ويتريم : يذهب ويمحي .
 (٢) ابن هشام : ذكانا : أى حرارتنا في الحرب . وأمله أراد هنا أن يبيد الضمير إلى الحرب .
 (٣) ابن هشام : موجعين . والجهم : السحاب الرقيق . وهراقت : صبت .
 (٤) بيشة : موضع كثير الأسود .
 (٥) ابن هشام : أوسم .
 (٦) ابن هشام : . لا نرى على هالك عينا لنا الدهر تدمع وما هنا أصح .

هذا الجواب يفخر فيها بيوم أحد ، وكاتا الكلمتين بفكرها بعض أهل العلم
من نسبت إليهما :

أشأقتك من أم الوليد ربوعُ بلاقيم ما من أهامت جَمْعُ^(١)
عقاهن صَيِّفُ الرياح وواكفُ من الدَّلُو زَحَاف السحاب هَمَوْعُ^(٢)
فلم يبق إلا مَوْقِد النار حَوْلَه رَوَاكِدُ أمثال الحمام كَنُوعُ^(٣)
قَدَحٌ ذِكر دارٍ بُدِّدَتْ بين أهلها فَوَى لَمَيِّنَاتِ الجِبَالِ قَطُوعُ
وقُلْ إن يكن يومٌ بأحد يَمُدُّه سفيه فإن الحق سوف يَشِيْعُ
فقد صابرت فيه بدو الأوس كلهم وكن لهم ذِكرٌ هُناك رَفِيعُ
وحاشى بدو البجار فيه وصابروا وما كان منهم في اللقاء جَزُوعُ
أمام رسول الله لا يَحْذُلُونَه لهم ناصِرٌ من رَمٍ وشَفِيعُ
وفَوًّا إذ كَفَرْتُمْ يا سَخِينُ بربكم ولا يَسْتَوِي عَبْدٌ وَفَى وَمُضِيعُ^(٤)
بأيديهمُ بِيضٌ إذا حَمَى الوغَى فلا بد أن يودى بهن صَرِيعُ^(٥)
كما غادرت في النَّمْعِ عُتْبَةُ ثاوبًا وسَمْعًا صَرِيحًا والوشيجُ شَرُوعُ^(٦)
وقد غادرت تحت العَجَاجَةِ مُسْتَفِدًا أَبْيَا وقد بَلَ القَمِيصَ نَجِيعُ^(٧)
بكفَّ رسول الله حيث تَلَصَّبَتْ على القومِ تَمَّا قد يُثْزَنُ نَقُوعُ^(٨)

(١) البلاقم : الخاوية .

(٢) الزحاف : المتحرك . وفى ابن هشام : رحاب . ومعناها : متحرك مصوت .
والهموع : المطر .

(٣) السكونع : اللاسقة بالأرض .

(٤) سَخِين : أصلها سَخِينَة ، وهو لقب إفريش بن الجاهلية .

(٥) ابن هشام : فلا بد أن يردى لمن صريع . ويودى : يهلك .

(٦) الوشيج : الرماح . وأصله شجر تصنع منه الرماح .

(٧) العجاجة : غبار الحرب . والجبيج : الدم .

(٨) القوم : جمع نقم وهو الثَّار .

أولئك قومٌ سادةٌ من فروعكم وفي كل قومٍ سادةٌ وفروعُ
 بهنْ نُمِرُ اللهَ حتى يُمِرَّنا وإنْ كانَ أمرُ يا سَخِينِ فَطَلِيعُ
 فلا تذكروا قتلى وحمزةً فيهم قَتِيلٌ قَوَى اللهُ وهو مطبُوعُ
 فإنْ جِنَانُ الخُلْدِ مَسْبُورَةٌ له وأمرُ الذي يَقْضِي الأمورَ سَرِيعُ
 وقتلاككم في الدارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِم سَحِيمٌ مَعَا فِي جَوْفِهَا وَخَرِيعُ

* * *

وقال كعب بن مالك يجهل ابن الزبيري وعمر بن العاص عن كلثبن
 قالها في ذلك :

أُتِلِمْ قَرِيشًا وخير القولِ أَصْدَقُهُ والصدق عند ذوى الأبوابِ مقبولُ
 أنْ قد قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَاتِكُمْ أهلَ اللواءِ ففما بَسَكُورِ القِيلُ
 ويومَ بدرٍ قَتِيفَاكُمْ لِمَا مَدَدُ فيه مع النصرِ ميكَالُ وجبريلُ
 إنْ نَقَتَلُونَا فدينَ الحقِ فِطْرَتْنَا والقَتْلُ في الحقِ عند الله تفضيلُ
 وإنْ تَرَوْا أمرًا في رأيكم سَفَهًا فرأى من خائفٍ لإسلامِ تَضَلِيلُ
 فلا نَمْنُوا إِمْسَاحَ الحربِ واقْتِيدُوا

إنَّ أخا الحربِ أَصْدَى اللَوْنِ مشغولُ^(١)

إِنَّمَا بدو الحربِ تَمْرِيهَا وَنَتَجُهَا وعقدنا لذوى الأضغانِ تَفْكِيلُ^(٢)
 إِنَّمَا بَهِجَ مِنْهَا ابنُ حَرْبٍ بَعْدَ مَا بَاقَتْ منه للتراقى وأمر الله مَقُولُ
 فقد أَفَادَتْ لَهُ حِلْمًا ومَوْعِظَةً لمن يَكُونُ لَهُ لُبٌّ ومَعْقُولُ
 ولو هِطَّعْتُمْ بِعِطَنِ السَّيْلِ كَالْفَحْمِ ضَرْبُ بِشَا كُلَّةِ البَطْحَاءِ تَرْعِيلُ^(٣)

(١) إمام الحرب : اشتدادها . وأصدى اللون : يضرب لونه بين السواد والحمرة .

(٢) تمريها : نعلها . ونتجها : نستولدها .

(٣) الشاكلة : الناحية . والترعيل : الطعن الشديد .

تلقاكم عُصَبٌ حَوْلَ اللَّيْلِ^(١) مما يُعْدُونَ لِلْهَيْجَا سَرَايِلُ
 من جِذْمٍ غَسَّانٍ مُسْتَرْخِ حَمَائِلِهِمْ لَا جَبِيَاءَ وَلَا مِيلٌ مَعَاذِيلُ^(٢)
 يَمْشُونَ تَحْتَ عَمَائَاتِ الْقِتَالِ كَمَا يَمْشِي لِلصَّاعِبَةِ الْأَذْمُ الرَّسِيلُ^(٣)
 أَوْ مِثْلَ مَشْيِ أُسُودِ الطَّلِ أَلْقَمَهَا يَوْمَ رَذَاذٍ مِنَ الْجَوَازِاءِ مَشْمُولُ^(٤)
 فِي كُلِّ سَابِقَةٍ كَالْفَنَى مُحْكَمَةٍ قِيَامُهَا قَلْبِحٌ كَالسَيْفِ بُهْلُولُ^(٥)
 تَرْدٌ حَدٌّ قِرَانِ النَّبْلِ خَاسِئَةٌ وَبَرْجَعِ السَّيْفِ عَنْهَا وَهُوَ مَقْلُولُ^(٦)
 وَقَدْ قَذَفْتُمْ بَسْلَمَ عَنْ ظُهُورِكُمْ وَلِلْحَيَاةِ وَدَفْعِ الْمَوْتِ تَأْجِيلُ^(٧)
 مَا زَالِ فِي الْقَوْمِ وَتَرٌّ مِنْكُمْ أَبَدًا تَعْفُو السَّلَامُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَطْلُولُ^(٨)

* * *

وقال كعب في يوم أحد أيضاً من قصيدة يفخر فيها بقومه :

فإن كنت عن شأننا سائلاً^(١) فَسَلِّ عَنْهُ ذَا الْعِلْمِ مَنْ يَأْمِنَا
 بنا كيف نفعل إن قلَّصتْ عَوَانًا ضَرُوسًا عَضُوضًا حَجُورَنَا^(١٠)

(١) ابن هشام : لهم .

(٢) الليل : جمع أميل وهو الجبان . والمعاذيل : جمع معزال وهو من لا رجع معه .

(٣) للصاعبة : الفحول من الإبل . والأذم : البيض الواضحة . والمراسيل المتتابعة .

(٤) ألقمها : باها . والرذاذ : الضيف من المطر . والمشدول : الذي هبت به ريح الشمال .

(٥) السابغة : الدرع . والنهس : الفدير . والفالج : من الملاح . والبهلول : السيد

الجامع لكل خير .

(٦) قران النبل : الموالاة بين سهمين سهمين . وى ابن هشام : قران النبل .

وما هنا أصح .

(٧) سلع : جبل بالمدينة .

(٨) تعفو : تبلى وتدرس . والسلام : جمع سلمة . وهى المجارة .

(٩) ابن هشام : جاهلا .

(١٠) قلصت : يريد الحرب . أى اشتدت . والعوان : الحرب التى قوتل فيها مرة .

والضروس : الشديدة . والحجون : المموجة .

ألمنا نشد عليها المصاب^(١) حتى تدرّ وحتى تليدنا
 ويوم له رهج^(٢) دائم شديد النهمول حاجي الأربدا^(٣)
 طويل شديد أوار القتال تنفي حواقره المقر فينا^(٤)
 تمثال الكمأة بأعراضه ثمالي على لذة منز فينا^(٥)
 تمأور أيمانهم بينهم كؤوس المايا بمجد للظي فينا
 شهدنا وكفنا^(٦) أولى بأسه وتحت العصاة والمعلم فينا
 بخرس الحيس حسان رواء وبصريّة قد أجن الجفونا^(٧)
 فما ينفلان وما ينفدين وما يذتهين إذا ما نهينا
 كبرق الخريف بأيدى الكمأة يفجمن بالطلّ هاما سكونا^(٨)
 وعلمنا الضرب آباؤنا وسوف نعلم أيضا بنيينا
 جلاد الكمأة وبذل التلاد عن جلّ أحسابنا ما بقينا
 إذا مرّ قرن كفى نسله وأورنه^(٩) بعده آخرينا
 نشب وتهلك آباؤنا وبينا نرعى بنيينا قدينا

-
- (١) المصاب : ما شديده صرع الافة المتدر .
 (٢) الرهج : القبار . والأرس : اعلها من أرته بمعنى عضه .
 (٣) كذا في ط : والحادرة : التي تحقر برحامها أي ترمج بها ، لأنه مملوء بالحادرة .
 و ت وابن هشام : قواجره . والمقرب : المهجين الأصل .
 (٤) منز فينا : سكرى .
 (٥) ابن هشام : فكنا .
 (٦) خرس الحيس : لا صوت لمن . والرواء : التي رويت من الدم . وبصريّة :
 منسوبة إلى بصري . وأجن : ملان وكرهن .
 (٧) الكمأة : الشجوان . ويفجمن : يضربن . والرؤوس .
 (٨) التلاد : المال .
 (٩) ت : وأورنه .

وقال حسان بن ثابت يبيكي حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه :

أُتُعرف الدارَ عفا رُسمَها بَعْدَكَ صَوْبُ السَّيْلِ المَاطِلِ^(١)
 بين السَّرادِيجِ وأُدْمَانِيَه فَمَدَفَعَ الرُّوحَاءُ في حائلِ^(٢)
 سألتها عن ذاك فاستعجمت لم تَذرْ ما مَرَّ جوعَةُ السَّائِلِ^(٣)
 دَعَّ عَنْكَ داراً قد عفا رُسمُها وابك على حمزة ذى الفائلِ^(٤)
 للملأى الشيزى إذا أُعْصِفَتْ غبراء في ذى الشَّيْمِ المَاحِلِ^(٥)
 والتَّارِكِ القِرْنِ لَدَى رُبْدَةٍ يَمُتُّ في ذى الحُرْسِ القَابلِ^(٦)
 واللابس الخليل إذا أُحْجِمَتْ كَلالِيث في غابته الباسِلِ
 أبيض في الذَّروَةِ من هاشمٍ لم يَمَرَ دُونَ الحَقِّ بالبَاطِلِ
 مات شهيداً بين أسيافكم شُلَّتْ يدا وحشَى من فائلِ
 أى امرؤ غادر في آلِهِ مَطْرُورَةٌ مارِنَةٌ للمَاملِ^(٧)
 أظلمت الأرضُ لِفَقْدانِهِ واسودَّ نورُ القَمَرِ الدَّاصلِ^(٨)

(١) السبل : الطر الماطل .

(٢) السراديج : جمع سردج وهى الأرض المستوية . وأدمانة ومدفع الروحاء : موشان . وحائل : واد في جبل طي موى ت : في الحائل .

(٣) استعجمت : لم تحب .

(٤) النائل : المطا .

(٥) الشيزى : جفان كبيرة من خشب . وأعصفت : اشتدت . والغبراء : الرياح . والشيم : البرد . والمالحل : المجدب . يريدى يوم البرد والجوع .

(٦) ذو لبدة : كنية الأسد . وى ابن هشام : لى بالذال المهملة . ولماها : حرره . والحرس : الرمح . والقابل : الرقيق .

(٧) رواية البيت في الديوان س ٣٣١ :

لأن امرؤ غادر في آلِهِ مَطْرُورَةٌ مارِنَةٌ للمَاملِ
 والألة : الطائفة بالحربة والمطرورة : المحددة . والمارئة : الابنة .

(٨) الناصل : الخارج من السحاب .

صلى عليه الله في جنة عالية مُكْرَمَة الداخل
 كما نرى حمزة حرزاً لنا من هكل أمر بأنفسنا نازل
 وكان في الإسلام ذا تَدْراً يكفيك فَقَدْ القاعد الماخذل^(١)
 لا تفرحى يا هند واستجلى دماً وأذرى عتبة الشاكل
 وابكى على عتبة إذ قطعه بالسيف تحت الرهج الجائل^(٢)
 إذ خرّ في مشيخة مفكّم من كل عات قلبه جاهل
 أزداهم حمزة في أسرة يمشون تحت الملقى الفاضل^(٣)
 غداة جبريل وزبر له نعم وزير الفارس الحامل

* * *

وقال عبد الله بن رواحة يبكي حمزة، ونزوى أيضاً لسكر بن مالك
 رضى الله عنهم أجمعين :

بكت عيني وحقّ لها بسكاها وما يغنى البكاء ولا العويل
 على أسد الإله غداة قالوا أحمزة ذاك الرجل القليل
 أصيب للمسلمون به جميعاً هناك وقد أصيب به الرسول
 أبا يعلّى لك الأركان هُذّت وأنت المساجد البز الوصول
 عليك سلام ربك في جنان نخالها نعيم لا يزول^(٤)
 وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة رضى الله عنهما :
 أسائلة أصحاب أحد مخافة بنات أبي من أعجم وخبير

(١) ذو تدراً : مدافع ذو عز ومنعة . ورواية الديوان : لم يك بالوانى ولا الماخذل .
 (٢) قطعه : قطعه . والرهج : الفبار . والجائل : المتحرك .
 (٣) أزداهم : أهلكهم . و أسرة : أى قرابة . والملقى : الدروع . والفاضل : السابح .
 (٤) أم ابن هشام القصيدة ٢ / ١٦٢ .

فقال الخبير : إن حمزة قد توى
دعاء الإله الحق ذو العرش دهوة
فذلك ما كنا نرجى ونرجى
فوالله ما أنساك ما هبت الصبا
على أسد الله الذي كان مذرهما^(١)
فيا ليت شلوى^(٢) عند ذاك وأعظمي
أقول وقد أعني^(٣) اللامي عشريني
وزير رسول الله خير وزير
إلى جنة يحيا بها وسرور
لحمزة يوم الحشر خير مصير
بكاء وحزننا تحضري ومسيري
يذود عن الإسلام كل كفور
لدى أضبع تمادني وسور
جزى الله خيرا من أخ ونصير

* * *

وقالت نعم امرأة شمس بن عثمان تبكي زوجها شماسا وأصيب يوم أحد :
يا عين جودي بفيض غير إبساس^(٤) على كريم من الفتيان آباس
صعب البديهة ميمون نقيبته
أقول أما أني الساعي له جزا
أزدي الجواد وأزدي العظيم السكابي
وقلت أما حلت منه بحالسه لا يبعد الله منا قرب شماس
فأجابها أخوها يعزبها فقال :

أقني^(٥) حياءك في ستر وفي كرم
لا تقتلي النفس إذ حانت منيته
فإنما كان شماس من الناس
في طاعة الله يوم الرّوع والباس
قد كان حمزة ليث الله فاصطبري
فذاك يومئذ من كاس شماس

* * *

(١) الدرر : المدافع الحامي .

(٢) شلوى : جدى .

(٣) ابن هشام : أعلى .

(٤) إبساس : التكلب والجهد .

(٥) اقني حياءك : احفظيه .

وقالت هند بنت عتبة حين انصرف المشركون عن أحد :
 رجعتُ وفي نفسي بالآلِ جنةٌ وقد فاني بعضُ الذي كان مطلبي
 من أصحاب بدر من قريش وغيرهم بنى هاشم منهم ومن آل بثر
 ولستني قد نلتُ شيئاً ولم يكن
 كما كنت أرجو في مسيري ومزكبي

وهذه هند أم معاوية بن أبي سفيان ، وكانت امرأة فيها مكاره وذكورة
 ولها نفس وأناة ، وكان المسلمون قد أصابوا يوم بدر أباه عتبة وعما شيبه
 وأخاها الوليد ، فأصابها من ذلك ما يصيب النفوس الشهمة والقلوب
 الكافرة ، فخرجت إلى أحد مع زوجها أبي سفيان تبتغي الانتصار وتطلب
 الأوتار ، فهذا قولها ، يرحمها الله ، والوتر بقاءها والسكر يحننها والحزن يحرقها
 والشیطان ينطقها .

ثم إن الله سبحانه هداها إلى الإسلام وأخذَ بِحُجْزَتِهَا عن سواء الدار ،
 فصَلَحَتْ حالها وتبدلت أقوالها ، حتى قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 فيما قالت له : والله يا رسول الله ما كان على الأرض أهلُ خِباء أحبَّ إلى
 أن يذِلُّوا من أهل خيائك ، وما أصبح اليوم على الأرض من خباء أحبَّ
 إلى أن يمزوا من أهل خيائك . أو نحو هذا من القول .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا برسوله أجمعين ، وإياه سبحانه نسأل أن يمتتنا على
 خير ما هدانا إليه ، لا مبدلين ولا مغيرين .

غدر هضيل والقارة بأصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم

وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عَضَلِ
والقارة ، وهم بدو الهون بن خُزَيْمَةَ بن مُدْرِكَةَ ، فقالوا له : يا رسول الله إنَّ فينا
إسلاماً فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئونا القرآن
ويعلّموننا شرائع الإسلام .

فبعث معهم ستة من أصحابه : مَرْثَدُ بن أبي مرثد الغنوي وأمره عليهم
وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، وخبيب بن عدي ، وزيد
ابن الدثنة ، وعبد الله بن طارق .

فخرجوا حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لمذبل بباحية الحجاز من
صدر الهداة^(١) غدّروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هُدَيْلًا فلم يرع القوم وهم
في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد عَشُوم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا
القوم فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولسنا نريد أن نصيب بكم
شيئًا من أهل مكة ، ولكم عهدُ الله وميثاقه أن لا نقتلكم .

فأما مَرْثَدُ وخالد وعاصم فقالوا : والله لا نقبل من مشركٍ عهدًا ولا
عقدًا أبدًا . وقال عاصم :

ما عَلَيَّ وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلٌ والقوسُ فيها وَرَرٌ عُنَابِلٌ^(٢)

(١) الهداة : كما قال باقوت في معجم البلدان : موضع بين عسفان ومكة . وفي الأصل :
الهدية . وهو موضع بين مكة والطائف . وما أثبتته عن ابن هشام والطبري .
(٢) الجلد : القوس . والنابل : صاحب النبل . والعنابل : النبل .

تَزِيلٌ عَنْ صَفْعَتِهَا الْمَعَابِلُ الْوُثُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلٌ^(١)
وَكُلُّ مَا حَمَّ الْإِلَهُ نَازِلٌ بِالرَّاءِ وَاللَّامِ إِلَيْهِ آيِلٌ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأَمْسَى هَائِلٌ

نَمْ قَاتِلِ الْقَوْمَ حَتَّى تَقْتُلَ وَقْتُلْ صَاحِبَاءَ رَحِمِهِمُ اللَّهُ .

فلما قُتِلَ عاصمُ أَرَادَتِ هُدَيْلُ أَخْذَ رَأْسِهِ لِيَبْعُوهُ مِنْ سُلَافَةِ بَنْتِ سَعْدِ
ابْنِ شَهِيدٍ بِمَكَّةَ ، وَكَانَتْ حِينَ أَصَابَ ابْنُهَا يَوْمَ أَحَدٍ نَذَرَتْ لَنْ قَدَّرَتْ عَلَى
رَأْسِ عَاصِمٍ اقْتِشِرِينَ فِي قَيْعِنِهِ الْخَمْرَ ، فَمَنْعَهُ الدَّبْرُ^(٢) فَقَالُوا : دَعُوهُ حَتَّى
يُيْتِمَى فَتَذْهَبَ عَنْهُ فَنَأْخُذْهُ . فَبَعَثَ اللَّهُ الْوَادِيَّ^(٣) فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا
فَذَهَبَ بِهِ .

وَقَدْ كَانَ عَاصِمٌ أَعْطَى اللَّهَ عَهْدًا أَلَّا يَمْسَ مُشْرِكًا وَلَا يَمْسَ مُشْرِكًا
أَبَدًا ، تَنْجَسًا !

فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : يَحْفَظُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِنْ كَانَ عَاصِمًا
نَذَرَ أَلَّا يَمْسَ مُشْرِكًا وَلَا يَمْسَ مُشْرِكًا أَبَدًا فِي حَيَاتِهِ ، فَمَنْعَهُ اللَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ
كَأَمْتَمَعٍ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ .

* * *

وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدُّثَيْنَةِ وَخُذَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ وَلَانُوا

(١) المعابِل : سمع مبيلة ، وهو اصل عريس طويل .

(٢) الدبر : النعل .

(٣) الوادى : السيل .

ورثوا ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران^(١) انتزع عبدُ الله بن طارق يده من القرآن^(٢) ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبّره بالظهران .

وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثينة فقدموا بهما [مكة]^(٣) فابتاع خبيبا حُجَيْرُ بن أبي إهاب التيمي لعُقبه بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقْتله بأبيه .

وأما زيد بن الدثينة فابتاعه صفوان بن أمية ليقْتله بأبيه أمية بن خلف ، فبعث به مع مولى له يقال له نسطاس إلى التَّغَنيمِ^(٤) ، فأخرجوه من الحرم ليقْتلوه ، واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان لما قُدِّمَ ليقْتل : أشدك الله يا زيد أن يحب أن محمداً الآن عندنا مكانك تُضرب عنقه وأنك في أهلاك ؟ فقال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ تؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي !

يقول أبو سفيان : ما رأيتُ من الناس أحداً يحب أحداً كَحُبِّ أصحابِ محمدٍ محمدًا !

ثم قتله ، رحمه الله ، نسطاسُ مولى صفوان .

قال ابن عُقبة : وزعموا أنهم رموه بالنَّيْل وأرادوا فتنقه فلم يزدَه إلا إيماناً وبقيةً .

وأما خبيب بن عدى فجلس في مكة في بيت ماوية مولاة حُجَيْرِ بن أبي إهاب ، فكانت تخبر بعد ما أسلمت ، قالت : لقد اطَّلمتُ عليه يوماً

(١) الظهران : واد قرب مكة .

(٢) القرآن : الحبل .

(٣) من ابن هشام .

(٤) التَّغَنيم : موضع بين مكة وسرف على فرسنبين من مكة .

وإن في يده لقطعاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، ووالله ما أعلم
في أرض الله عنباً بؤكل !

قالت : وها لي حين حضره القتل : ابغى إلى بجديده أتعلم بها للقتل ،
فأعطيت الموصى علامة من الحى فقات : ادخل بها على هذا الرجل . قالت :
فوالله ما هو إلا أن ولّى الغلام بها إليه فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله
الرجلُ تأره فقتل^(١) هذا الغلام ، فيكون رجلاً رجلاً فلما ناوله الحديد
أخذها من يده ثم قال : لعمرك ما خافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه
الحيدة إلى ؟ انتم خائى سبيله .

ثم خرجوا بمخيم حتى إذا جاءوا به القنيع ليصاوبوه قال لهم : إن رأيتم
أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا . قالوا له دونك فاركع . فركع ركعتين
وأنهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا تظنوا أنى إنما
طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة .

فكان خبيب أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين^(٢) .

ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه قال : اللهم قد بلغت رسالتك
فبلغه الغداة ما يُصعب بنا . ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بديداً ولا تمار
منهم أحداً . ثم قتلوه .

فكان معاوية بن أبى سفيان يقول : حضرت يومئذ فيمن حضره مع أبى

(١) ابن هشام : بقتل . وى ابن كثير : بقتل .

(٢) قال السهيلي : وإنما سارت سنة لأنها فعلت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
واستحدثت من منبه . وقد صلاها زيد بن حارثة أيضاً وحياة النبي صلى الله عليه وسلم ،
ولمسة أخرجهما أبو بكر بن أبى خزيمة .

سفيان ، فلقد رأيتُه يلقيني في الأرض فرَّقا من دعوة خَبِيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دُعِيَ عليه فاضطجع لجنبه زَاتَ عنه .

وكان ممن حضر يومئذ سعيد بن عامر بن حَذِيم الجَحْثِيّ ، ثم أسلم بعد ذلك واستعمله عمر بن الخطاب رضى الله عنه على بعض الشام ، فكانت تصيبه غَشِيَّةٌ بين ظَهْرَى القوم ، فذكر ذلك لعمر وقيل : إن الرجل مصاب . فسأله عمر رحمه الله في قَدَمَةٍ قَدَمَهَا عليه فقال : يا سعيد ما هذا الذى يصيبك ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما بى من بأس ، ولا كنى كنت فيمن حضر خَبِيبَ بن عدى حين قُتِلَ وسمعتُ دعوته ، فوالله ما خطرَتْ على قلبي وأنا في مجلس إلا وَغَشِيَ على . فزادته عند عمر خَيْرًا .

وذكر ابن عُقْبَةَ أن خبيب وزيداً قَتَلَا في يوم واحد ، قال : وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو جالس في ذلك اليوم الذى قَتَلَا فيه : « وعليكما أو عليك السلام ، خبيب قَتَلْتَهُ قَرِيش » لا ندرى أذكر ابن الدَّيْنَةَ معه أم لا .

وقال خبيب رحمه الله لما اجتمع القومُ اصْلَبَهُ :

لقد جمع الأحزابُ حَوْلِي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كلَّ تَجَمُّعٍ
وقد جَمَعُوا أبناءهم ونساءهم وَفَرَّبْتُ من جِذْعِ طَوِيلٍ مَنَعٍ
إلى الله أشكو عُرْبَتِي ثم كُرْبَتِي

وما أُرْصَدَ الأحزابُ لى عند مَضْرَعِي

فذا العرش صَبَرَنِي على ما يراد بى

فقد بضَمُوا لى وقد ياسَ مَطْعَمِي^(١)

(١) بضَمُوا : قطعوا . وياس : يئس .

وذلك في ذات الإله وإن يشأ
ببارك على أوصال شلوي مُمزَّع^(١)
وقد خيروني الكفرَ والموتِ دونه وقد هملت عيلى من غير تجزَع
وما بي حذار الموتِ إنى لميت
ولكن حذارى جَحْمُ نارٍ مافع^(٢)
ولست أبالي حين أقتل مسلماً
على أى جنبٍ كان فى الله مضجعى^(٣)
فلست بمبدٍ لعمدٍ نخشعاً ولا جزأ إنى إلى الله مرجى

* * *

وقال حسان بن ثابت يبكى خبيباً :
يا عينُ جُودى بدمعٍ منك منسكب
وابكى خبيباً مع الفتيات لم يؤب
صقراً توسط في الأنصار منصبه
تمنح السجينة محضاً غير مؤنسب^(٤)
قد هاج عيني على علات عبرتها
إذ قيل نهن^(٥) إلى جِذع من الخشب

(١) الشلو : المصرو والجسد من كل شيء . والمنزع : المقطع .

(٢) الجعم : الوقت المضطرب . والملمع : التلعب .

(٣) رواية البيت عند ابن كثير : فوائقه ما أرجو إذ مات مسلماً . . . وى ابن هشام :

مضرعى .

(٤) الحمس : الصريح المنسب . والمؤنسب : المختلط .

(٥) نهن : رفع وأسند .

يا أيها الراكبُ الفادي لطيفته^(١)
أبلغ إليك^(٢) وعيداً ليس بالكذب
بني كهيئة إن الحرب قد انقضت
تخلوها الصواب إذا تدرى الخليل^(٣)
منها أسود بني النجار يقدمهم
شهب الأسماء في مصوصب حلب^(٤)

وقال حسان أيضاً بهجو هذيل :

لعمري لقد شانت هذيل بن مذك أحاديث كانت في خبيب وعاصم
أحاديث لحيان صلوا ببيعها ولحيان جرأون شر الجرائم
أناس هم من قومهم في صميمهم بمنزلة الزمان دبر القوائم^(٥)
هم غدروا يوم الرجيع وأسلفت أمانتهم ذا غصية ومكارم
رسول رسول الله غدراً ولم تكن هذيل توقي مفكرات المحارم

(١) لطيفته : أنانيته التي يعضى إليها . قال في الأساس : « نسي لطيفته . وسدت منها
طيفته ، وهي الجهة التي إليها يطوى البلاد »

(٢) ابن هشام : أباح لديك .

(٣) كهيئة . كذا بالأصل . ورواية ابن هشام : كهيئة . نالوا . قال السهلي :
« جعل كهيئة كأنه اسم علم لأهمهم ، وهذا كما يقال : بني صولطي ، وبني القري ، وبني درة .
وهذا كله اسم لمن يست وعبرة عن السمعة من الناس ، وكهيئة من الكهيئة وهي العبرة ،
وهذا كما قالوا : بني القبراء » الروض ٢ / ١٧٣ .

ورواية الديوان : بني فكيمة . وانقضت الحرب : اشتدت . والصواب : تجرى . ونأي :
يبر لئها .

(٤) المصوصب : الجيش المجتميع . واللجب : ذو الجلبة وذلك بدل على كثرته .

(٥) الزمان : جمع زمعة ، وهي حنة زائدة ، أو شبه أظفار الفم في الرسم .
وإبن هشام : دبر القوائم .

— ١٤١ —

فسوف يرون للنصر يوماً عليهم
 بقتل الذى يحميه دون الحرائم^(١)
 أبابيل دبر شمس دون نجمه
 تحت لجم شهاد عظام الملاحم^(٢)
 لعل هذيلاً أن يروا بمصابه
 مصارع قتلى أو مقاماً للآثم
 ويوقع فيها وقعة ذات صولة
 يوافي بها الركبان أهل اللوامس
 بأمر رسول الله إن رسوله
 أى رأى ذى حزم بلعيات عالم
 قبيلة إيس الوفاء بهم
 وإن ظلموا لم يرفعوا كفو ظالم
 إذا الناس حلوا بالفضاء رأيتهم
 بمنجى مسيل الماء بين المتخارم^(٣)
 محلهم دار البوار وزأيمهم
 إذا نابهم أمر كراى البهائم

(١) الحرائم : المرات . أى دون أن تنتهك حرمة .
 (٢) الأبابيل : الجاعات . والدبر : ذكور البعل . والشمس : المامية . والملاحم :
 المروب .
 (٣) المتخارم : مسيل الماء .

غزوة بئر معونة

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد .

وكان من حديثهم أن أبا براء مَلَّاعِبَ الأَسِنَّةِ ، واسمه عاصم بن مالك ابن جعفر ، قديم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلامَ ودعاه إليه ، فلم يُسَلِّمْ ولم يَبْئُدْ من الإسلام ، وقال : يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إلى أخشى عليهم أهل نجد » . قال : أنا لهم جارٌّ فابشروهم .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المذَرَّ بن عمرو أخا بني سعدة ، المُنَاقِ ليموت^(١) ، في أربعين رجلاً من أصحابه ، منهم الحارث بن الصَّمَّة ، وحَرَام ابن مِلْحَانَ ، وعروة بن أسماء بن الصَّهْتِ السُّلَمِي ، ونافع بن مُدَبَّل بن وزهاء وعاصم بن فُهَيْرَة ، في رجال مسَّين من خيار المسلمين .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عاصم وخربة بني سُليم ، كلاً للبلدين منها قريب ، وهي إلى خربة بني سُليم أقرب .

فلما نزلوها بعثوا حَرَامَ بن مِلْحَانَ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاهم لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل

(١) أي للسرعة إلى الشهادة .

فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوه ، وقالوا : ان نخفر
أبا ترء ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً .

فاستصرخ عليهم قبائل من [بنى] ^(١) سُلَيْم : عُصَيَّة ورِعْلًا وذَكْوَان ،
فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشَوْا القومَ فأحاطوا بهم في رحالهم فلما
رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قَتَلُوا من عند آخرهم رحمهم الله ،
إِلَّا كَعْبَ بْنَ زَيْدٍ أَخَا بَنِي دِينَارِ بْنِ النَّجَّارِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، فإنهم تركوه وبه
رَمَقٌ فَارْتُثَ ^(٢) من بين القتلى فمَاشَ حتى قُتِلَ يومَ الخندق شهيداً .

وكان في سَرَحِ القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار
من بنى عمرو بن عوف قيل إنه المنذر بن محمد بن عُنْبَةَ بْنِ أُخَيْحَةَ بْنِ الْجَلَّاحِ ،
فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على المسكر فقالا : والله إن لهذا
الطير آشأنا .

فأقبلا لينظرا فإذا القومُ في دماهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة .

فقال الأنصاري لعمرو بن أمية : ما ترى ؟

قال : أرى أن نلتحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره . فقال
الأنصاري : ولكني ما كنت لأرعبَ بنفسى عن موطنٍ قُتِلَ فيه المنذر بن
عمرو وما كنتُ لنخبرنّى عنه الرجال .

ثم قاتل القومَ حتى قُتِلَ .

(١) - من ابن هشام .

(٢) ارتث : نجا جريماً وبه رمق

وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجزّ ناصيته وأعتقه عن رقية زعم أنها كانت على أمه .

فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة^(١) من صدر قناة أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه في ظلّ هو فيه فسألها عن أتما ؟ فقالا : من بني عامر . فأهلها حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلها ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة من بني عامر في ما أصابوه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، فلما قدم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر قال : لقد قتلت قتيلين لأديبتهما . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارها متحوقاً .

وكان فيمن أصيب يومئذ عامر بن فهميرة ، فكان عامر بن الطفيل يقول : من رجل منهم لما قُتل رأيتُه رُفِعَ بين السماء والأرض حتى رأيت للسماء دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فهميرة .

وذكر ابن عتبة أنه لم يوجد جسد عامر بن فهميرة يومئذ ، فيرون أن الملائكة هي وارثه رحمة الله عليه .

وكان جبار بن سُلَيْم فيمن حضرها يومئذ مع عامر بن الطفيل ثم أسلم فكان يقول : إن مما دعاني إلى الإسلام أرى طمعت رجلاً منهم

(١) القرقرة : هي قرقرة الكدر ، موضع بناحية المدن ، بينه وبين المدينة ثمانية برد .

بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ،
فسمعتة يقول : فزْتُ والله ! فقلت في نفسي : ما فاز ؟ ألسْتُ قد
قتلت الرجل ؟ حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا : بالشهادة^(١)
فقلت : فاز لعمر الله .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً يدعو في صلاة الغداة على الذين
قتلوا أصحاب بئر معونة ، يدعو على رعل وذكوان وعصية الذين عصوا الله
ورسوله ، وأنزل فيمن قُتل هنالك قرآن ثم رفع : « يا أيها الذين آمنوا
لقد كفر الذين الذين هم عن آيات الله وهم عن رسوله يفترون » .

(١) ابن هشام : للشهادة .

ذكر غزوة بني النضير

والسبب الذي هاج الخروج إليهم

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم يستمعينهم في دية العامرين ، الذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لها ، فقالوا له لما كلمهم في ذلك : نعم يا أبا القاسم نعيذك على ما أحببت مما استعنت بها عليه ، اجلس حتى تعلم وترجع بمأجبتك .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ظل جدار من جذر بيوتهم معه نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى^(١) ، ينتظرون أن يصلحوا أسرم .

فجاء بعضهم^(٢) يبعثن والشیطان معهم لا يفارقهم ، فاثمروا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فن رجل يملو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيرميها منه .

فانتدب لذلك عمرو بن جعاش بن كعب ، أحدم ، فقال : أنا لذلك . وصعد ليفعل .

(١) زاد الطري : وأسيد بن حضير .

(٢) الضمير راجع إلى يهود بني النضير .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم ،
فقام راجعاً إلى المدينة وترك أصحابه في مجلسهم ، فلما استلبث النبي صلى
الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه
عنه فقال : أتيته داخلاً للمدينة ، فأقبلوا حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما كانت
يهود أرادت من القدر به .

* * *

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ للحربهم والسير إليهم ،
ثم سار بالناس ونزل بهم ، فتحصنوا منه في الحصون .
وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجلاء عن أوطانهم وأن
يسيروا حيث شاءوا ، فرأسهم أولياؤهم من المنافقين عبد الله بن أبي في
رهن من قومه حين سمعوا ما يراد منهم : أن اثبتوا وتمتعوا فإذا ان
نسلكم ، إن قاتلتهم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم .
ففر منهم أمانى المنافقين ، ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه :
إنا والله لا نخرج ، وإن قاتلنا لقاتلناك .

فرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر الله فيهم ، فلما انتهى إلى
أزقتهم وحصونهم كره أن يكتنهم من القتال في دورهم وحصونهم ، فحفظ
الله له أمره وعزم له على رشده ، فأمر بالأذن فالأذن من دورهم أن
يُهدم وبالنخيل أن تحرق وتقطع ، وكف الله أيديهم وأيدي المنافقين
فلم ينصروهم ، وأتى الله في قلوب الفريقين كاهباً الرعب ، فهدموا الدور
التي هم فيها من أديارها ، فلما كادوا يبلغون آخر دورهم وهم ينتظرون

المداقيف وبتربصون من اصرهم ما كانوا يمتنونهم به حتى يسوا بما عندهم ،
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان عرض عليهم قبل ذلك .
فقاضاهم صلوات الله عليه وسلامه أن يجلبهم ويكف عن دماءهم
وعلى أن لهم ما استقلت به الإبل من أموالهم إلا الحلقة فقط .

فطاروا بذلك كل مطير وتحملوا بما أقلت إياهم ، حتى إن الرجل
ليهدم بيته عن نجاف^(١) بابه فيضمه على ظهر بيمره فينطلق به . فخرجوا
إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، وكان أشرافهم بنو أبي الحقيق
وحتي بن أخطب فيمن سار إلى خيبر ، فلما نزلوها دان لهم أهلها .

وحلى بنو النضير الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت
له خاصة بحكم الله له بها ليضمها حيث شاء ، فقسها على المهاجرين الأوابين
دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة سمالك بن خرشة ذكرا
فقرأ فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منها .

وكانت اليهود قد غيروا المسلمين حين يهدمون الدور ويقطعون النخل
فبادوا : أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على من صدمه ، فما
بال قَطْع النخل ونحر بقها ؟ وما ذنب شجرة وأنتم تزعمون أسكم مصلحون
في الأرض ١٩

فأنزل الله سبحانه في قصتهم وما ذكروه من قولهم وبيان وجه الحكم
في أموالهم سورة الحشر بأمرها . فقال عز من قائل :

(١) النجاف : التبة بأعلى الباب .

« سَبِّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَلُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ » لِذَلِكَ كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْمَذْمُومِ مَنْ أَدْبَارَ بُيُوتَهُمْ وَهَدَمَ الْمَسْلُومِينَ لِمَا بَلَّيَهُمْ مِنْهَا .

« وَلَوْلَا أَنْ نَقَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجُلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا » أَيْ بِالسَّيْفِ « وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ » أَيْ مَعَ مَا لَقَوْهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّقْمَةِ .

نَحْنُ قَالِ تَعَالَى فِيمَا عَابَوْهُ مِنْ قَطْعِ النَّخِيلِ وَعَدُوَّهُ مِنْ ذَلِكَ فُسَادًا : « مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْثَةٍ ^(١) أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ » أَيْ فَبِأَمْرِ اللَّهِ قُطِعَتْ ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فُسَادًا بَلْ نِقْمَةٌ أَنْزَلَهَا بِهِمْ « وَابْتَخَزَی الْفَاسِقِينَ » .

نَحْنُ بَيْنَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْحَكَمِ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنَّهَا تَقَلُّ لَهُ لَا سَهْمَ لِأَحَدٍ فِيمَا مَعَهُ فَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ وَجَلَّ قَوْلُهُ : « وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهَا فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَنْ أَرَاهُ اللَّهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ كَمَا تَقَدَّمَ وَأَعْطَى مِنْهَا الرَّجُلَيْنِ الْمُسْلِمَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ .

* * *

(١) الْبَيْتَةُ : مَا لَمْ تَكُنْ بِرَبِيَّةٍ وَلَا عَجُوزَةً مِنَ النَّخْلِ .

وقال علي بن أبي طالب يذكرك إجلال بني النضير وما تقدم قبل ذلك
من قتل كعب بن الأشرف ، ويقال بل قاتل رجل من المسلمين غير علي: ^(١)

عرفتُ ومن يعتدلُ يَعْرِفُ وَأَبْقَتْ حَقًّا ولم أَصْدِفِ ^(٢)
عن السَّكِيمِ المحْكَمِ اللّاءِ مِن لَدَى اللَّهِ ذِي الرَّأْفَةِ الرَّائِفِ ^(٣)
رسائل تُدْرَسُ في المؤمِّدِينَ بهنِ اصْطَفَى أَحْمَدَ للمُصْطَفَى
فأصبحَ أَحْمَدُ فينا عَزِيزًا عَزِيزَ النِّقَمَةِ والمُؤَقِّفِ
فيا أيها الوَعْدُوه سَفَاهَا ولم يَأْتِ جَوْرًا ولم يَمْنُفِ
الاسمُ تخافون أدنى العذاب وما آمِنُ اللهَ كالأخوفِ
وأن تُفْرَعُوا تحتَ أسيافِهِ كصرعِ كعبِ أبي الأشرفِ
غداةَ رَأَى اللهُ طَغْيَانَهُ وأعرضَ كالجلِ الأحنَفِ ^(٤)
فأنزلَ جبريلَ في قَتْلِهِ بوحيٍ إلى عبده مُلْطَفِ
فدسَّ الرسولُ رسولاً له بأبيضِ ذِي هَبَّةٍ مُرْهَفِ
فبانت عيونُ له مُعْجَلَاتٍ متى يَنْفَعُ كعبٌ لما تَذْرِفِ
وقلنَ لأحمدَ ذَرْبًا قليلًا فإننا من النُّوجِ لم نَشْتَفِ
فخلامُ نَمِ قال انظَمُّوا دُخُورًا على رَغَمِ الآفِ
وأجلى النُّضِيرِ إلى غُرْبَةٍ وكانوا بدارِ ذوى زُخُوفِ

(١) قال ابن هشام : ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها اهل .

(٢) لم أصدف : لم أعرض .

(٣) ابن هشام : الأرف .

(٤) الأحنف : المائل صدر قدمه أو الموج الرجل . وفي ابن هشام الأحنف : والجنب :

للليل والمجور .

إلى أذُرْعَاتِ رُدَائِي وَمِ^(١) عَلَى كُلِّ ذِي دَبَرٍ أُعْجِبِ

ولم يُسَلِّمْ من بنى اللخثير إلا رجلان : يامين بن عمير بن كعب بن عمرو
ابن جِحَاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما خوفاً على أموالهما فأحرزاهما وحديث
بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : ألم تر ما أقيمتُ
من ابن عمك وما هم به من شأى ؟ فجعل يامين لرجل جُمُلاً على أن يقتل عمرو
ابن جِحَاش فقتله ، فيما يزعمون .

غزوة ذات الرقاع

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهرَ ربيع وبعض جُحادي ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلًا^(١) . وهى غزوة ذات الرقاع وسميت بذلك لأنهم رَقَعُوا فيها راياتهم ، وقيل لأجل شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل أما كانوا يصيبون على أرجلهم من الخرق إذا ثَقُبَتْ أقدامهم .

فالتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك جَمْعاً من غطفان ، فتمقارب الناس ولم يكن بينهم حَرْبٌ وحاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بهم .

وفي هذه الغزوة عرض له رجل من مُحَارِبٍ يقال له سَوْرَثٌ ، وقد قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفعل به . فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حِجْرِهِ فقال : يا محمد أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم . فأحذه فاستلّه ثم جعل يهزّه ويهيم به فيكتبه الله ، ثم قل : يا محمد أما تخافني ؟ قال : لا ، ما أخاف منك . قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : بل يلعن الله منك . ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّه عليه .

فأنزل الله تبارك وتعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا كُرُوا نِعْمَةً اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَسَكِّتْ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَهَلِيَ اللَّهُ فَلَيتَوَّكُلِ الْمُؤْمِنُونَ »^(٢) .

(١) نخل : موضع نجد من أرس غطفان .

(٢) سورة المائدة ١١ .

وقيل : إنها إنما نزلت في عمرو بن حنظل وما هم به من إلقاء الحجج على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وصل إلى بني النضير مستعيناً بهم في دية المهاجرين . والله أعلم أي ذلك كان .

* * *

وحدث جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى زوجها وكان غائباً ، فلما أحس الخبر حلت ألا ينتهي حتى يهرب في أصحاب محمد دماً ، فخرج ينبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً ، فقال : من رجل يكلمونا ليلتنا ؟ قال : فانتدب رجل من المهاجرين ، قيل هو عمار بن ياسر ، ورحل من الأنصار ، قيل هو عباد بن بشر ، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري المهاجري : أي الليل نحب أن أكرميكه أوله أو آخره ؟ قال : بل أكفني أوله فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، وأنى الرجل فلما رأى شخصه عرف أنه ربيعة^(١) القوم ، فإماه بسهم فوضعه فيه ، قال : فانتزعه عنه وثبت قائماً ، ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائماً ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه فنزعه ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت^(٢) .

قال : فوثب ، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به فهرب ، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء ، قال : سبحان الله ، أفلا أهبتني أول ما رمك ؟ قال : كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع على الرمي ركعت فآذنتك ، وأيم الله لولا أن أضيق ثغراً أمرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه أقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها !

(١) الربيعة : الطليعة .

(٢) أثبت : أتمنته المراجعة .

[قصة جمل جابر]

وقال جابر بن عبد الله : خرجت إلى غزوة ذات الرقاع هلى جمل لى ضعيف ، فلما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت الرقعة تمضى وجعلت أنخأف ، حتى أدركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا جابر ؟ قلت : يا رسول الله أبطأ بى جملى . قال : أنيحه . فأنيحه وأماخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أعطنى هذه العصا من يدك أو أقطع لى عصا من شجرة ففعلت فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ففخسه بها فخسأت ثم قال : اركب ، فركبت فخرج والذى بعته بالحق يواهى^(١) ناقته مواهقة ، وتحدثت معه فقال لى : أنبيئى جملك هذا يا جابر ؟ قلت : يا رسول الله بل أهبة لك . قال : لا ولكن بعنيه قلت : فسئنيه . قال : قد أخذته بدرهم . قلت : لا إلا أن تغنينى يا رسول الله . قال : فبدرهمين . قلت : لا . فلم يزل يرفع لى حتى بلغ الأوقية فقلت : أفد رضىت ؟ قال : نعم . قلت : فهو لك . قال : قد أخذته .

ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعد ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أنيها أم بكر ؟ قلت : بل أنيها . قال : أفلا جارية تلاحبها وتلاعبك ؟ قلت : يا رسول الله إن أبى أصيب يوم أحد وترك بدات له سبعة ففكحت امرأة جامعة تجمع رهوسهن وتقوم عليهن . قال : أصبت إن شاء الله ، أما إنه لو قد جئت صرارا^(٢) أمرنا بجزور ففجرت وأقنا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فففضت^(٣) نمارقاها . قلت : والله يا رسول الله مالها^(٤) من نمارق . قال : إسا ستكون . فإذا

(١) يواهى ناقته : يباريها .

(٢) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

(٣) يريد امرأة جابر . والتمارق : الوسائد أو الطنافس .

(٤) ابن هشام : مالنا .

أنت قدمت عليها فاعمل عملاً كَيْسًا . قال : فلما جئنا صِرَارًا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنُحِرت وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى دخل ودخلنا ، فحدثتُ المرأة الحديث وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فدونك فستَمع وطاعة .

فلما أصبحتُ أحدثُ برأس الجمل فأقبلت به حتى ألتخفته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلست في المسجد قريبًا منه ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الجمل ، فقال : ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر . قال : ابن جابر ؟ فدُعيت له . فقال : يا بن أخي خذْ برأس جملك فهو لك . ودعا بلالًا وقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية . قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئًا يسيرًا ، فوالله ما زال ينمى عندي ويُرَى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا بمعنى يوم الحرَّة^(١) .

[غزوة بدر الموعِد]

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع أقام بها ثمانية جهادى الأولى وجهادى الآخرة ورجب . ثم خرج في شعبان إلى بدر لمعاد أبي سفيان ، حتى نزل فأقام عليه ثمانى ليال ينتظره .

وخرج أبو سفيان ، في أهل مكة حتى نزل بجدة من ناحية الظهران ،

(١) وقعة الحرّة كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية حين خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحُكم وبني أمية . فأرسل يزيد مسلم بن عقبة الرى فأنهب المدينة وقتل من أهلها خلقًا ، وكان بيت جابر رضى الله عنه بين البيوت التى نهبت ، بل كاد أن يقتل لولا أن أجاره مروان .

هذا وقد قال القرئزى في إمتاع الأسماع ١ / ١٩١ : وقد قيل إن قصة جل جابر وبنيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في غزوة ذات الرقاع ، وفي ذلك نظر ، لأنه جاء أن ذلك كان في غزوة تبوك .

وبعضُ الناس يقول عُشْفَان ، ثم بدّله في الرجوع فقال : يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عامٌ خَصِيب ترْعَوْنَ فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فإن عامكم هذا عامٌ جَدْب ، وإنى راجع فأرجعوا فرجع الناس ، فسماهم أهلُ مكة جيشَ السَّوْبِق يقولون : إنما خرجتم تشربون السَّوْبِق .

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بَدْر ينتظار أبا سفيان ليماده ، فأناه نخشى بن عمرو العُصْمَرى ، وهو الذى كان وادعه على بنى ضمرة . في عِزَّة وَدَّان فقال : يا محمد أجمت لقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بنى ضمرة ، وإن شئتَ مع ذلك ردّدنا إليك ما كان بيننا وبينك ثم جالذناك حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد ، مالنا بذلك منك من حاجة . ومرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو هناك ينتظر أبا سفيان معبّد ابن أبي معبّد أنلزعاه فقال وفاقته تهوى به ، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قد نَفَرْتُ مِنْ رَفَقَتِي مُحَمَّدٍ وَهَجْوَةٍ مِنْ يَثْرَبِ كَأَلْمُنْجِدٍ^(١)
تَهْوَى عَلَى دِينِ أَبِيهَا الْأَنْلِدِ قَدْ جَعَلَتْ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي^(٢)
وماء ضَجْفَانٍ لَهَا ضَحَى الْعَدِ

* * *

وقال عبد الله بن رواحة في ذلك ، ويقال إنها السكعب بن مالك .
وعَدْنَا أبا سفيان بَدْرًا فلما نَجَدَ ليماده صِدْفًا وما كان وافيًا
فأقسمُ لو وافيئدنا فلقيندنا لَأُبَّتْ ذِمَّتًا وَفَقِدَتْ التَّوَالِيَا
تركنا بها أوصالَ عُتْبَةَ وابنه وعمرًا أبا جهل تركناهم ثاويًا

(١) المُنْجِد : لزيب أو الأسود منه ، أو الردى .

(٢) الأنلد : الأقدم . وقديد : موضع قرب مكة . وضجفان : جبل بناحية نهامة ،

وقيل على بريد من مكة .

عصيتم رسول الله أفّ لديكم وأمركم السقي. لدى كان غاوباً
فلأتى وإن عتقتموني أقتل فدا رسول الله أهلى ومايبأ
أطعمناه لم نعدله فينا بغيره شهاباً لدا في ظلمة الليل هادياً
وقال حسان بن ثابت في ذلك :
دعوا فلقجات الشام ودحال دونها جِلاد كَأَفْواءِ الخاضِ الأَوَارِكِ^(١)
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدي الملائكِ
إذا سلكت للغزاة بطن عالج فقولا لها ليس الطريق هنالك
أقنا على الرّسّ الأزوع ثمانياً بأرعن جرّار ع. بص المَبَارِكِ^(٢)
بكل كتميت جؤزه نصف خلقه وقبّ طوالِ مُشرفاتِ الحواريكِ^(٣)
تري للعرفج العايم تدرى أصوله مناسم أخفافِ المطى الروانكِ^(٤)
فإن تلقى تطوافنا والتماسنا قرأت بن حيان يكن رهن هالكِ
وإن تلقى قيس بن امرئ القيس بعه

يزد ، و سوادٍ لونه لون حالك
فأبغ أبا سفيان عتي رسالة فإك من غرّ الرجال الصّمّالكِ
ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأقام بها حتى مضى
ذو الحجة وهي سنة أربع من مقدمة المدينة ، ثم غزا دومة الجندل ، ثم رجع
قبل أن يصل إليها ولم يبق أكيداً ، صلى الله عليه وسلم .

(١) العاجات : جم داج بالتحريك وهو النهر الصغير . والحلاد : الضرب بالسيف
الخاض : الموائل من الإبل . والأوارك : التي ترعى الأراك .
(٢) الرّس : البئر المطوية بالمجارة . والأروع : القرية القمر . والأرعس : الجيش
الكثير له فضول .
(٣) السكيت : الفرس . والجوز : الوسط . والقب : جم أقب ، وهو الصامر من
الحيل . والحواريك : جم حارك وهو أعلى الكاهل .
(٤) العرفج : نبت . والعايم : القدي أتى عليه العام . وتدرى : نعلم . والناسم :
جمع منسم وهو خف البعير . والروانك المسرعة .

غزوة الخندق

وكانت في شوال من سنة خمس في قول ابن إسحاق .

وكان من الحديث عن الخندق أنه لما أُجِّلَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنى للضير خرج نفرٌ من اليهود ، سَلَّام بن أبي الحُقَيْق وْحَيَّ بن أَخْطَب وكِثابة بن الربيع النَّضْرِيّون ، وهُوْذَة بن قيس وأبو عمار الوائليان ، في نفر من بنى للضير وبني وائل ، وهم الذين حَزَبُوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قَدِمُوا مَكَّةَ على قريش فاستنَفَرُوهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعَواهم إلى حربِهِ وقالوا : إنا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عليه حتى نَسْتَأْصِلَهُ .

فَقَالَتْ لَهُمْ قريش : يا معشر يهود إنَّكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْعِلْمِ بِمَا أَصْبَحْنَا نَخْتَلِفُ فِيهِ بَيْنَ نَحْنُ وَمُحَمَّدٌ ، أَفَدِينُنَا خَيْرٌ أَمْ دِينُهُ ؟ قَالُوا : بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُ ، فَهَمَّ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَاللَّطَائِفِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْمِزْهُمْ أَفَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ حَصِيرًا * » (١) .

فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لِقريش سرَّهم وأشعلوا أَمَّا دَعَاؤُهُمْ إِلَيْهِ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْتَمَعُوا لِلذَّكَاءِ وَاتَّعَدُوا لَهُ .

نَمَّ خَرَجَ أُولَئِكَ الْفَرَّ حَتَّى جَاءُوا غَطَفَانَ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ فدَعَاؤُهُمْ إِلَى مِثْلِ مَا دَعَا إِلَيْهِ قريشًا ، وأخبروهم أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ وَأَنَّ قريشًا قد تَابَعُوهم عَلَى ذَلِكَ .

وَجَعَلَتْ يَهُودُ غَطَفَانَ نَحْرِبَضًا عَلَى الْخُرُوجِ نِصْفَ نَمْرِ خَيْبَرِ كُلِّ عَامٍ (٢) .

(١) سورة النساء ٥١ ، ٥٢ .

(٢) في إمتاع الأسماع للمعريزي ٢١٧/١ . وجعلت لهم نمر خيبر سنة ، إن هم هضموه .

فزعوا أن الحارث بن عوف أخا بني مُرّة قال لُعَيْبَةُ بن حِصْن بن حَذِيفَةَ
ابن بدر ولقومه من غطفان : يا قوم أطيموني ، دَعُوا قتالَ هذا الرجل واخلُوا
بيده وبين عدوّه من العرب فغلب عليهم الشيطان وقطع أعناقهم الطمع
ونفذوا لأمر عُبَيْدَةَ على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكتبوا إلى
حلفائهم من بني أسد ، فأقبل طَلَيْحَةُ الأَسَدِي ، فيمن اتبعه من بني أسد
وهما الحليفان أسد وغطفان .

وكتبت قريش إلى رجال من بني سُليْمٍ أشراف بينهم وبينهم أرحام
استمداداً لهم ، فأقبل أبو الأعور بمن اتبعه من سليم مدداً لقريش .
فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها
عُبَيْدَةُ بن حصن في بني فزارة والحارث بن عوف في بني مُرّة ومُسْعِر بن ^(١) رُحَيْلَةَ
الأشجعي فيمن تابعه من قومه من أشجع ، وتكامل لهم ولن استمدوه
فأمدهم جمعٌ عظيم ، هم الذين سماهم الله « الأحزاب » .

[حفر الخندق]

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروجهم وبما أجمعوا له من الأمر
أخذ في حفر الخندق وضربه على المدينة ، فعمل فيه صلى الله عليه وسلم ترغيباً
للمسلمين في العمل والأجر وعمل معه المسلمون ، فدأب فيه ودأبوا حتى
أحسّوه .

وأبطأ عنهم في عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين وجعلوا يُورّون بالضعيف
من العمل ويتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابتَه الفأبة من الحاجة التي لا بد له

(١) كذا بالأصل . وفي ابن هشام : مسمود .

منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه في الحقوق بحاجته فيأذن له فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحساناً بآله ، فأنزل الله في أولئك من المؤمنين : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يستأذنه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنتكم لبعض شأنهم فأذن لمن شئتم منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ^(١) » فبزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة والطاعة لله ولرسوله

ثم قال تبارك وتعالى ، يعنى المدايق الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون بغير إذن من الله صلى الله عليه وسلم : « لا تعملوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم وإذا فلتمحذروا الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

[معجزات للرسول]

وكانت في حفر الخندق أحاديث فيها من الله خيرة في تصديق رسوله وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون . منها : أنه اشتد عليهم في بعض الخندق لذيبة ^(٢) فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء فعمل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك السكدة فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق لأمهات حتى عادت كالسكتيب ما ترد فأساً ولا مسجاة . ودعت عمرة بنت ربيعة أم النعمان بن بشير ابنة لها من بشير فأعطتها

(١) سورة النور ٦٢ .

(٢) السكدة : الصخرة الشديدة .

حَفْظَةً مِنْ تَمَرٍ فِي ثَوْبِهَا ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّ بَنِيَةِ أَذْهَبِي إِلَى أَبِيكَ وَخَالَكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بِخَدَّيْهِمَا .

قَالَتْ : فَأَخَذْتُهَا فَأَنْطَلَقْتُ فَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا النَّسِيبُ أَبِي وَخَالِي ، فَقَالَ : تَمَآلَيَّ يَا بَنِيَّةُ مَا هَذَا مَعَكَ ؟ قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا تَمَرٌ بِمَعْتَقِي بِهِ أُمِّي إِلَى بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ وَخَالِي عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَقْتَضِيَانِهِ . قَالَ : هَاتِيهِ قَالَتْ : فَصَبَبْتُهُ فِي كَفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا مَلَأْتُهُمَا ثُمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبَسَطَهُ لَهُ ، ثُمَّ دَحَا بِالْتَمَرِ فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَهُ : اصْرُخْ فِي أَهْلِ الْخَلْدِقِ : أَنْ هَلَمُّوا إِلَى الْغَدَاةِ . فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْخَلْدِقِ عَلَيْهِ فَجَعَلُوا يَا كَلُونْ مِنْهُ وَجَعَلَ يَزِيدُ حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَلْدِقِ وَإِنَّهُ لَيَسْقُطُ مِنْ أَطْرَافِ الثَّوْبِ !

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : عَلِمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخَلْدِقِ وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ نَهَارًا فَإِذَا أَمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهْلِينَا ، فَكَانَتْ مَعِيَ شَوْيْهَةٌ غَيْرُ جِدَّةٍ سَمِيَّةٍ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ صَنَعْتُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَأَمَرْتُ امْرَأَتِي فَطَحَنَتْ لَدَا شَيْئًا مِنْ شَعِيرٍ فَصَنَعَتْ لَنَا مِنْهُ خَبْزًا وَذَبَحَتْ تِلْكَ الشَّاةَ فَشَوَّيْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَمْسَيْنَا وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِنْصِرَافَ عَنِ الْخَلْدِقِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي صَنَعْتُ لَكَ شَوْيْهَةً كَانَتْ عِنْدَنَا وَصَنَعْنَا مِنْهَا شَيْئًا مِنْ خَبْزِ هَذَا الشَّعِيرِ ، فَأَحَبُّ أَنْ تَنْصَرِفَ مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي . وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَنْصَرِفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْدَهُ .

فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ قَالَ : نَعَمْ . ثُمَّ أَمَرَ صَدَارْخَا فَصَرَخَ : أَنْ أَنْصَرِفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . قَالَ : قَالَتْ : إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ مَعَهُ فَجَلَسَ وَأَخْرَجَهَا

« م ١١ - الْاِكْتِنَاءُ ج ٢ »

إليه فَبَرَكَ وَسَمَّى اللَّهَ ثُمَّ أَكَلَ وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ ، كَلِمًا فَرَّغَ قَوْمٌ قَامُوا وَجَاءَ نَاسٌ ،
حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَلْدِقِ عَنْهَا .

وَحَدَّثَ سَلْمَانُ الْفَارَسِيُّ قَالَ : ضَرَبْتُ فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْخَلْدِقِ فَلَمَّظْتُ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبَ مَفَى ، فَلَمَّا رَأَى أَضْرَبَ وَرَأَى شِدَّةَ
الْمَكَانِ عَلَى نَزْلِ فَأَخَذَ الْمَعُولَ مِنْ يَدِي فَضَرَبَهُ بِهِ ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ الْمَعُولِ
بَرْقَةً ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً أُخْرَى فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةً أُخْرَى ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الثَّالِثَةَ
فَلَمَعَتْ بَرْقَةً أُخْرَى ، قُلْتُ : يَا أَبَى أَنْتَ وَأَمَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ
لَمَعَ تَحْتَ الْمَعُولِ وَأَنْتَ تَضْرِبُ ؟ قَالَ : أَوَقَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ بِإِسْلَامٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ
قَالَ : أَمَّا الْأَوَّلَى فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَى بَهَا الْبَيْنِ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَى بَهَا
الشَّامِ وَالْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ بِهَا ^(١) عَلَى الْمَشْرِقِ . فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ
يَقُولُ حِينَ قُتِحَتِ الْأَمْصَارُ فِي زَمَانِ عُمَرَ وَزَمَانِ عُثْمَانَ وَمَا بَعْدَهُ : افْتَتَحُوا مَا بَدَأَ
إِسْلَامُكُمْ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ مَا افْتَتَحْتُمْ مِنْ مَدِينَةٍ وَلَا تَفْتَتَحُونَهَا إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَفَاتِيحَهَا قَبْلَ ذَلِكَ .

* * *

وَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَلْدِقِ أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلَتْ
بِمَجْمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةٍ بَيْنَ الْجُوفِ وَزُعَابَةِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيْشِهِمْ
وَمِنْ تَبِعِهِمْ مِنْ بَنِي كِفَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ وَمِنْ تَبِعِهِمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ
حَتَّى نَزَلُوا بِذَنْبِ نَقَمَى إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ .

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَسْلُومُونَ حَتَّى جَمَعُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى
سَلْعٍ ، فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَسْلُومِينَ فَضَرَبَ هَهُنَاكَ عَسْكَرَهُ وَالْخَلْدِقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

(١) ابْنُ هِشَامٍ : عَلَى بَهَا .

القوم ، وأمر بالذّراري والنساء فجعلوا في الآطام .

[نقض بني قريظة العهد]

وخرج عدوّ الله حيّ بن أخطب حتى أتى كعب بن أمّد صاحب عقْد بني قريظة ، وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده على ذلك وعاهده ، فلما سمع كعب بن أخطب أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حيّ : ويحك يا كعب افتح لي . فقال : ويحك يا حيّ إني امرؤ مشؤوم ، وإني قد عاهدتُ محمداً فليست بمناقض ما بيني وبينه ، ولم أرمه إلا وفاءً وصداً ، قال : ويحك افتح لي أكلّمك . قال : ما أنا بفاعل . قال والله : إن أغلقت دوني إلا على جَشِبَشْتِكَ^(١) أن آكل منك منها . فأحفظ الرجل ففتح له فقال : ويحك يا كعب اجئتك بمنزلة الدهر ويبيع طامر اجئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ من رومة ، وبخطمان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذي نَبْطِ إلى جنب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه .

فقال له كعب : جئني والله بذل الدهر ، وبجهام^(٢) قد هراق ماءه فهو يرعد ويُبرق وليس^(٣) فيه شيء ، ويحك يا حيّ فدعني وما أنا عليه فإني لم أرم محمداً إلا صداً ووفاء .

فلم يزل حيّ يكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له ، على أن أعطاه

(١) الجشيشة : ما جث من بر ونحوه .

(٢) الجهام : السحاب لا ماء فيه . أو قد هراق ماءه .

(٣) ابن هشام : ليس فيه شيء .

عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريشٌ وغلطان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل
معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك .

فنفذ كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى الخبرُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ ، وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن
عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير
فقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ؟ فإن كان حقاً
فالحدوا إلى حلفنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاء الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا
وبينهم فاجهروا به للناس .

فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، نالوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد
فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة فقال له سعد بن عبادة :
دع عنك مشاتمهم فإيئنا [وبينهم] ^(١) أولى من المشامة .

ثم أقبلوا ومن معهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسلموا عليه ، ثم
قالوا : عضل والقارة . أي كندر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين .

[اشتداد البلاء]

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل

(١) من ابن هشام والطبري .

منهم ، حتى ظن المؤمنون كلَّ ظن ونجَمَ الفئاقُ من بعض المنافقين ، وحتى قال قائل منهم : كان محمد يَمِدُّنا أن نأكل كدورَ كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط !

وأقام عليه المشركون قريبا من شهر لم يكن بينهم حرب إلا الرَّمْيُ^(١) .
بالتَّحِيلِ والحصار .

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عُمَيْيَّة ابن حِصْن وإلى الحارث بن عوف ، وهما قائدَا غَطَّافان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فيجريا بينه وبينهما المراضة في الصلح^(٢) حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادةُ ولا عزيمة الصلح ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فدكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله أمرأ تحبه فتصنعه ؟ أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ؟ أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنع لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكأبوكم من كل جانب فأردت أن أكسِرَ عنكم من شوكتهم إلى أمرنا^(٣) .

فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قَرَى أو بَيْعًا ، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنَا بك نعمتهم

(١) كذا بالأصل ، و ابن هشام . الرمي . و الطبرى . الرى . والزميا بكسر الراء والميم مشددين وتخفيف الياء المفتوحة : المراماة .

(٢) ابن هشام والطبرى : فجرى بينه وبينهما الصلح . وما هنا أدق .

(٣) الطبرى : لأمر ما ساعة .

أموالنا؟ مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذلك . فتداول سعد للصحية فمعا ما فيها من السكتب^(١) ثم قال : ليجهدوا علينا .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوم مُحاصروم ، ولم يسكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود وعكرمة ابن أبي جهل وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب وضِرَار بن الخطاب تلبسوا^(٢) للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهياؤا يا بني كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم . ثم أقبلوا تُمُتَق^(٣) بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا : والله إن هذه كسكيدة ما كانت للعرب تسكيدها ! ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلم ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم اللقمة التي أقعوا منها خيلهم ، وأقبلت للفرسان تُمُتَق نحوهم ، وكان عمر بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج مُعَلِّمًا يُروى مكانه ، فلما وقف هو وخيله قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له : يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها^(٤) معه فقال له : أجل . فقال له علي : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لي

(١) ابن هشام : من السكتاب .

(٢) الطبري : قد تلبسوا .

(٣) تُمُتَق : تسرع .

(٤) الطبري : إلا أخذت منه إحداها .

بذلك . قال : فإني أدهوك إلى النَّزَال . قال له : ولم يا بن أخي ! فوالله ما أحب
أن أقتلك . قال علي : لسكني والله أحب أن أقتلك ! فحَمِي عمرو عند ذلك
فاقتحم عن فرسه فمقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على عليّ فتنازلا ونجاولا ،
فقتله عليّ .

وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخلدق هاربة .
وذكر ابن إسحاق في غير رواية البسكائي أن عمرًا لما نادى بطلب من
يبارزه قام على رضى الله عنه وهو مقنع في الحديد فقال : أنا له يانبي الله . فقال
له : اجلس إنه عمرو ! ثم ذكر عمرو النداء وجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم
التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ! أفلا تبرزون إلى رجلا ؟ ! فقام على فقال :
أنا له يارسول الله . قال اجلس إنه عمرو . ثم نادى الثالثة وقال :

ولقد بُحِثت من السدا ۝ بجميعكم هل من مُبَارِزٍ
ووقفتُ إذ جَبْنُ المشجع وقفة الرجل المداجز
وكذاك أنسى لم أزل متسرعا نحو المزايز^(١)
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز
فقام على رضى الله عنه فقال : أنا له يارسول الله . فقال : إنه عمرو !
فقال : وإن كان عمرًا . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فشى إليه عليّ
وهو يقول : -

لا تمجلنَّ فقد أنا ك مجيبُ صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق مُنجي كلِّ فائز

(١) المزايز : الدوامى والشدائد .

إني لأرجو أن أقيم عليك نائمة الجفائر
من ضربة تجلاء يتي في ذكرها عند المزاهر

فقال عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علي ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا
علي بن أبي طالب . فقال غيرك يا بن أخي من أعمامك من هو أسن منك ،
فإني أكره أن أهرق دمك . فقال علي : لكنني والله ما أكره أن أهرق
دمك . فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي مضربا .
ويقال إنه كان علي فرسه فقال له علي : كيف أقاتلك وأنت على فرسك ؟
ولكن انزل معي . فنزل عن فرسه ثم أقبل نحو فاستقبله علي بذكرته فضربه
عمرو فيها فقتلها وأثبت فيها لل سيف وأصاب رأسه فشجته ، وضربه علي على
حبل العاتق فسقط وثار المجاج ، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير
فعرف أن عليا قد قتله ، ثم يقول علي رضي الله عنه :

أعلى تقتحم الفوارس سكدا عني وعلمه أخبروا أصحابي
فاليوم يمدني الفرار حفيظتي ومهضم في الرأس ليس بدائي
أدى ضمير حين أخلس صقله صافي الحديدة يستفيض نوابي^(١)
فندوت التمس القراع بمرهف عضب مع الثراء في إقراب^(٢)

(١) قال السهيلي : قوله : أدى ضمير إلى قوله : نوابي : أي أدى إلى نوابي وأحسن جزائي
حين أخلس صقله :

قلت : الصواب إن شاء الله في تفسيره : أن يكون نوابي مفعولا بـ يستفيض : أي أدى
الأمانة حين أخلس صقله . ومفعول أدى غنوف وهو الأمانة . فقوله يستفيض : أي يطالب
فيض نوابي أي جزائي ومكافأتي . وهذا هو الحق . والله أعلم . « هامش ط »

(٢) القراع : القتال ، والعضب : القطع . والثراء : يقال ثوس مائر : تقطع الوتر
اصلايتها . وثي الروس البثرة عرقة . والارباب : إدخال السيف في الثراب . وهو القمد

قال ابن عُبَيْدٍ حين شَدَّ أَلِيَّةً^(١) وحلفتُ فاستقموا مِن السَّكَذَابِ
 أن لا يفرّ ولا يُهْلَل^(٢) فالتقى أَسَدَانِ يَضْطَرِبَانِ^(٣) كُلُّ ضَرَابٍ
 نَعَرَ الحِجَارَةَ مَن سَفَاهَةٍ رَأَىهِ وَنَصَرْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ^(٤) بِصَوَابٍ^(٥)
 فَصَدَدْتُ حين تَرَكَته مُتَجِدِّلاً كَالْجَذْعِ بَيْنَ دَكَاذِكِ وَرَوَابِي^(٦)
 وَعَقَفْتُ عَنِ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ المُجْدِلَ بَرْزَنِي^(٧) أَثْوَابِي
 لَا تَحْسَبَنَّ اللهُ خَاذِلَ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ يَا مَعْشَرَ الأَحْزَابِ

* * *

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبني قريظة
 « حم لا يَنْصُرون » .

[إصابة سعد بن معاذ]

وكانت عائشة رضي الله عنها يوم الخندق في حصن بني حارثة ، وكان من
 أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن ، قالت عائشة :
 وذلك قبل أن يُضْرَبَ علينا الحِجَابُ ، فرَّ سعد وعليه دِرْعٌ لَهُ مُقْلَصَةٌ^(٨) وقد

(١) الألية : الخلف .

(٢) التهايل : التكموس والجبن ، يقال : حلّ ذاهل .

قال كعب بن زهير : * وما لهم عن حياض الموت تهليل *

(٣) هاشم : الأصل : يلتقيان .

(٤) هاشم ط . الأصل : رب محمد .

(٥) ذكر ابن هشام هذه الأبيات الأربعة الأخيرة وقال : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك
 فيها لعل بن أبي طالب . ٢٢٦/٢ .

(٦) المتجدل : الصريم . والدكاك : جمع دكاء وهو الرمل اللين . والروابي جمع رابية
 وهي المرتفع من الأرض .

(٧) بَرْزَنِي : سلبى .

(٨) مقْلَصَةٌ : منكشة غير سائنة .

خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة يَرَقْدُ بها في نشاط ، وهو يقول :

لَبِثَ قَلِيلًا بِشَهِدِ الْمَيِّجَا حَمَلٌ^(١) لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فَقَالَتْ أُمُّهُ : الْحَقُّ أَيُّ بَنِي فَقْدِ وَاللَّهِ أَخَّرْتُ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ لَهَا :
يَا أُمَّ سَعْدٍ وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنْ دَرَعَ سَعْدٌ كَانَتْ أَسْبَغَ مِمَّا هِيَ . قَالَتْ : وَخِيفْتُ عَلَيْهِ
حَيْثُ أَصَابَ السَّهْمُ مِنْهُ ، فَرَمَيْ سَعْدٌ بِسَهْمٍ قَطَعَ مِنْهُ الْأُكْعَلُ ، رَمَاهُ حِجَابُ
بَنِي قَيْسِ بْنِ الْعَرِيقَةِ أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، فَلَمَّا أَصَابَهُ قَالَ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ
الْعَرِيقَةِ . فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : عَرَّقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي الْفَارِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَبْقَيْتُ مِنْ
حَرْبٍ قَرِيشًا شَيْئًا فَأَبْقَيْتَنِي لَهَا فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَجَاهِدَ^(٢) مِنْ قَوْمِ آذَوَا
رَسُولَكَ وَكَذَّبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ ، اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتُ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
فَاجْعَلْهَا لِي شَهَادَةً وَلَا تُنَمِّتْنِي حَتَّى تَقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ يَقُولُ : مَا أَصَابَ سَعْدًا يَوْمَئِذٍ إِلَّا أَبُو
أَسَامَةَ الْجَشَعِيُّ حَلِيفُ بَنِي مَخْزُومٍ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا يَخَاطَبُ عِكْرَمَةَ بْنَ
أَبِي جَهْلٍ :

أَعِزُّكُمْ هَلَا لَمْتُنِي إِذْ يَقُولُ لِي^(٣) فَدَاكَ بِأَطْشَامِ الْمَدِينَةِ خَالِدُ
أَلَسْتُ الَّذِي أَلَزَمْتُ سَعْدًا مَرِشَةً^(٤) لَهَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمُرَافِقِ عَائِدُ^(٥)

(١) بالأصل : جل كافي ابن هشام . وبنو الطبري : جل . وجل : هو حمل بن سعدانة
ابن حارثة الكلبي ، وهو الذي تنزل بهذا البيت كما قال السهيلي والروث . وقد نسب له الزبيدي
في تاج العروس ٢٩٠/٧ وهو في اللسان ١٩٣/١٣ .

(٢) ابن هشام والطبري : أن أجاهد .

(٣) ابن هشام : إذ تقول .

(٤) مرشة : أي رمية أصابته فغرقت دمه .

(٥) ابن هشام : عائد .

قضى نخبه منها سميده فأعولت عليه مع الشُّمط العذاري للنواهد

في أبيات ذكرها ابن إسحق .

ويقال : إن الذي رمى سعدا خفافه^(١) بن حبان . فالله أعلم أمتى ذلك كان .

[شجاعة صفية بنت عبد المطلب]

وكانت صفية بنت عبد المطلب في فارغ ، أطم^(٢) حسان بن ثابت ، قالت :
وحسان ممنا فيه مع النساء والصبيان . قالت صفية : فرّ بنا رجل من يهود
فجمل يُطيف بالحصن وقد حاربت بدو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أئانا
آت ، قالت : قلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يُطيف بالحصن وإني والله
ما آمده أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأصحابه فانزل إليه فاقته . قال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب
والله لقد علمت ما أنا بصاحب هذا . فلما قال لي ذلك ولم أر عدده شيئاً احتجرت^(٣)
ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربتة بالعمود حتى قتلتها ، فلما
فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت لحسان : انزل فاسلبه فأني لم يعمى من
سلبه إلا أنه رجل . قال : مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف

(١) ابن هشام : خفافه بن عاصم بن حبان .

(٢) الأطم : الحصن . وفي ابن هشام والطبري . في حصن حسان .

(٣) احتجرت : شددت على وسطها حزاماً .

والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

[حيلة نعيم بن مسعود]

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فزني بما شئت .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عما
إن استعطمت ، فإن الحرب خدعة .

فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية فقال : يا بني
قريظة ، قد عرفتم ودّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت فاست
عندنا بمقتهم . فقال لهم : إن قريشا وغلطان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم به
أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدر أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن
قريشا وغلطان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهروا محمد عليه ، وبلدكم وأموالهم
ونساؤهم وبغيره فليسوا كأنتم^(١) فإن رأوا نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك
لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، فلا طاقة لكم به إن خلا
بكم ، فلا تقاتلوا مع اللوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم يكونون بأيديكم
ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى تنأجروه .

قالوا : لقد أشرت بالرأي .

ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان ومن معه من رجالهم : قد عرفتم
ودّي لكم وفراق محمد ، وإنه قد بلغني أمر رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه

(١) الطبري : ليسوا كهبتكم .

نصحا لكم فاكتموا عني . قالوا : نفعل . قال : تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيا بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل برضيك أن نأخذ لك من الغبيطين من قريش و غطفان رجلا من أشrafهم فدمعناهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان إنكم أهلى وعشيرة وأحب الناس إلى ، ولا أراكم تنهوننى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال : فاكتموا عني . قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

فذا كانت ليلة السبت^(١) وكان ذلك من صُنع الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان بن حرب ورواس غطفان إلى بنى قريظة عِكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش و غطفان فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخلف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، وقد كان أحدث فيه بمضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعلمونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فإننا نخشى أن ضررناكم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنضمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا^(٢) ولا طاقة لنا بذلك .

(١) زاد ابن هشام والطبرى : من شوال سنة خمس .

(٢) ابن هشام والطبرى : فى بلادنا .

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بدو قريظة قالت قريش وعطفان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا .

فكانت بدو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر اسمك نعيم ابن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخابوا بينكم وبين الرجل في بلادكم . فأرسلوا إلى قريش وعطفان : إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً . فأبوا عليهم .

وخذل الله بينهم ، وبعث عليهم الريح في آيال شامية شديدة البرد ، فجعلت تسكفاً قدورهم وتطرح آيتهم^(١) .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرّق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه ليلاً لينظر ما فعل القوم فحدث حذيفة رحمه الله ، وقد قال له رجل من أهل الكوفة : يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته ؟ قال نعم يا بن أخي . قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهّد . قال الرجل : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض وللخيل على أعناقنا . فقال حذيفة : يا بن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى هَوِيّاً^(٢) من الليل ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - بشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرّجعة - أسأل الله أن يكون رفيق في الجنة ؟ فما

(١) ابن هشام والطبري : أبيتهم .

(٢) الهوى : الساعة من الليل .

قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحدٌ دعاني فلم يسكن لي بُد من القيام حين دعاني فقال : يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تُحدثن شيئا حتى تأتينا .

فذهبتُ فدخلت في القوم والريحُ وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تُقر لهم قِذرا ولا نارا ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ليظن امرؤ من جلسائه . قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان .

وذكر ابن عتبة أنه فعل ذلك بمن بلى جانبيه يمينا وبسارا ، قال : وبدرهم بالمسألة خشية أن يطفوا له .

قال حذيفة : ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك السكران والخلف وأخلفنا بنو قريظة وبلغنا منهم الذي نكروه ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تُظهِين^(١) لذا قِدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل . ثم قام إلى جهله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقله إلا وهو قائم . ولولا عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى « أن لا تُحدث شيئا حتى تأتيني » ثم شئت لقتلته بسهم . فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه فلما رآني أدخلني إلى^(٢) رجله وطرح على طرف المرط ثم ركم وسجد وإني أقيه ، فلما سلم أخبرته الخبر .

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

(١) ابن هشام : ما تظهِين لنا قدر

(٢) الطبري : بين رجله .

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون معه وقد عضَّهم الحصار ، فرجعوا مجوذين فوضعوا السلاح .

[غزوة بنى قريظة]

فلما كانت الظهيرة أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم معتجراً بهامة من استبرق على بقة عليها رِحالة عليها قطيفة من ديباج .^(١)

ويقولون فيما ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في المفتسل عهد ما جاءه جبريل وهو برجل رأسه قد رجل إحدى شتيه . فجاءه جبريل على فرس عليه ألأمة^(٢) حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجذائر وإن على وجهه جبريل لأثر الغبار ، نفرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل : غفر الله لك ! أقدم وضعتم السلاح ؟ قال : نعم . قال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة فإني عامدٌ إليهم فزئزل بهم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فأذّن في اللباس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصليّ العصر إلا في بنى قريظة .

وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب براءة إلى بنى قريظة وابتدروها للناس ، فسار على رضى الله عنه حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالةً فيبيحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال : يا رسول الله لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخابث . قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم . قال : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم

(١) الرحالة : السرج .

(٢) الألأمة : ما يلبسه المحارب من الدروع .

قَالَ : يَا إِخْوَانُ الْقَرْدَةِ هَلْ أَخْزَاكُمْ اللَّهُ وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ ؟ قَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا كُنْتَ حَمُولًا .

وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغُفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَرِيقِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَنِي قَرْبِظَةَ ، فَقَالَ : هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرَّ بِدَا دِحْيَةَ ابْنِ خَلِيفَةَ السَّكَلَبِيِّ عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ عَلَيْهَا رَحَالَةٌ عَلَيْهَا قَطِيفَةٌ دَبِيحًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ جَبْرِيلُ بُعِثَ إِلَى بَنِي قَرْبِظَةَ لِيُنْزِلَ بِهِمْ حَصُونَهُمْ وَيَقْذِفَ الرِّعَابَ فِي قُلُوبِهِمْ .

وَتَلَاخَقَ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنَّى رَجَالَ مِنْ بَعْدِ الْمَشَاءِ الْآخِرَةَ لَمْ يَصِلُوا الْمَعْرَاقَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَصِلُونَ أَحَدُ الْمَعْرَاقِ إِلَّا بِبَنِي قَرْبِظَةَ » فَصَلُّوا الْمَعْرَاقَ بِهَا مِنْ بَعْدِ الْمَشَاءِ الْآخِرَةِ ، فَمَا عَابَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ وَلَا عَذَبَهُمْ بِهِ رَسُولُهُ .

وَذَكَرَ ابْنُ عُثْمَانَ أَنَّ النَّاسَ لَمَّا حَانَتِ الْمَعْرُومُ فِي الطَّرِيقِ ذَكَرُوا الصَّلَاةَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَكُمْ أَنْ تَصَلُّوا الْمَعْرَاقَ فِي بَنِي قَرْبِظَةَ . وَقَالَ آخَرُونَ : هِيَ الصَّلَاةُ . فَصَلَّى مِنْهُمْ طَائِفَةٌ وَأُخْرَى الصَّلَاةَ طَائِفَةٌ حَتَّى صَلُّوْهَا فِي بَنِي قَرْبِظَةَ بَعْدَ أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ ، فَذَكَرُوا الرَّسُولَ اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَجَلٍ بِالصَّلَاةِ وَمِنْ آخِرِهَا ، فَذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَمُتَّفَ وَاحِدَةً مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ .

[الْحَصَارُ]

وَحَاصِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي قَرْبِظَةَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً حَتَّى جَهَدَهُمُ الْحَصَارُ ، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرِّعَابَ .

(م ١٢٢ الاكتفاء - ج ٢)

وكان حيي بن أخطب دخل على بنى قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغلطفان وفاء السكيب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أبقوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يداجزم قال لهم كعب بن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلافا ثلاثا نخذوا أيها شئتم . فقالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدق فوائده نقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه للذي تجدونه ^(١) في كتابكم ، فتؤمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم على هذه فهل فلتقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصليين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وإن نظهر فلمعمرى لنجعلن للنساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعمدنا ؟ قال : فإذا أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمدوا فيها فانزلوا أهلكا نصيب من محمد وأصحابه غيرة . قال : نهدد سبقتنا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ؟ قال : ما بات رجل منكم منذ ولدت أمه حازما ليلة واحدة من الدهر ! ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعت إلينا أبا لُبابة ابن عبد المنذر ، أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، نستشير في أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان فيكون في وجهه ، فرق لهم وقالوا له : يا أبا لُبابة أنرى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار بيده إلى خلقه : إنه الصبح .

(١) الطبرى : كنتم تجدونه

قال أبو كُبَابَة : فوالله ما زالت قدمائى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خُذْتُ الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده . وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىَّ مما صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ^(١) بنى قريظة أبدا ولا أرى في بلد خذت الله ورسوله فيه أبداً .

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال : أما إنه لو كان جاءنى لاستغفرت له ، فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه . فنزلت توبته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر وهو بضحك قالت : مم تضحك أضحك الله منك ؟ قال : تريب على أبى لبابة . قالت قلت : أفلا أبشره يا رسول الله . قال : بلى إن شئت . قال فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت : يا أبا كُبَابَة أبشر فقد تاب الله عليك . قالت : فنار الداس إليه ليُطْلَقوه فقال : لا والله حتى يسكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده . فلما مر عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه .

وذكر ابن هشام أن أبا لبابة أقام مرتبطا بالجدع ست ليال تأنيه امرأته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجدع .
والآية التى نزلت في توبته : « وَآخَرُونَ اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا

(١) الطرى : ألا يطأ .

وآخر شيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم^(١) ، وأنزل الله في أبي
لبابة ، فيما روى عن عبد الله بن قتادة :
« يا أيها الذين آمنوا لا تحذروا الله والرسولَ وتحذروا أماناتكم وأنتم
تعملون^(٢) » .

ثم إن ثعلبة بن سَعْيَةَ وأسيد بن سَعْيَةَ وأسد بن عمير وهم نفر من [بني] ^(٣)
هُذَل ليسوا من بني قريظة ولا بني النضير ، نسبهم فوق ذلك هم بنو عم للقوم ،
أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأحرزوا دماءهم وأموالهم ، وكان إسلامهم فيما زعموا عما كان
أقاه إليهم من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن الهيثبان القادم عليهم قبل
الإسلام متوَكِّفاً لخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقتضى انبؤته ، فرفع
الله هؤلاء الثلاثة بذلك واستغفرهم به من النار .

وقد تقدم ذكر خبره فيما مضى من هذا الكتاب^(٤) .

وخرج في تلك الليلة عمر بن سعد بن مقرن ، فرت بحرس رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن
سعدى . وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال : لا أعدر بحمد أبداً . فقال محمد بن مسلمة حين عرفه :
اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه حتى
بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلم يُدرَ

(١) سورة التوبة ١٠٢ .

(٢) سورة الأنفال ٢٧ .

(٣) من ابن هشام والطبري .

(٤) سبق ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب ٢٣٤ .

أبن توجه من الأرض إلى يوم هذا . فذكر شأنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك رجل نجباء الله بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رمة ملقاة ولا يدري أين ذهب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة . فالله أعلم أى ذلك كان .

[حكم سعد بن معاذ]

ولما نزل بدو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم توثبت الأوس فقالوا : يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالينا بالأمس ما قد علمت - يريدون بني قينة - وما كان من حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ونزولهم على حكمه ، وكيف سأله إياهم عبد الله بن أبي بن سؤل فوجههم له . فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى . قال : فذاك إلى سعد بن معاذ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها ربيعة في مسجده كانت تداوى الجرحى وتحسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم في الخندق : اجملوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب . فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه لحميلوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلا جسيا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن في مواليك

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولّاك ذلك لتتحسن فيهم . فلما أكتروا قال : لقد آن لسعدٍ أن لا تأخذه في الله لومةٌ لائمٍ !

فرجع بعضُ من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التي سمع منه .

فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قوموا إلى سيدكم » فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد الأنصار . وأما الأنصار فيقولون : قد علم بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسلمين . فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولّاك أمرَ مَوَالِيكَ لتحكم فيهم . فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه : أن أحكمُ فيهم لما حكمتُ ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى من هاهنا - في الناحية التي فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - وهو مُتْرَض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم - نعم . قال سعد : فإنّي أحكم فيهم أن تُقتل الرجال وتقسّم الأموال وأنسبى القراري والنساء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة^(١) .

ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة في دار امرأة من بني النجار ، ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة فخذق بها خنّادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنّادق ، يُخرج بهم إليها أرسالا . وفيهم عدو الله حيّ بن أخطب وكمب بن أسد رأس اللقوم ، وم

(١) الأرقعة : السموات . واحدها رقيع .

ستائة أو سبعائة ، والكثير يقول : كانوا بين الثمان المائة والتسع المائة^(١) . وقالوا :
الكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا :
يا كعب ما تراه يصنع بدا ؟ قال : أفي كل موطن لا تنقلون ! ألا ترون أن الداعي
لا ينزع وأن الذهاب^(٢) لا يرجع ؟ ! هو والله للقتل .

فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى
بمدوّ الله حبيّ بن أخطب وعليه حلة فقاحية^(٣) قد شقها عليه من كل ناحية
قدّر أكلة لثلا يُسَلِّبها ، مجموعة بداه إلى عنقه بحبل ، فلما نظر إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : أمّا والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكن من يُخذل
الله يُخذل ! ثم أقبل على الناس فقال : يا أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ،
كتاب وقدّر ومَلَحَمَة كُتِبَتْ على بنى إسرائيل ! ثم جلس فضربت عنقه . فقال
في ذلك جبل بن جوال النخعي :

لعمرك ما لام ابنُ أخطب نفسه ولكنه من يُخذل الله يُخذل
لجأه حتى أبلغ النفس عذرها وقَلَقَل يبغي العزَّ كلَّ مُقَلِّقِلٍ^(٤)

بل ابتغى عدوّ الله ذلَّ الأبد فوجده ، وجاهد الله فجهدَه فأصبح برايه
للقائل^(٥) وسعيه الخامس من الذين لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة
عذابُ النار .

وقُتِل من نساء بنى قريظة امرأة واحدة لم يقتل من نساءهم غيرها ، قالت

(١) ابن هشام : بين الثمان مائة والتسع مائة .

(٢) ابن هشام : وأنه من ذهب به منكم لا يرجع .

(٣) القحاح : الزهر إذا شقت أكنته . والمراد أنها كانت تضرب إلى الحرة .

قال ابن هشام : فقاحية : ضرب من الوشي .

(٤) قَلَقَل : سعى وتحرك .

(٥) القائل : النخعي .

عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : والله إنها لعندى تحدث معى وتضحك ظهراً وباطناً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها فى السوق إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة قالت : أنا والله قلت لها : وبلك مالك ؟ قالت : أقتل . قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته . فانطلق بها فضربت عنقها . فكانت عائشة تقول : والله لا أنسى هجباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد علمت أنها تقتل .

قال ابن هشام : هى التى طرحت الرّحاً على خلاد بن سُوَيْد فقتلته .

[قصة الزبير بن باطا]

وكان الزبير بن باطا القرظى قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية ، أخذه يوم بُعث فجرّ ناصيته ثم خلى سبيله . فجاءه ثابت لما قُتل بنو قريظة وهو شيخ كبير فقال : يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى ؟ قال : وهى مجهول مثلى مثلك قال : فإنى أردتُ أن أجزيك بيدك عندى . قال : إن الكريم يجزى الكريم . ثم أتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه كان للزبير على منّة وقد أحببت أن أجزيه بها فتهب لى دمه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لك . فأناه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دَمَكَ فهو لك قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة ؟ فأنى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله امرأته وولده . قال : هم لك . فأناه فقال : قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك فهم لك . قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأنى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ماله . قال : هو لك . فأناه ثابت فقال : قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالاك

فهو لك ، فقال : أئني ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يترأى فيها
عذارى الحى ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل . قال فما فعل سيد الحاضر والبادى
حبي بن أخطب ؟ قال : قُتل قال . فما فعل مُقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا
عزال بن شموال^(١) . قال قُتل . قال : فما فعل الجلسان ، يعنى بنى كعب بن
قريظة وبني عمرو بن قريظة ؟ قال : ذهبوا فقتلوا . قال : فإني أسألك يا ثابت
بيدى عندك إلا ألحقننى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا
بصابر لله قبيلة^(٢) داور ناضح حتى ألقى الأحبة . فقدّمه ثابت فضرب عنقه .
فلما بلغ أبا بكر الصديق رضى الله عنه قوله : « ألقى الأحبة » قال : يلقام
والله فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً !

* * *

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبت منهم .
قال عطية القرظى : وكنت علامة فوجدوني لم أنبت فخلعوا سبيلي^(٣) .
وكان رفاة بن شموال القرظى رجلاً قد بلغ فلأذ بسلمى بنت قيس أم
المذذر ، أخت سابط بن قيس ، وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد صلّت القبليتين معه وبايعته بيعة للنساء فقالت : يا نبي الله بأبى أنت وأمى

(١) ابن هشام : عزال بن شموال . بالسين .

(٢) كذا بالأصل ، وهو الصواب موافقاً لما ذكره ابن كثير فى سيرته ٢٤١ / ٣ حيث
قال : قال ابن إسحاق : « قبيلة بالغاء والياء المثناة من أسفل . وقال ابن هشام بالغاب والباء
الموحدة » خلافاً لما أنبته عتقو السيرة والسهيل فى الروض الأتف : فتلة بالثاء . بتأويل بعيد .
والناضح البعير الذى يستقى عليه الماء . وقال أبو عبيدة : معناه : إفراغة دلو .

(٣) قال ابن كثير فى السيرة ٢٤١ / ٣ : ورواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك

ابن عمير ، عن عطية القرظى ، نحوه .

هَبْ لِي رِفَاعَةً ، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ سَيَصِلُ وَيَأْكُلُ لَحْمَ الْجَلِ . فَوَهَبَهُ لَهَا فَاسْتَحْيَتْهُ .

[قِسْمَةُ الْفَنَائِمِ]

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمَ أَمْوَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَعْلَمَ فِي ذَلِكَ لِلْيَوْمِ سَهْمَانِ الْخَيْلِ وَسَهْمَانِ الرِّجَالِ وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْخُمْسَ ، فَسَكَانَ لِلْفَارِسِ ثَلَاثَةُ أَصْهُمٍ ، لِلْفَرَسِ سَهْمَانٌ وَلِلْفَارِسَةِ سَهْمٌ ، وَلِلرَّجُلِ وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَرَسٌ سَهْمٌ . فَسَكَانَتِ الْخَيْلُ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ فَرَسًا ، وَكَانَ أَوَّلُ نَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ لِلْسَّهْمَانِ وَأَخْرَجَ مِنْهُ ^(١) الْخُمْسَ ، فَعَلَى سُدَّتِهَا وَمَا مَضَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا وَقَعَتِ الْمَقَاسِمُ وَمَضَتِ الشُّدَّةُ فِي الْمَغَازِي .

ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ الْأَشْهَلِيَّ بِسَبَايَا مِنْ سَبَايَا بَنِي قُرَيْظَةَ إِلَى نَجْدٍ فَايْتَمَعَ لَهُ بِهِمْ خَيْلًا وَسِلَاحًا .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اصْطَفَى لِنَفْسِهِ مِنْ نِسَائِهِمْ رِيحَانَةَ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ خُثَيْفَةَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ ، فَسَكَانَتِ عِنْدَهُ حَتَّى تَوَفَّى عَنْهَا وَهِيَ فِي مِلْكِهِ ، وَكَانَ عَرَضَ عَلَيْهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا وَيَضْرِبَ عَلَيْهَا الْحِجَابَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ تَتْرَكُنِي فِي مِلْكِكَ فَهُوَ أَخْفَى عَلَيَّ وَعَلَيْكَ فَتَرَكَهَا . وَكَانَتْ حِينَ سَبَايَا قَدْ تَعَصَّتْ بِالْإِسْلَامِ وَأَبَتْ إِلَّا لِلْيَهُودِيَّةِ ، فَزَلَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ لِقَائِهَا مِنْ أَمْرِهَا ، فَبَيَّنَّا هُوَ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ سَمِعَ وَقَعَ نَدَائِينَ خَلْفَهُ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا لِنَعْلَامِيَّةِ بْنِ سَعْدِيَّةٍ يَبْشُرُنِي بِإِسْلَامِ رِيحَانَةَ . فَبَجَّاهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَسْلَمَتْ رِيحَانَةُ . فَسَرَّهُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهَا .

(١) ابْنُ مَشْأَمٍ : وَأَخْرَجَ مِنْهَا .

[ما نزل في غزوة الخندق]

وانزل الله عز وجل في أمر الخندق وبني قريظة القصة في سورة الأحزاب يذكر فيها ما نزل بهم من البلاء ، وبذكر نعمته عليهم وكفايته إياهم حين فرج عنهم ذلك .

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جدود فأرسلنا عليهم ريحاً وجدوداً لم تزوها وكان الله بما تعلمون بصيراً ، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » في آيات استوفى فيها تعالى ذكر ما شاء من قصتهم .

ثم قال سبحانه : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيتهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديراً » .

[وفاة سعد بن معاذ]

فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات شهيداً رحمه الله .

فذكروا أن جبريل أتى رسول الله صلى عليه وسلم حين قبض سعد من جوف الليل معتبراً بهامة من استبرق فقال : يا محمد من هذا الميت الذي فتحت

له أبواب السماء واهتز له العرش^(١) !؟ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا
يجري ثوبه إلى سعد بن معاذ فوجده قد مات .

وقد كان سعد رجلا بادنا فلما حملته الناس وجدوا له خفة فقال رجل من
المناقضين : والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنازة أحف منه . فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن له حملة غيركم ، والذي نفس محمد بيده لقد
استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش » .

وقالت عائشة رضي الله عنها لأبي سعيد بن خضير ، وهو قاتل معها من مكة وبلغه
موت امرأة له فعزن عليها بعض الحزن : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتمزن على
امرأة وقد أصبت بآبن عمك وقد اهتز له العرش ؟ تعنى سعدا .

وقال جابر بن عبد الله : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبّح الناس معه وأكبر فكبر الناس معه
فقالوا : يا رسول الله مم سبّحت ؟ قال : لقد تضابق على هذا الرجل الصالح قبره
حتى فرجه الله عنه . ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لقبر
لضمة لو كان أحد منه ناجيا لكان سعد بن معاذ .

ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرشُ الله من موتٍ هالكٍ سمعنا به إلا اسمَ أبي عمرو
وقالت أم سعد حين احتمل نعشه وهي تبكيه :

(١) انظر الروايات التي ذكرها ابن كثير في سيرته ٣ / ٢٤٥ - ٢٤٨ لهذا الحديث ،
عن البيهقي في الدلائل وأحمد في مسنده ، والبخاري ومسلم في صحيحهما .
وفي بعضها : اهتز السرير بدلا من العرش .
وانظر ما قاله السهيلي في آراء العلماء في هذا الحديث . في الروس الأنف .

وبلى أم سعد ، سعداً صراماً وحداً
وسودداً ونجداً وفارساً مقداً
سداً به مسداً

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد
ابن معاذ » .

* * *

وقال حسان بن ثابت يبيكي سعداً :
أقدسجت^(١) من فيص عيني عبدةً وحق لميني أن تفيص على سعد
قتيل ثوى في معرك فجمت به عيون ذواري^(٢) الدمع دأمة الوجدي
على ملة الرحمن وارث جنة مع الشهداء وفدها أكرم الوفدي
فإن تك قد ودعنا وتركنا وأمسيت في غبراء مظلمة الأحد
فأنت الذي يا سعد أثبت بمشهد كريم وأتواب المسكارم والحد
بحمك في حي قريظة بالذي قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فهم ولم تعف إذ ذكرت ما كان من عهد
فإن كان ربك الدهر أمضاك في الألى

شروا هذه الدنيا بجفاتها الخلد
فغم مصير المصادقين إذا دعوا إلى الله يوماً للوجاهة والقصد
وقال حسان يبيكي سعداً ورجالاً من الشهداء من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

ألا يا لقوى هل لما حتم دافع وهل ما مضى من صالح للعيش راجع

(١) سبجت : غاضت .

(٢) ذواري الدمع : غزيرته .

تذكرتُ عصرًا قد مضى فتهافتتُ بقات الحشا وانهلّ متى للدماعُ
صبايةٌ وجَدَ ذكرَتي إخوةً وقتلَى مضى فيها طفيلٌ ورافعُ
وسعدُ فأضحوا في الجنانِ وأوحشتُ

منازلهم فالأرض منهم بالآقع^(١)
وفوا يومَ بدرٍ للرسولِ وفوقهم ظلالُ المنايا والسيوفِ اللوامعُ
دعا فأجابوه بحقٍّ وكلامهم مطيعٌ له في كلِّ أمرٍ وسامعُ
فانكَلوا حتى تولّوا^(٢) جماعة ولا يقطع الآجالُ إلا المصارعُ
لأنهم يزجون منه شفاعَةً إذا لم يكن إلا للبيون شافعُ
فذلك يا خيرَ العبادِ ملاذنا إجابةً لنا لله والموتِ ناكسُ
لنا التقدّمُ الأولى إليك وخلفنا لأننا في ملة الله تابعُ
ونعلم أن الملكَ لله وحده وأن قضاء الله لا بد واقِعُ

[شهداء المسلمين في الخندق]

ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر كلهم من الأنصار :
سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك ، وعبد الله بن سهل الأشجائيون ،
والطفيل بن النعمان ، وثمانية بن غنمة الجشميان . ومن بني ديار بن
البحار كعب بن زيد ، أصابه سهمٌ غرِبَ فقتله . رحمه الله عليهم .

واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين خلاد بن سويد من بني الحارث
ابن الخزرج ، طرحت عليه رchy فشذخته شذحا شديداً ، فرموا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « إن له لأجر شهيدين » .

(١) البلاقع : المفرة .

(٢) عند ابن كثير : رحنى نوالوا .

ومات أبو سنان بن محصن أخو عكاشة بن محصن ، ورسول الله
صلى الله عليه وسلم محاصر بنى قريظة .

* * *

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ان تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكم تغزونهم » . فكان كذلك
لم تغزهم قريش بعد ذلك وهو صلى الله عليه وسلم يغزوم حتى فتح الله عليه مكة .
[ما قيل من الشعر في غزوة الخندق]

وقال حسان بن ثابت في يوم الخندق يحيب عبد الله بن الزبير شاعر
قريش عن كلمة قالها في ذلك :

هل رَسَمَ دارِسةَ المقامِ بِيَابِ	متكلم لِحَاوِرٍ بِجَوَابِ
قَمَرٍ عَفَارِمٍ السَّحَابِ رَسُومِهِ	وهبوب كلِّ مُظْلَةٍ مِرْيَابِ ^(١)
ولقد رأيتُ بها الحلولَ بَرِّينِهِم	بيضُ الوجوه ثواقِبُ الأحسابِ
فَدَعِ الديارَ وذِكْرَ كلِّ خَرِيدَةٍ	بيضاء آنسة الحديث كَمَابِ
واشكُ المومِ إلى الإلهِ وما ترى	من مَعَشَرٍ ظَلَمُوا الرِّسُولَ غَضَابِ
ساروا بِجَمْعِهِمْ إِلَيْهِ وَالْبُؤَا	أهلَ القري وبوادي الأعرابِ
جيشٌ عُيَيْنَةُ وابنِ حَرْبٍ فِيهِمْ	مَتَخَطِّبِينَ بِحِلْيَةِ الأَحْزَابِ ^(٢)
حتى إذا وردوا المدينةَ وارتجوا	قتلَ الرِّسُولِ وَمَنَّمِ الأَسْلَابِ
وغدوا عَلَيَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِم	رُدُّوا بِنِظَامِهِم عَلَى الأَعْقَابِ

(١) الرَّم : جمع رَمَّة ، وهو المطر الضعيف الدائم . والمظلة : السحابة . وفي
ابن هشام : مظلة . بالطاء . والرباب : الدائمة .
(٢) كذا بالأصل . وفي ابن هشام وابن كثير : متخبطون بحلية الأحزاب .
والمختطم : من وضع الخطم في أنفه . ولعل رواية السكلاعي هنا أسح وأضح .

بهبوب مصففة تفرق جثمهم وجلود ربك سيد الأرباب
وكفى^(١) الإله المؤمنين قتالهم وأنابهم في الأجر خير ثواب
من بعد ما قنطوا ففرق جثمهم تنزىل نصر ما يكفنا الوهاب
وأقر عين محمد وصحابه وأدل كل مكذب مرتاب
عاني الفؤاد موقع ذى ربية في الكفر ليس بظاهر الأنواب
علق الشقاء بقلبه ففؤاده في الكفر آخر هذه الأحقاب

* * *

وقال كعب بن مالك في ذلك أيضاً يحيب ابن الزمهرى عن كلمته :
أبقى لنا حدث الحروب بقية من حير نيحلة ربنا الوهاب
بيضاء مشرقة الدرى ومما طناً حم الجذوع غزيرة الأحلاب^(٢)
كلأوب يبدل جهمها وحفيلها للبحار وابن الم والمقصاب^(٣)
وزنائماً مثل السراج على سها حلف الشعير وجزرة المقصاب^(٤)

(١) ابن هشام : فكى .

(٢) المعاطن : قال السهلى : يسمى منابت النخل عند الماء شبهها بمعاطن الإبل وهى مباركها عند الماء . وقوله : حم الجذوع وصفها بالحمية وهى السواد لأنها تضرب إلى السواد من الخضرة والنعمة . وشبه ما يجتنى منها بالحلب فقال : غزيرة الأحلاب . الروس ٢٠٤ / ٢ .
(٣) اللوب : جم لوبة وهى الحرة ، وهى أرض ذات حجارة سود . واللوب أيضاً : النخل ، ويجوز أن يكون شبهها بالنخل فى كثرتها ، وجها وحفيلها : أراد الكثير منها . والنتاب : الزائر للمم .

(٤) الزنائم : الخيل التى تجلب إلى غير بلادها ، يريد أنهم استلبوها من الأعداء .
والمقصاب : مزرعة . كما قال السهلى : وجزتها : ما يجز منها للغيل .
والسراج : كذا بالأصل بالميم . وى ابن هشام : مثل السراج بالماء . أى الذئاب كما قال سراج الكتاب .

عَرَى الشَّوَى مِنْهَا وَأَرْدَفَ نَحْضَهَا (١) جُرْدُ المَتُونِ وَسَارَ فِي الْآرَابِ (٢)
قُوْدًا تُرَاحَ إِلَى الصَّيَّاحِ إِذَا غَدَتْ فَمَلَ الصَّعْرَاءُ تُرَاحَ فِي السَّكَلَابِ (٣)
وَتَحْوَطُ سَائِمَةُ الدَّمَارِ وَتَارَةً تُرْدِي الْعِدَى وَتَوْوِبَ بِالْأَسْلَابِ (٤)
يَعْدُونَ بِالزَّغَفِ الْمُضَاعَفِ شَكَّهُ وَبُتْرَصَاتٍ فِي الثَّقَافِ صِيَابِ (٥)
وَصَوَارِمَ نَزَعِ الصِّبَاقِلُ عَلَيْهَا وَبِكَلٍّ أَرْزَقَ مَا جَدَ الْإِنْسَابِ (٦)
يَصِلُ الْيَمِينَ بِمَارِنٍ مُتَقَارِبٍ وَكَلَّتْ وَقِيْعَتُهُ إِلَى خَبَابِ (٧)
وَكِتَابِيَةٍ يَنْفِي الْقِرَانَ قَتِيرُهَا وَتَرَدَّ حَدًّا قَوَاحِزَ لِلشَّابِ (٨)
أَعَيْتَ أَبَا كَرِبٍ وَأَعَيْتَ تَبْعًا وَأَبَتْ بِسَائِمَتِهَا عَلَى الْأَعْرَابِ (٩)
وَمَوَاعِظَ مِنْ رَبَّنَا تُهْدَى بِهَا بِلِسَانِ أَزْهَرِ طَيْبِ الْأَنْوَابِ
عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْتُمَا ذِكْرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
حِكْمًا يَرَاهَا الْمُجْرَمُونَ بِزَعْمِهِمْ حَرَجًا وَيَفْهَمُهَا ذُووُ الْأَسْبَابِ

-
- (١) الشوى : التواءم والنحس : الاحم . الاراب : المفاصل . وحدها لرب .
وى ابن هشام : وسائر الآراب .
(٢) القود : الطوال الأعناق . والصعراء : السكلاب الضارية . والسكلاب : جمع كلاب
وهو صاحب السكلاب الذى يسيد بها .
(٣) كذا بالأصل . وى ابن هشام وتحوط سائمة الدمار . الخ . والساعة : الماشية
المرسلة فى الرعى لبلا كانت أو غيرها . وتردى : تهلك .
(٤) يعدون . كذا بالأصل . وهو من المدو وهو الجرى . وى ابن هشام : يعدون .
الزغف : الدروع الواسعة . والشك : الخاق والنسج . والبترات : المحكة ، يى الرماح
الثقفة . والصياب : المصيبة .
(٥) عليها : خشونتها وتثلها .
(٦) المارن : اللبن . ووقيعته : سقله . وخباب : اسم صيقل .
(٧) القران : اقتران النبل واجتماعه . والقدير : رموس مسامير الدرع . والقواحر :
قعر السهم إذا رماه فوق بين يديه . وى ط . تنفى القران .
(٨) أبو كرب وتبع : من ملوك اليمن قبل الإسلام .

جاءت سَخِينَةُ كى تغالبَ ربُّها وليفلَين^(١) مُغَالِبِ الغَلَابِ
ولما قال كعب بن مالك هذا البيت : « جاءت سَخِينَةُ » إلى آخره . قال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا .

* * *

وقال كعب أيضاً :

لقد عَلِمَ الأحزابُ حين تَأَلَّبُوا عَلَيْنَا وراموا دِينَنَا ما نَوَادِعُ
أَضَامِمْ من قيس بن عِيلان أَصَفَقَتْ وخِنْدَف لم يَذَرُوا بما هو واقع^(٢)
يذودوننا عن دِيننا ونَدُودِمْ عن الكفر والرحن رادوسامع
إذا غَايَظُونَا فى مقام أعاننا على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فيما وفضله علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
هدانا لدين الحق واختاره لنا والله فوق الصانعين صدائع
وقال كعب أيضاً :

ألا أبلغ قريشاً أن سلما وما بين المرِيض إلى الصماد^(٣)
نواضح فى الحروب مُدَرَّبات وخوص بَقِيَّتْ من عهد عاد^(٤)
رواكد بزجر المران فيها فليست بالجمام ولا التماد^(٥)

(١) ابن هشام : فليفلين . ومراده بسَخِينَةُ : أريش ، وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أسلحتهم للعلماء السفن التى لا يتيمأ لغريم غالباً من أهل الوادى .

(٢) الأضاميم : واحدتها أضامة ، وهو كل شيء مجتم . وأصفت : اجتمعت .

(٣) سلع : جبل بسوق المدينة . والمرِيض : واد بالمدينة . والصماد : جبل .

(٤) نواضح : معنى حدائق نخل تسقى بالأمح والحوس : الآبار . وبقيت : بقيت .
وى ابن هشام : بقيت .

(٥) المران : شجر ، وهو كذلك الراح الصلبة اللدنة ، الواحدة : مرانة . والجمام : الماء الكثير . والتماد : الماء القليل .

والرواية فى ابن هشام : رواكد يزخر للمرار فيها .

بلاد لم تُثر إلا السكينا نجاهد إن نشطتم للجلاد^(١)
 أثرتنا سكة الأنباط فيها فلم نر مثلها جلهات وادي^(٢)
 قصرنا كل ذي حُضر وطول على الفايات مقتدر جواد^(٣)
 أجيبونا إلى ما نجتديكم من القول المبين والسداد^(٤)
 وإلا فاصبروا للجلاد يوم لكم منا إلى شطر المذا^(٥)
 نصبحكم بكل أخى حروب وكل مُطهم سليس القيساد^(٦)
 وكل طيرة خفق حشاها تدف ذفيف صفراء الجراد^(٧)
 وكل مقلص الآراب نهتد تميم الخلق من آخر وهادي^(٨)
 خيول لا تضاع إذا أضيعت خيول الناس في السنة الجاد
 يمازغن الأعنة مُصنعات إذا نادى إلى الفرع المادي
 إذا قالت لنا اللندر استمدوا توكلنا على رب العباد
 وقلنا لن يُفترج ما لقينا سوى ضرب القوانس والجهاد^(٩)
 ولم نر عصبة فيمن لقينا من الأقوام من قار وباد^(١٠)

(١) ثر : تحرث : والجلاد : القتال .

(٢) السكة : الصف من النخل ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « خير المال سكة مأبورة » . وقيل : هي الحديدية التي نشق بها الأرض . والجلهات : جم جلهة ، وهي ما كشفه السيل .

(٣) الحضر : ارتفاع الفرس و عدوه . وفي الأصل : حصر : وما أتبته من ابن هشام

(٤) نجتديكم : نسألكم إياه . وفي ط : نجتديكم .

(٥) شطر المذا : الشطر : الجهة والناحية . والمذا : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق

(٦) المطهم من الخيل : الفرس التام الخافي .

(٧) الطيرة : الفرس الجواد . وخفق حشاها : أي ضامرة .

(٨) المقلص : المرتفع . والآراب : الأعضاء . والتهد : التغليظ . والآخر : المعيز .

والهادي : العنق .

(٩) القوانس : جم قونس وهو أطل بيضة الحديد .

(١٠) القار : القيم . والبادي : الخنقل .

أشدَّ بسالة منا إذا ما أردناه وألین فی الودادِ
 إذا ما نحن أشرجنا عليها جیادَ الجدلِ فی الأرب الشدادِ^(١)
 قذفنا فی السوابغ كل صقر كريم غير معقث الزنادِ^(٢)
 ليظهر^(٣) دينك اللهم إنا بكفك فاهدنا سبيل الرشادِ

* * *

وقال حسان بن ثابت يذكر بني قريظة :
 تفاد^(١) معشر نصرنا قريشاً وليس لهم بيلدتهم نصيرُ
 هم أوتوا السكتاب فضيئوه وهم عني من النوراة بُودُ
 كفرتم بالقرآن وقد أنتم بتصديق الذي قال الهديرُ
 فهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة^(٥) مستطيرُ
 ولما سمع ذلك أبو سفيان بن الحارث قال :
 أدام الله ذلك من صميم وحرق في طوائفها السيرُ
 في أبيات ذكرها ابن إسحق لم يأل قائلها أن صدق حسان .
 وقال في ذلك أيضاً جبل بن جؤال النعلبي ، وبكى النصير وقريظة ونمي

(١) أشرجنا : ربطنا . والجدل : الدروع المحسكة . والأرب : جم أربة وهي العقدة المحسكة .

(٢) الملتث : هو الذي لا يدري من أي خشب هو .

(٣) ابن هشام : لنظهر دينك .

(٤) تفاد : فقد بهمهم بعضاً .

(٥) البويرة : موضع بني قريظة .

على سعد بن معاذ إسلامه مواليه منهم خلاف ما فعله عبد الله بن أبي في.
بنى قيقاع :

ألا يا سعد سعد بن معاذ أَمَا لَقِيتَ قَرِيطَةَ وَالنَّضِيرُ
أَعْمَرَكَ إِنْ سَعِدَ بَنِي مَعَاذٍ غَدَاةَ تَحْمِلُوا لِمَوِ الصَّبُورُ
فَأَمَّا الْخَزْرَجِيُّ أَبُو حُبَابٍ فَقَالَ لَقِيتُ قَيْقَاعَ لَا تَسِيرُوا

ويقول في آخرها :

تَرَكْتُمْ قِذْرَكُمْ لَا شَيْءَ فِيهَا وَقِدْرُ الْقَوْمِ حَامِيَةٌ تَفُورُ
فَقَالَ سَعْدُ حِينَ بَلَغَهُ هَذَا الشَّعْرُ : مَنْ لَقِيَهُمْ فَلْيَحْدِثْهُمْ أَنَّهُمْ خَانُوا اللَّهَ
ورسوله فأخزاهم الله .

مقتل سلام بن أبي الحقيق

وكان سلام بن أبي الحقيق أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحيين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفاء إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام . فلا ينتهون حتى يوقعوا مثاهاً وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك .

وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتمريضه عليه ، فقالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً . فتذاكروا بمسد أن انقضى شأن الخندق وبني قريظة : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخير ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله [فأذن لهم ^(١)] . فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسمود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الخارث بن ربيعي ، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم .

فخرجوا ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ونهام أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

(١) من ابن هشام .

نخرجوا حتى إذا قدموا خير أنوا دار ابن أبي الحقيق ليلا ، فلم يدعوا بيتا في الدار إلا أغلقوه على أهله ، وكان في عُلْيَةٍ له إليها عِجْلَةٌ^(١) فأسعدوا فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا ، فخرجت عليهم امرأة فقالت من أنتم ؟ فقالوا : أناس من العرب نلتهمس الليلة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا إليه . قال : فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليها الحجره تمخوفا أن يكون دونه مُجَادِلَةٌ تحول بيننا وبينه . قال : وصاحت امرأته فذوّهت بنا ، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيا فدا ، والله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قُبْطِيَّةٌ^(٢) ماقاة . ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل مما يرفع عليها سيفه ثم يذكركم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكيف يده ، واولا ذلك لفرغنا منها بليل ، فلما ضربناه نحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قَطَنِي قَطَنِي ، أَيْ حَسَنِي حَسَنِي .

قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيء البصر ، فوق من الدرجة فوثقت يده وثبًا^(٣) شديدا . قال ابن هشام : ويقال رجله . وحملناه حتى نأى منظرنا من عيونهم فندخل فيه . قال : وأوقدوا الديران واشتدوا في كل وجه يطلبون^(٤) ، حتى إذا بدسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتفوه وهو يقضي بينهم . فقلنا كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد مات ؟ فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في

(١) العلية : الفرنج . والمجلة : الدرج من النخل .

(٢) القبطية : نياح بينى كانت تصنع بمصر .

(٣) وثبت : فسكت ، أو أبها وحم بلا كسر .

(٤) ابن هشام : يطلبوننا .

الناس قال : فوجدتها^(١) ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحديثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت^(٢) وقلت أني ابن عتيك بهذه البلاد. ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت : فاذ وإله يهود . فما سمعت من كلمة كانت الذ إلى نفسى منها .

ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله واختلافنا عنده في قتله ، كلنا ندعيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم . فخنفاه بها فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله أرى فيه أثرًا اطعمام^(٣) .

وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام ابن أبي الحقيق :

له دَرَّ عصابة لاقيمتهم	يا ابن الحقيق وانت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم	مرحاً كأشد في عرين مُدْرِف ^(٤)
حتى أنوكم في محل بلادكم	فسقوكم حَقَمًا ببيض ذُفِّف
مُسْتَهْرَجِينَ ^(٥) النصر دين نبيهم	مستصغرين لسكر أمرٍ مُجْجَف

(١) وجدتها : يعني امرأته .

(٢) ابن هشام : ثم أكذبت نفسى .

(٣) انظر رواية البخارى في مقتل ابن أبي الحقيق و صحيحه ٢ / ٢١٤ ط الأميرية (سنة ١٢٨٠ هـ) .

(٤) مدرف : ذو شجر كثير ملتف .

(٥) و رواية لسيرة ابن هشام : مستهجرين .

ذكر إسلام عمرو بن العاص وخاله بن الوليد

رضى الله عنهما

حدث عمرو بن العاص رحمه الله قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جئت رجالا من قريش كانوا يرون رأيت ويسمعون مني فقلت لهم : تعلموا والله إنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإنى قد رأيت أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال رأيت أن تلحق بالنجاشي ف تكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : إن هذا للرأى . قلت : فاجمعوا ما نهدي له ، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم^(١) فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لم نعلمه إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن جعفر وأصحابه قال فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي سألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فملت ذلك رأيت قريش أنى قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال لى : مرحباً بصديقى ، أهديت لى من بلدك شيئاً ؟ قلت نعم أيتها الملك ، قد أهديت لك أدماً كثيراً . ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ثم

(١) الأدم : الجلد . أو أجره أو المصوغ منه .

قلت له : أيها الملك : إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطيته لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب ثم مد يده وضرب بها أنفه ضربةً ظلمت أنه قد كسره ، فلو انشقت الأرض لدخلت فيها فرقامه ثم قلت له : أيها الملك والله لو ظلمت أنك تسكره هذا ما سألتك ، قال : أنساني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الداموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لئلا يقتله ؟ قلت : أؤكدك هو أيها الملك ؟ قال : ويحك عمرو أطمئن واتبعه فإنه والله امل الحق وآيظهن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعته على الإسلام .

ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأي عما كدت عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي ، ثم خرجت حامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح ، وهو مُقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنسيم^(١) وإن الرجل لآبى ، أذهب والله فأسلم ، حتى متى ؟ قلت : والله ما جئت إلا لأسلم .

فقدِمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت : يا رسول الله إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر . فقال رسول الله صلى الله عليه

(١) هامش ط : خ : المنسم . واليسم : السكواة ، وهو أثر الحسن أيضا .
ومعنى استقام المنسم : تبين الطريق ووضع .

وسلم : « يا عمرو بايع فإن الإسلام يُحِبُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تنج ما كان قبلها » قال فبايعته وانصرفت .

وذكر ابن إسحق عن لا يُتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار كان معهم ما أسلم حين أسلم .

وذكر غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رآه : رمّكم مكة بأفلاذ كبدها .

وحدث الواقدي بإسناد له قال : قال عثمان بن طلحة : لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فدعاني إلى الإسلام فقلت : يا محمد المجد لك حين تطعم أن أتهمك وقد خالفت قومك وجئت بدين تُحدثُ ففرقت جماعتهم وألفتهم وأذهبت بهائم . فأنصرف ، وكنا نفتح السكبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس ، فأقبل يوماً يريد أن يدخل السكبة مع الناس فغلطت عليه ونلت منه وحلم عني ثم قال : يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضمه حيث شئت . فقلت : لقد هلك قريش يومئذ وذلت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل عمرت وعزت يومئذ . فوقت كلمته منى موقفاً ظلمت أن الأمر سيصير إلى ما قال . فأردت الإسلام فإذا قومي بزبروني^(١) زبراً شديداً وبزرون برأى ، فأمسكت عن ذكره . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة جعلت قريش تُشفق من رجوعه عليها ، فهم على ما هم عليه

(١) بزبروني : ينهوني وينهوني .

حتى جاء البشير إلى بَدْر ، فخرجت فيمن خرج من قومنا وشهدت المشاهد كلها معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام للقضية غير الله قاهي عما كان عليه ودخلني الإسلام وجعلت أفكر فيما نحن عليه وما نعيد من حجر لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ، وأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وظلف^(١) أنفسهم عن الدنيا فيقع ذلك مني فأقول : ما عمل القوم إلا على الثواب لما يكون بعد الموت . وجعلت أحب النظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أن رأيت خارجاً من باب بني شَيْبَةَ يريد منزله بالأبطح فأردت أن آتيه وأخذ بيده وأسلم عليه فلم يُعْزِم لي على ذلك ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، ثم عزم لي على الخروج إليه ، فأذلت إلى بطن يَأَجِج^(٢) فألقى خالد بن الوليد ، فاصطحبنا حتى نزلنا الهدية^(٣) فسا شمرنا إلا بعمرو بن العاص فانقمنا عنه واقمع منا ، ثم قال : أين يريد الرجلان ؟ فأخبرناه فقال : وأنا أريد الذي تريدان .

فاصطحبنا جميعاً حتى قدّمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام وأتت حتى خرجت معه في غزوة الفتح ودخل مكة فقال لي : يا عثمان ابث بالفتح ، فأنيته به فأخذه مني ثم دفعه إلى وقال :

(١) الظلف: الزهد والامتناع .

(٢) يَأَجِج : موضع بمكة .

(٣) الهدية : موضع بين عسفان ومكة .

خذوها نالدةً خالدةً ولا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم
على بيته فاسكّلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف .

قال عثمان : فلما وليت ناداني فرجعت إليه فقال : ألم يكن الذي قلت
لك ؟ فذكرت قوله لي قبل الهجرة بمكة : « لعلك ستري هذا المفتاح
يوماً بيدي أخيه حيث شئتُ » فقلت : بلى ، أشهد أنك رسولُ الله !
قال الواقدي : فهذا أثبت الوجوه في إسلام عثمان .

غزوة بني النضير

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني النضير يطلبهم بأصحاب الرجيع خبيث وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة .

فلما انتهى إلى منازلهم بئران وهو واد بين أمج وعسفان وجدهم قد حذروا ونمقوا في رموس الجبال . فلما أخطأ من غرتهم ما أراد قال : لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة . فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى باننا كراع القعيم^(١) ثم كرا وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا .

فسكان جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعا : « آيئون تائبون إن شاء الله ، لربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعناء السفر وكآبة القلب وسوء المنظر في الأهل والمال » .

غارة عيينة بن حصن على سرح المدينة

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في أثره ، وهي غزوة ذي قرد ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة بني النضير لم يبق بالمدينة إلا ليل قلائل ، حتى أغار عيينة بن حصن في خيل من غطمان على إقحاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسابة ، وفيها رجل من بني غفار وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في الإقحاح .

(١) كراع القعيم : موضع على ثلاثة أميال من عسفان .

وكان أول أول من نذر بهم سلة [بن عمرو^(١)] بن الأ كوع الأسلي ،
غدا يريد الغابة متوشحاً سيفه^(٢) ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه
معه فرس يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف
ناحية سلع ثم صرخ : واصباحاه . ثم خرج يشد في آثار القوم وكان مثل
السميع ، حتى لحق القوم فجعل يردم بالنبل ويقول إذا رمى :

خذها وأنا ابن الأ كوع اليوم يوم الرضع^(٣)
فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم طارهم فإذا أمكنه الرمي رمى
ثم قال :

خذها وأنا ابن الأ كوع اليوم يوم الرضع
فيقول قائلهم : أأ كعيماً^(٤) هو أول النهار .

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح ابن الأ كوع فصرخ بالمدينة
للفرع الفرع . فترامت الخيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان
أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو ، وهو الذي يقال له المقداد
ابن الأسود . ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد المقداد من الأنصار عباد بن بشر وسعد بن زيد الأشهليان وأسيّد بن
ظهير الحارثي ، يشك فيه ، وعكاشة بن مخصن ، ونجرز بن نضلة الأسديان
وأبو قتادة السلمي وأبو عياش الزرقى .

(١) من ابن هشام وابن كثير .

(٢) ابن هشام وابن كثير : متوشحاً قوسه .

(٣) الرضع : حم راضع وهو اللثيم . أي يوم هلاك اللثام .

(٤) كذا في الأصل . وفي ابن كثير : أو يكمن . بهز استفهام وواو . ومعناها :
يخوفنا أو يصرفنا عن غايدنا . أما محقّقو سيرة ابن هشام فقد ضبطوها بالتصغير بضم الهزة
وفتح الواو وسكون الميم . ولا معنى لها . وأمل ما أنيته الكلاعي هنا هو الصواب في
التصغير ، إذ هو نصغير الأ كوع .

فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد وقال : اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس . وقال لأبي عياش : يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالناس . قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله أنا أفرس للناس . ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحتني ، فمجبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أعطيته أفرس منك وأقول : أنا أفرس للناس ! فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرس أبي عياش هذا فيما زعموا ، معاذ بن معص أو عائذ بن معص ، فسكان^(١) ثامنا .

فخرج الفرسان في طلب القوم حتى نلاحقوا ، وكان أول فارس لحق بالقوم مُحَرِّز بن نَضْلَةَ الأخرم ، ويقال له أيضاً قير ، ولما كان الفزعُ جال فرسٌ لمحمود بن مَسْلَمَةَ في الحائط وهو مربوط بمذراع نخل حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرساً صنيماً جاماً^(٢) فقال لبعض نساء بني عبد الأشهل : يا قَمَيْر هل لك في أن ترك هذا الفرس فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم فأعطيته إياه . فخرج عليه فلم يلبث أن بز الخيل بجنامه حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ثم قال قفوا بني الأَكِيمة حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والأنصار ، وحمل عليه رجلٌ منهم ، وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على آريه^(٣) في بني عبد الأشهل .

(١) ابن هشام : وكان ثامنا .

(٢) الفرس الصنيغ : الذي يخدمه أهله ويقومون عليه والجام : المستريح .

(٣) وقف على آريه : أي رجع إلى مربطه الذي كان فيه من المدينة .

فَقِيلَ لَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ غَيْرُهُ وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ قُتِلَ مَعَهُ وَقَاصٍ بْنُ حُحْرَزٍ^(١) الْمَدَائِلِيُّ .

وَلَمَّا تَلَا حَقَّتِ الْخَبِيرُ قَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ حَبِيبَ بْنِ عَمِيْنَةَ بْنِ رَحْصَنٍ وَغَشَاءَ بَرْدَهُ ثُمَّ لَحِقَ بِالنَّاسِ ، وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُسْلِمِينَ فَإِذَا حَبِيبٌ مُسَجِّىٌّ بِبَرْدِ أَبِي قَتَادَةَ ، فَاسْتَرْجَعَ النَّاسُ وَقَالُوا : قُتِلَ أَبُو قَتَادَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَيْسَ بِأَبِي قَتَادَةَ ، وَلَكِنَّهُ قَتِيلٌ لِأَبِي قَتَادَةَ وَضَعُ عَلَيْهِ بَرْدَهُ لِيَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ .

وَأَدْرَكَ عُسْكَاشَةَ بْنَ مَخْصَنٍ أَوْ بَارَأَ وَابْنَهُ عَمْرُو بْنُ أُوْبَارٍ وَهَمَّا عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ فَانْتَظَمَهَا بِالرَّمْحِ فَقَتَلَهُمَا جَمِيعًا ، وَاسْتَفْزَذُوا بَعْضَ الْأَقْبَاحِ .

وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ بِالْجَبَلِ مِنْ ذِي قَرْدٍ وَتَلَا حَقَّ بِهِ النَّاسُ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَايِلَّةَ ، وَقَالَ لَهُ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ الْأَكْوَعِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ سَرَّخْتَنِي فِي مِائَةِ رَجُلٍ لَأَسْتَفْزَذْتَ بَقِيَّةَ السَّرَّحِ وَأَخَذْتُ بِأَعْنَاقِ الْقَوْمِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُمْ الْآنَ لَيُغْبَقُونَ^(٢) فِي غَطَافَانِ .

فَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فِي أَصْحَابِهِ فِي كُلِّ مِائَةِ رَجُلٍ جِزْوَراً . وَأَقَامُوا عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَافِلاً إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَأَفْلَتَتْ امْرَأَةُ الْغِفَارِيِّ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ إِبِلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَدِمَتْ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبِيرَ ، فَلَمَّا فَرَّغَتْ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ نَذَرْتُ لَكَ أَنْ أَنْحَرَهَا إِنْ نَجَّيْتَنِي اللَّهُ عَلَيْهَا ، فَتَنَبَّسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : بئس

(١) حُرْز : كَذَا بِالْأَسْلِ . وَفِي سِيرَةِ ابْنِ كَثِيرٍ : ٣ / ٢٨٨ : بَجَزْ ، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي الْأَسْتِغَابِ لِابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالْمُشْتَبِهَ لِلذَّهَبِيِّ .

(٢) يُغْبَقُونَ : يُشْرَبُونَ الْغُبُوقَ ، وَهُوَ مَا يُشْرَبُ بِالْمَشْيِ .

ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجّاك بها ثم تحرّيتها ، إنه لا نذر في مصيبة الله ولا فيما لا يملكين ، إنما هي ناقة من إبلى أرجى إلى أهلك على بركة الله .

فهذا حديث ابن إسحق عن غزوة ذي قرد .
 وخرج مُسلم بن الحجاج رحمه الله حديثاً في صحيحه ^(١) بإسناد إلى سلمة ابن الأكوع فذكر حديثاً طويلاً خالف به حديث ابن إسحق في مواضع منه ، فمن ذلك : أن هذه الغزوة كانت بعد انصراف الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية وجعلها ابن إسحق قبل ذلك ، وكذلك فعل ابن عُبَيْة .
 وفيه أن سلمة بن الأكوع استنقذ سَرَحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته ، قال سلمة : فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم فإذا رجعت إلى فارس أنيتُ شجرةً فجلست في أصلها ثم رميته فمقرت به حتى إذا تضابق الجبلُ فدخلوا في تضابقه علوتُ الجبلَ فجعلت أَرْدِّبُهُمْ ^(٢) بالحجارة . فما زلت كذلك أنبهم حتى ما خلق الله من بعد من ظَهَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهرى وخلوا بينى وبينه ، ثم اتبعهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بُردةً وثلاثين رحماً يستخفون ، ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً ^(٣) من الحجارة يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى أنوا متضابقاً من ثنية [فإذا هم قد ^(٤)] أتاهم فلان بن بدر الفزارى ، فجلسوا يتصحنون أى يتغدون وجلست على رأس قرْن . قال الفزارى : ما هذا الذى أرى قالوا أقيمنا من هذا

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد باب غزوة ذي قرد وغيرها ٥ / ٨٩ (ط استامبول)

(٢) أَرْدَبُهُمْ : أرميهم بالحجارة من أعلى الجبال فنسقطهم وتهورم .

(٣) الآرام : حجارة تجسم وتصب في المفازة يهتدى بها ، واحدها إرم ، كعنب وأعنان

(٤) من صحيح مسلم .

الْبَرَح^(١) ، والله ما فارقنا منذ غَاسِ بِرَمِينَا حَتَّى انْتَزَعَ كُل شَيْءٍ فِي أَبْدِينَا . قَالَ فَلَیْقَمَ إِلَیْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ أَرْبَعَةٌ ، قَالَ : فَصَعِدَ إِلَیَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ ، فَلَمَّا امْسَكُونِي مِنَ السَّكَّامِ قُلْتُ : هَلْ تَمَرُّفُونَنِي ؟ قَالُوا : لَا وَمَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ وَالَّذِي كَرَّمُ وَجْهَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أُطْلَبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ وَلَا يَطْلُبُنِي فَيَدْرِكُنِي . قَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا أَظُنُّ ذَلِكَ فَرَجِعُوا .

فَا بَرَحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ^(٢) ، فَإِذَا أَوْلَمَ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِي ، عَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَعَلَى إِثْرِهِ الْمُقَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ السَّكَنْدِيُّ فَأَخَذْتُ بَعْمَانَ الْأَخْرَمِ فَوَلَّوْا مَدْبِرِينَ قُلْتُ : يَا أَخْرَمُ احْذَرِمْ لَا يَقْطَعُوكَ^(٣) حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ قَالَ : يَا سَلَمَةُ إِنْ كُنْتَ تَوَكَّلُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ . قَالَ : تَخَلَّيْتَهُ فَالتَقَى هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ : قَالَ فَعَمَّرَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ وَطَعَمَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ ، وَتَحَوَّلَ عَلَى فَرَسِهِ . وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَطَعَمَهُ فَقَتَلَهُ ، فَوَالَّذِي كَرَّمُ وَجْهَهُ مُحَمَّدٌ لَتَقْبَحَنَّ لَهُمْ أَعْدَاؤُهُ عَلَى رَجُلٍ حَتَّى مَا أَرَى مِنْ وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا غِبَارِهِمْ شَيْئًا ، حَتَّى يَمْدُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شَعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ ذُو قَرْدٍ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عَطَاشٌ ، فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدَاؤُهُمْ وَرَأَوْهُمْ فَحَلَّاهُمْ^(٤) عَنْهُ . فَاذْأَقُوا مِنْهُ قَطْرَةً ، وَيَخْرُجُونَ فَيَسْتَدُونَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَأَعْدُوا

(١) البرح : الشدة . (٢) يتخللون الشجر : يعمرون من خلاله .

(٣) لا يقطعوك : لا يأخذوك وينفردوا بك فيفصلوك عن أصحابك .

(٤) حللهم : منعتهم منه . والرواية في صحيح مسلم : خللهم بقاب الهزرة ياء على غير

قياس وفسره في الصحيح بأن معناه : أجلبتهم منه .

فألقى رجلاً منهم فأمسكه بسهم في نفض كتفه^(١) قلت :
 خذها وأنا ابن الأكواع واليوم يوم الرضع
 قال يا سيدي أمه أأكواعه بكرة؟^(٢) قلت : نعم يا عدو نفسه أكواعه^(٣)
 بكرة .

قال : وأردوا^(٤) فرسين على ثنية فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة^(٥) من لبن وسطيحة فيها
 ماء فتوضأت وشربت ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء
 الذي حلائلهم عنه قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنفذته من المشركين
 وكل رمح وكل بريدة ، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل التي استنفذت من
 القوم ، وإذا هو يشتوي^(٦) رسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها وسداهما ،
 قلت : يا رسول الله خلني فأتخب من القوم مائة رجل فاتبع القوم فلا يبقى
 منهم نخب إلا قتلته . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه
 في ضوه النار قال : يا سلة أترك كدت فاعلاً ؟ قلت : نعم ، والذي أكرمك ،
 قال : إنهم الآن ليقرّون بأرض غطفان . قال : فجاء رجل من غطفان فقال :
 نحر لم فلان جزوراً فلما كشطوا جلدها رأوا غباراً فقالوا : أناكم القوم
 فخرجوا هاربين .

* * *

-
- (١) النفض : الرقيق اللين من عظم الكتف .
 (٢) أكواعه بكرة : أي هذا الأكواع الذي كان يرتجز لنا به صباح هذا النهار قد
 عاد يرتجز لنا به آخره .
 (٣) رواية الصحيح : أكواعك بكرة .
 (٤) أردوا فرسين : أنعبوهما وأجهدوهما .
 (٥) السطيحة : نوع من المزاد . والمذقة : اللبن المزوج بالماء .
 (٦) شوى : شوى .

فلهما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان خير فرساننا اليوم
أبو قتادة ، وخير رجالنا سلمة . ثم أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
سهمين سهم للفارس وسهم الراجل فجمعتهما الى جميعاً .
وذكر الزبير بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ في غزوة
ذى قرد هذه على ماء يقال له بيسان فسأل عنه فقيل اسمه يا رسول الله بيسان
وهو مالح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا بل اسمه نهمان وهو طيب .
فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسم وغير الله تعالى الماء . فاشتراه طلحة
ابن عبيد الله ثم تصدّق به وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنت يا طلحة إلا قياض . فسمي
طلحة القياض .

* * *

وكان مما قيل من الشعر في يوم ذي قرد قول حسان بن ثابت :
أُظُنُّ عُمَيْيَّةً إِذْ زَارَهَا بَأْنَ سَوْفَ يَهْدُمُ مِنْهَا ^(١) قُصُورًا
فَأَكْذَبَتْ مَا كُنتَ صَدَّقْتَهُ وَقُلْتُمْ سَنَنْتُمْ أَمْرًا كَبِيرًا
فَعَفَّتِ الْمَدِينَةُ إِذْ زُرْنَهَا وَأَنْتَ الْأَشَدُّ فِيهَا زُنِيرًا
وَوَلَّوْا سَرَاعًا كَشَدَّ لِلنَّمَامِ وَلَمْ يَكْشِفُوا عَنْ مُلِيطٍ حَصِيرًا ^(٢)
أَمِيرٌ عَلَيْهِ رَسُولُ الْمَلِكِ أَحَبُّ بِذَلِكَ إِلَيْنَا أَمِيرًا
رَسُولٌ نَصَدَّقُ مَا جَاءَهُ وَتَقُولُ ^(٣) كِتَابًا مُضِيئًا مَدِيرًا

(١) ابن هشام : فيها .

(٢) اللط : الناقة ، من قولهم : أُلطت الناقة بذنبها إذا أدخلته بين رجلَيْها .
والحصير : ما يكنف به حول الإبل من عيدان الحظيرة .

(٣) ابن هشام : وتلو .

وقال كعب بن مالك :

أَتَحْسَبُ أَوْلَادُ الْاَقِيظَةِ أَنَّنَا عَلَى الْخَلِيلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْقَوَارِسِ
وَإِنَّا أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً وَلَا نَنْتَفِي عِندَ الرَّمَاحِ الْمَدَاعِسِ^(١)
وَإِنَّا لَنَقْرَى الضَّيْفَ مِنْ قَمَحِ الدُّرَى

وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَبْلَجِ الْمُتَشَاوِسِ^(٢)

زِدْ كُفَاةَ الْمُعْلَمِينَ إِذَا انْتَحَوْا بِضَرْبِ يَسْتَلَى نَحْوَةَ الْمُتَقَاعِسِ^(٣)
بِكُلِّ فَتَى حَامِي الْحَقِيقَةِ مَا جِدَ كَرِيمٍ كَسَرُحَانَ الْغَضَاءِ مُخَالِسِ^(٤)
يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَتِلَادِهِمْ بِيضِ تَقْدُّ الْهَامِ تَحْتَ الْقَوَاسِ^(٥)
فَسَائِلُ بَنِي بَدْرٍ إِذَا مَا أَقْبَتَهُمْ بِمَا فَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارِسِ^(٦)
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْذُقُوا مِنْ لَقِيمَتِهِمْ وَلَا تَكْتُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي الْمَجَالِسِ
وَقُولُوا زَلَّلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ بِهِ وَحَرَّ فِي الصُّدْرِ مَا لَمْ يَمَارِسِ^(٧)

وقال شدَّاد بن عارض الجشمي في يوم ذى قرد لعُيَيْبَةَ بن حصن وكان عييبة يكنى أبا مالك :

فَهَلَّا كَرَّرْتَ أبا مَالِكٍ وَخَيْلِكَ مُدْبِرَةً تُقْتَتَلُ

(١) المداعس : الرماح التي لا تنثنى .

(٢) القمع : جمع قمة . وهي أعلى سنام البعير . والأبلج : المشرق .

والتشاوس : المتكبر . وفي ابن هشام : الأبلج .

(٣) السكاة : الفوارس . والمتقاعس : الذي لا يلين .

(٤) السرحان : الذئب . والغضاء : شجرة وجهها غضى . وتروى : الغضاء . وهو

شجر ضخم .

(٥) القواس : أعالي بيض الحديد .

(٦) التمارس : المجادلة في الحرب .

(٧) الخادر : الأسد الذي يلزم أجمعه . والوحر : الحقد .

ذَكَرْتَ الْإِيَابَ إِلَى عَسْجَدٍ وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعْدَ الْمُقْقَلِ^(١)
 وَضَمَمْتَ نَفْسَكَ ذَا مَيْعَةٍ مَسَحَ الْفَضَاءَ إِذَا يَرْسَلُ^(٢)
 إِذَا قَبَّضَتْهُ إِلَيْكَ الشَّمَالُ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَّ الْمَرْجَلُ
 فَلَمَّا عَرَقْتَ عَهَادَ الْإِلَهِ لَمْ يَنْظُرِ الْآخِرَ الْأَوَّلُ
 عَرَقْتَ فَوَارِسَ قَدْ عَوَّدُوا طِرَادَ السَّكَاةِ إِذَا أُسْهِلُوا^(٣)
 إِذَا طَرَدُوا الْخَيْلَ تَشَقَّى بِهِمْ فَضَاحًا وَإِنْ يُطَرَّدُوا يَنْزَلُوا^(٤)
 فَيَمْتَصُّمُوا فِي سَوَاءِ الْمَقَامِ بِالْبَيْضِ أَخْلَصَهَا لِلْمَيْقَلِ^(٥)

(١) مسجد : موضع . وفي ابن هشام : مسجر . بالراء .
 (٢) ذو مية : يريد فرساً ذا نشاط وقوة . والمسح : السريع الجرى .
 (٣) أسهلوا : نزلوا بالسهل .
 (٤) فضاحا : فاضحة .
 (٥) أخلصها الميقل : جلاها .

غزوة بنى المصطلق

وهي غزوة المُرَيْسِيع

وغزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست ، وكان بلغه أنهم يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جَوَيزِية زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم حتى أقيهم على ماء من مياههم يقال له المُرَيْسِيع فتزاحف الناسُ واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ونقلُ رسوله أبناءهم وساءهم وأموالهم .
وكان شعار المسلمين في ذلك اليوم : يا مَنصُورِ أُمِّتِ أُمَّت .

وأصاب يومئذ رجلٌ من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت رجلاً من المسلمين من بنى كلب بن عوف بن عامر بن أمية بن إيث بن بكر يقال له هشام ابن صُبَّابة وهو يرى أنه من المدد فقتله خطأ .

[من كيد المنافقين]

فَبَيَّهَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ وَرَدَتْ وَارِدَةُ النَّاسِ وَمَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَجِيرٌ لَهُ مِنْ غِفَّارٍ يُقَالُ لَهُ جَهْمُ جَاهِ بْنِ مَسْعُودٍ يَقُودُ فَرَسَهُ فَازْدَحَمَ جَهْمُ جَاهُ وَسَيْنَانُ بْنُ وَبَرٍ الْجُهَنِيُّ حَلِيفُ بَنِي عَوْفٍ مِنَ الْخَزْرَجِ عَلَى الْمَاءِ فَاقْتَتَلَا ، فَصَرَخَ الْجُهَنِيُّ : يَامَعْشَرَ الْأَنْصَارِ . وَصَرَخَ جَهْمُ جَاهُ : يَامَعْشَرَ الْهَاجِرِينَ . فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْزَاءٍ قَالَ : أَقْدَفُ فَمَلَوْهَا ؟ قَدْ نَافَرُونَا وَكَاثَرُونَا فِي بِلَادِنَا ، وَاللَّهِ مَا أَعْدُنَا وَجَلَّالَيْدُ قُرَيْشٍ هَؤُلَاءِ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكُ أَمَّا وَاللَّهِ لَأَنْ

رجعنا إلى المدينة لِيُخْرِجَ الْأَعْزُ مِنْهَا الْأَذْلَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ
وَفِيهِمْ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ غَلَامٌ حَدَّثَ قَطَالُ : هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَقْسَمِكُمْ أَخْلَقْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ
وَقَاتَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بَأَيْدِيكُمْ لِتَحْوِلُوا إِلَى غَيْرِ
دَارِكُمْ .

فَنَشَى زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ،
وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ عُدْوَةٍ ، وَعِنْدَهُ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ مُرْ بِهِ عَبَادُ بْنُ
بِشْرِ فَلْيَقْتُلْهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَكَيْفَ يَا عَمْرُ إِذَا تَحَدَّثَ
النَّاسُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ، لَا وَلَكِنْ أَذُنٌ بِالرَّحِيلِ . وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَحِلُ فِيهَا .

فَارْتَحِلَ النَّاسُ وَقَدْ مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حِينَ بَلَغَهُ أَنْ زَيْدًا بَلَغَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ خَلْفَ اللَّهِ مَا قُلْتُ مَا قَالَ وَلَا تَكَلَّمْتُ بِهِ .
وَكَانَ فِي قَوْمِهِ شَرِيفًا عَظِيمًا ، فَقَالَ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ
عَسَى أَنْ يَكُونَ لِلْغُلَامِ أَوْهَمٌ فِي حَدِيثِهِ وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَهُ الرَّجُلُ . حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي
وَدْفَمَا عَنْهُ .

فَلَمَّا اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَارَ لَقِيَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ خُضَيْيًّا
بِتَحِيَّةِ اللَّبْوَةِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَاللَّهِ لَرُحَّتَ فِي سَاعَةٍ مَنكَرَةٌ مَا كَفْتُ
تَرْوِحَ فِي مِثْلِهَا . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ
صَاحِبُكُمْ ؟ قَالَ وَائِيَّ صَاحِبِ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي . قَالَ : وَمَا قَالُ ؟
قَالَ : زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَخْرَجَ الْأَعْزُ مِنْهَا الْأَذْلَ .

قَالَ : فَأَنْتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخْرِجُهُ إِنْ شِئْتَ ، هُوَ وَاللَّهِ الْقَلِيلُ وَأَنْتَ

العزيز . ثم قال : يا رسول الله صلى الله عليك ارفق به ، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوّجوه فإنه يرى أن قد استلبته منك ١

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح ، وسار^(١) يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً ، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ثم راح بالناس ، فهبت عليهم ريح شديدة آذتهم وتخوفوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوها فإنما هبت لموت عظيم من الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعه بن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان من عظماء يهود وكمفاً للمذاقين مات في ذلك اليوم .

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المذاقين في عبد الله بن أبي ومن كان على مثل أمره . فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ثم قال : هذا الذي أوفى الله بأذنه .

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه ، فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فرني فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخرز ما كان بها من رجل أبرّ بوالده مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نفرق به ونحسن صحبته ما بقي منها .

(١) ابن هشام : وصدر يومهم ذلك .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومهم الذين يمانون به ويأخذونه ويعتقونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقلته لأرعدت له أنف لو أمرتها لليوم بقتله لقتلته ! فقال عمر : قد والله علمت الأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

* * *

وقدم مقيس بن صبيابة من مكة متظاهرا بالإسلام فقال : يا رسول الله جئتكم مسلما ، وجئتكم أطلب دية أخى قتل خطأ فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صبيابة ، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله . ثم خرج إلى مكة مرتدًا وقال في شعره :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَد بَاتَ بِالْقَاعِ مُسْتَفْدَا
تَضَرَّجَ ثَوْبِيهِ دِمَاءَ الْأَخَادِعِ^(١)
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ
تَلَمَّ فَتَحَمِيْنِي وِطَاءَ الْمَضَاجِعِ^(٢)
حَلَّتْ بِهِ وَتَرَى وَأَدْرَكَتْ ثَوْرَتِي
وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْتَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ
نَارَتْ بِهِ فِهْرًا وَحَلَّتْ عَقْلَهُ
سَرَاةَ بَنِي الْبَجَارِ أَرْبَابَ فَارِعِ

(١) الأخادع : جم أخدع ، وهو عرق في الحجبتين ، وهو شعبة من الوريد .

(٢) تحميني وطاء المضاجع : تسهيني وتحميني النوم .

وقال أيضاً :

جلّته صرّةً باتت لها وشّل

من نافع الجوف يعلوه وينصرم^(١)

فقلت والموت بغشاء أسيرته

لا تأمننّ بنى بكر إذا ظلموا^(٢)

وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى المصطلق سبباً كثيراً ، فشا قسمه في المسلمين ، وكان فيمن أصاب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار ، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أولابن عم له ، فكاتبتة على نفسها .

قالت عائشة رضي الله عنها : كانت ، تعنى جويرية ، امرأة حلوة ملاحه^(٣) لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فانت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستمعينه في كتابتها ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرني فسكرتها^(٤) وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت ، فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أولابن عم له ، فكاتبتة على نفسي فجتتك أسمةينك على كتابتي . قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال أقضى كتابتك وأنزوجك . قالت : نعم يا رسول الله . قال :

(١) كذا بالأصل . وفي الطبري وابن هشام : باتت ، والوشل : القطر : أي دم

يسيل ويقطر ، ونافع الجوف : الدم . وينصرم : ينقطع .

(٢) الأسرة : العلامات والدلائل . وفي ابن هشام : تغشاء .

(٣) للملاحة : الشديدة الملاحة ، وهي الجمال .

(٤) الطبرى : كرهاها .

قد فعلتُ . وخرج الخبرُ إلى الناس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرة . فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأرسلوا ما بأيديهم قالت فلقد اعتق بتزوجه^(١) إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فاعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

[خبر الوليد بن عقبة]

وبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي مَظَيْط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه فلما سمع بهم هاجبهم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن القوم هموا بقتله ومدموه ما قبلهم من صدقتهم ، فأكثر المسلمون في ذكر غزوم حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوم ، فبينما هم في ذلك قدم وفدٌهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لسكرمه ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لقتله والله ما جئنا لذلك . فأنزل الله فيه وفيهم : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تُصيبوا قوماً بجهالة فتضبحوا على ما فعلتم نادمين »^(٢) .

هكذا ذهب ابن إسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بنى المصطلق بعد إسلامهم الوليد بن عقبة ولم يمين مدة توجيئه إياه إليهم وقد يؤهم ظاهره أن ذلك كان بمحدثان إسلامهم ، ولا يصح ذلك ، إذ الوليد من مُسَلِّمة

(١) ابن هشام والطبري : بتزويجه . وما هنا أدق .

(٢) سورة الحجرات .

— ٢٢٢ —

الفتح وإنما كان الفتح في سنة ثمان بعد غزوة بني المصطلق وإسلامهم بسنتين ،
فلا يكون هذا التوجيه إلا بعد ذلك ولا بد .

وقد قال أبو عمر بن عبد البر : لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما
علمت أن قوله عز وجل : « إن جاءكم فاسق بنبأ » نزلت في الوليد بن عقبة حين
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق مصدقاً واقعاً سبحانه أعلم .

[حديث الإفك]

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك حتى إذا كان قريباً من المدينة قال أهل الإفك في الصديقة البراءة الملهمة عائشة بنت الصديق رضى الله عنهما ما قالوا .

فحدثت برحمة الله قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرأ أفرع بين نسائه فأيتن خرج سهمها خرج بها معه . فلما كانت غزوة بنى المصطلق أفرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمى عليهن معه فخرج بنى صلى الله عليه وسلم : وقالت كان النساء إذذاك إنما يأكلن العلق^(١) لم يهيجهن اللحم، وكنت إذا رخل^(٢) لى بعيرى جلست فى هودجى ثم باتى للقوم الذين يرحلون لى ويمملوننى فياخذون بأسفل المودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فيطلقون به .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجّه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل ثم أذن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس وخرجت لحاجتى وفى عنقى عقد لى فيه جزع ظفائر^(٣) فلما فرغت أنسل من عنقى ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرخل ذهبت التمسّه فى عنقى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته ، وجاء خلاى القوم الذين يرحلون لى البعير وقد فرغوا من رحلتهم

(١) العلق : جم علقه ومى ما يتبلن به من العيش . ويهيجهن : يضضهن ، هيجه تهيجها : وره .

(٢) رخل : وضع عليه الرجل .

(٣) الجزع : الخرز وظمار : بلد باليمن قرب صنعاء لايه ينسب الجزع .

فأخذوا المَوْدَجَ وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشذّوه على البعير ولم يشكروا أنى فيه . ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب قد انطلق الناس ، قالت : فتلفّفت بجلباني ثم اضطجعت في مكاني وعرفت أنه لو افتقدت لرجع ^(١) إلى .

فوالله إلى اضطجعت إذ مرّ بي صفوان بن المَعَطِل السُّلَمي ، وكان تخلف عن العسكر ابعض حاجته فلم يبت مع الناس ^(٢) ، فرأى سوادى ، فأقبل حتى وقف ، وقد كان يراني قبل أن يضرب على الحجاب ، فلما رأى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون اظمينة ^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم ا وأنا متلففة في ثيابي . قال : ما خلفك رحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرّبت البعير فقال اركبي . واستأخر عني ، فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريماً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك ما قالوا . فارتعج ^(٤) العسكر ، والله ^(٥) ما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قدمنا المدينة فلم ألث أن اشتكيت شكواً شديداً لا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبوي لا يذكرون لي منه لا قليلاً ولا كثيراً ، إلا أني قد أنكرت من رسول الله

(١) الطبري : أن لو قد افتقدوني قد رجعوا إلى .

(٢) زاد الطبري : والعسكر .

(٣) الطبري : أظمينة رسول الله .

(٤) ارتعج : تحرك واضطرب . و الطبري : ارتج .

(٥) ابن هشام : والله .

حلى الله عليه وسلم بعض أطفه لى ، كدت إذا اشتكيت رحنى واطف بى فلم بفعل ذلك فى شكوى^(١) ذلك فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل لى وعندى أمى عرَضنى قال : كيف تيسم ، لا يزيد على ذلك حتى وجدت نفسى^(٢) حين رأيت ما رأيت من جفائه لى . فقلت : يا رسول الله لو أذنت لى فانتقلت إلى أمى فتمرضنى ؟ قال : لا عليك .

فانتقلت إلى أمى ولا علم لى بشىء مما كان ، حتى نقيت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوماً عرباً لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذ الأماجم نعاها ونكرها ، إنما كنا نذهب^(٣) فى فصح المدينة ، وإنما كان النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها خالة أبى بكر الصديق ، فوالله إنها التمشى معى إذ عثرت فى مِرطها فقالت : تعيس مسطح . قلت : بئس لعمرك الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً . قالت : أو ما بلمك الخبير يا بنت أبى بكر ؟ قلت : وما الخبير ؟ فأخبرتني بالذى كان من قول أهل الإفك . قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان .

فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى ورجعت ، فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كهدى . وقلت لأمى : يغفر الله لك ما تحدثت

(١) ابن هشام والطبرى : فى شكواى تلك .

(٢) ابن هشام والطبرى : فى نفسى .

(٣) الطبرى : نخرج .

الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين من ذلك شيئاً؟ قالت: أئى بنية خفصى عليك الشأن، فوالله أقل ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها.

قالت: وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فخطبهم ولا أعلم بذلك، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى في أهلى ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت منهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمتُ منه إلا خيراً وما يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى. قالت: وكان كبير^(١) ذلك عند عبد الله بن أبى في رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح وسمية بنت جحش، وذلك أن أختها زينب كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن من نسائه امرأة تناصينى^(٢) في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فمصمها الله بدبها فلم تقل إلا خيراً، وأما سمية فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادنى^(٣) لأختها، فشقيت بذلك.

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيد بن حضير يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفيهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فرنا بأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم. فقام سعد بن عُبَادَة فقال: كذبتَ لعمر الله لا تضرب أعناقهم، أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا.

(١) الكبير: الإثم الكبير. ومعظم الشيء.

(٢) تناصى: تساوى. من المناصاة وهى المساواة. وهذه الرواية هى الأصح كما قال السهيلي في الروض. وتروى: تناصى.

(٣) الطبرى: تضارنى.

فقال أسيد : كذبت لعمر الله ولكنك مفاقي تجادل عن المفاقيين . قالت :
وتتاور الفاس حتى كاد يكون بين هذين الحيتين من الأوس والخزرج شر .
ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا علي بن أبي طالب وأسامة
ابن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأنى خيراً ثم قال : يا رسول الله أهلك
ولا نعلم منهم ^(١) إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل . وأما علي فقال :
يا رسول الله إن النساء لكثير وإنك لتقدر أن تستغلف ^(٢) وسل الجارية
فإنها ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها ، فقام إليها
علي فغصبها ضرباً شديداً ويقول ^(٣) : اصدقني رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب علي عائشة شيئاً إلا أني
كنت أحزن بحيفي فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله .

قالت : ثم دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدى أبوأي
وعدى امرأة من الأنصار فأنا أبكي وهي تبكي معي ، فجلس فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال : يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول للناس ، فأتني الله
وإن كنت قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله فإن الله يقبل التوبة عنه
هباده . قالت : فوالله إن هو إلا أن قال لي ذلك فقلص ^(٤) دمي حتى ما أحس
منه شيئاً . وانتظرت أبوأي أن يجيبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلم .

قالت : وأيم الله لأننا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأننا من أن ينزل الله
في قرآننا يقرأ به في المسجد ويصلي به ، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله

(١) الطبري : ولا نعلم عليهن إلا خيراً .

(٢) ابن هشام والطبري : لقادر على أن تستغلف .

(٣) الطبري : وهو يقول .

(٤) قلص : ارتفع .

صلى الله عليه وسلم في مدامه شيئاً يكذب الله به عني لما يعلم من براءتي أو بخبر
خبراً ، فأما قرآن ينزل في فوائده لنفسه كانت أحقر عدى من ذلك .

قالت : فلما لم أر أبوي يتكلمان قلت لهما : ألا نجيبان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؟ فقالا : والله ما ندرى بماذا نجيبه . قالت : والله ما أعلم أهل بيت
دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام . قالت : فلما استمعنا
على استمبئت فبكيت ثم قلت : والله لا أنوب إلى الله بما ذكرت أبداً ، والله
إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أني منه بريئة لأقوان ما لم
يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوني ، ثم التفت اسم يعقوب
فأذكره فقلت : والسكنى سأقول^(١) كما قال أبو يوسف : « فصبّر جميل
والله المستعان على ما تصفون » .

قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى
تفشاه من الله ما كان يتفشاه ، فسجى بثوبه ووضعت له وسادة من آدم تحت
رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعرت ولا باليت ،
قد عرفت أني بريئة وأن الله غير ظالم ، وأما أبوي فوالذي نفس عائشة بيده
ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما
غرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس . ثم سرى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فجلس وإنه ليتحدّر منه مثل الجمان وفي يوم شات ،
فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول : « أبشري يا عائشة فقد أنزل الله
براءتك » . قالت : بحمد الله^(٢) .

(١) الطبري : والسكنى أقول .

(٢) الطبري : بحمد الله وذكركم .

ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ثم أمر مسطح بن أثانة وحمزة بنت جعش وحسان بن ثابت ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حنكم .

قالت : فلما نزل القرآن ذكر من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك فقال : « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَبْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ^(١) » قيل إنه حسان بن ثابت وأصحابه ويقال : عبد الله بن أبي وأصحابه .

ثم قال : « أَوَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَبْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ » أي هلا قلتم إذ سمعتموه كما قال أبو أيوب الأنصاري وصاحبه أم أيوب ، وذلك أنها قالت لزوجها : يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى وذلك للكذب ، أ كفت يا أم أيوب فاعلمه ؟ قالت : لا والله ما كفت فاعلمه . قال : فعايشة والله خير منك .

ثم قال تعالى : « إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنَةِ كُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ » .

فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر رحمه الله ، وكان ينفق على مسطح لقربته وساحته : والله لا أنفق على مسطح أبداً ولا أنفقه بنفع أبداً بمد الذي قال لعائشة وأدخل علينا . قالت : فأنزل الله

في ذلك « ولا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ
وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ » قالت : فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي .
فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

* * *

وذكر ابن إسحاق أن حسان بن ثابت مع ما كان منه في صفوان بن
المطّل من القول السيئ قال مع ذلك شعرا يعرض فيه بصفوان ومن أـلم
من مُضِر يقول فيه :

أَمْسَى الْجَلَالِيْبُ قَدْ عَزَّوْا وَقَدْ كَثُرُوا

وَابْنُ الْقُرَيْبَةِ أَمْسَى بَيْضَةُ الْبَلَدِ^(١)

فلما بلغ ذلك ابن المطّل اعترض حسان بن ثابت فضربه بالسيف
ثم قال :

تَلَقَّى ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِئْتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

فوثب عند ذلك ثابت بن قيس بن شماس على صفوان لجمع يديه إلى
عنقه بحبل ثم انطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقبه عبد الله بن
رَوَاحَةَ فقال : ما هذا ؟ قال : أما أعجبتك ضرب حسان بالسيف ؟ والله ما أراه
إلا قد قتله . فقال له ابن رَوَاحَةَ : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء
مما صنعت ؟ قال لا والله . قال : لقد اجتأأت ، أطلق الرجل . فأطلقه .

ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له ، فدعا حسان
وصفوان فقال صفوان : يا رسول الله آذاني وهجاني فاحتملني للغضب

(١) أم ابن هشام والطبري ذكر أبيات حسان انظر ابن هشام ٣/٣٠٤ .
والطبري ١٥٢٦ ط أوربا .

فضرِبته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : يا حسان أنشِوْهُتِ على قومي أن هدام الله للإسلام ؟ ثم قال : أحسن . يا حسان في القدي أصابك . قال : هي لك . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضاً منها بئر حاء ^(١) ماء كان لأبي طلحة بالمدينة فتصدق به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضعه حيث شاء فأعطاه حسان في ضرِبته ، وأعطاه « سيرين » أمة قبطية ولدت له ابنة عبد الرحمن .

وقد روى من وجوه أن إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه سيرين إنما كان لذبة بلسانه عن النبي صلى الله عليه وسلم . والله تعالى أعلم . وكانت عائشة رحمها الله تقول : لقد سئل عن ابن المعتل فوجدوه حصوراً لا يأتي النساء ثم قتل بعد ذلك شهيداً .

وقال بعد ذلك حسان يمدح عائشة رضى الله عنها ويعتذر من الذي كان

في شأنها :

حَصَّانَ رَزَانَ مَا تَزُنُّ بِرَبِيبَةٍ	وتصبح فرثي من لحوم الغوافل ^(٢)
عَقِيلَةً حَتَّى مِنْ لُؤْمَى بْنِ غَالِبٍ	كرام المساعي تجدهم غير زائل ^(٣)
مَهْذَبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ جَنِبَهَا	وطهرها من كل سوء وباطل
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ	فلا رفعت سوطي إلى أنامل
وَكَيْفَ وَوَدَى مَا حَيَّتْ وَنُصِرَتِي	لآل رسول الله زين المحافل
لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى الدَّاسِ كُلِّهِمْ	تقاصر عنه سورة المتعاول
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَا تُعْطِ	ولسكه قول امرئى بى ماحل ^(٤)

(١) حاء اسم رجل أضيفت إليه البئر . وفي ابن هشام : وهي قصر بى حذيلة اليوم بالمدينة .

(٢) الحصان : العفيفة . والرزان : الوقورة . وتزن : تنهم . والفرثى : الجائنة ، أى تمسك لسانها عن الأعراض .

(٣) ط : غير ذابل .

(٤) لا تُعْطِ : لاسق . والماحل : الراشى .

وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وصاحبيه في فريتهم على عائشة رضي الله عنها :

أقد ذاق حسانُ الذي كان أهله وخمته إذ قالوا هجيراً ومسطحاً^(١)
تعاطوا أبرجيم الغيب زوج نبيهم

وسخطه ذى العرش الكريم فأنرحوا^(٢)

وآذوا رسول الله فيها فجتلوا مخازي تبقى عُمّوها وفَضَحُوا
وصُبت عليهم مُحصّدت كأنها شأيب قطرم من ذرى المزن تَسْفَحُ^(٣)

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البرّ الحافظ أن قوماً أنكروا أن يكون حسان خاض في الإفك أو جُلد فيه ، ورووا عن عائشة رحمها الله أنها برّأتها من ذلك . ثم ذكر عن الزبير بن بَكَّار وغيره أن عائشة كانت في الطواف مع أم حكيم بنت خالد بن العاص وابنة عبد الله بن أبي ربيعة ، فذاكرن حسان فابتدرتاه بالسب فقالت لهما عائشة : ابن العريضة تسبان ؟ إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبة عن النبي صلى الله عليه وسلم بلسانه ، أليس للقائل :

هجوت محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذلك الجزاء

فإنّ أبى ووالده وعرضى إرض محمداً منكم وفاه

فقالتا لها : أليس من لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت :

لم يقل شيئاً ، والله القائل :

حسان رزان ما تُزن برية وتُصبح غرثي من لحوم الغوافل

فإن كان ما قد قيل عني قلته فلا رفعت سوطي إلى أناملي

(١) الهجير : الفاحش من القول .

(٢) أنرحوا : أحزنوا ، من الترح .

(٣) المحصّدت : الشياطين الشديدة القتل . والشأيب : جمع شؤبوب وهي الدفعة من

الطر . والمرن : السحاب .

غزوة الحديبية

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة من سنة ست معتمراً لا يريد حرباً ، واستنفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا^(١) ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت .

فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناسُ من حربته ، وليعلم أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

حتى إذا كان بـُسفان لقيه بُسر^(٢) بن سفيان الكعبي فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعتُ بمسيرك فخرجوا معهم للعوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذي طوى يماهدون الله لا ندخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدّموها إلى كُرَاع الغنيم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرّبن وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ؛ فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثنى الله به حتى يُظهِره الله أو تُفرد هذه السالفة^(٣) . »

ثم قال : من رجل يخرج بدا على غير طريقهم ؟ فقال رجل من أسلم : أنا

(١) الطبري : الذي صنعوا به .

(٢) ويقال له بـسر . كما في ابن هشام ٣٠٩/٣

(٣) السالفة : صفقة النقي ، وهي كناية عن الموت .

فسلّك بهم طريقاً وعراً أجْرَل^(١) بين الشَّعَاب ، فلما خرجوا منه وقد شق عليهم وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع للوادي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها للْحِطَّة التي عُرِضت على بني إسرائيل فلم يقولوها .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات البين بين ظهري الخمض في طريق تخرج على ثنية المزار ، مهبط الحديبية من أسفل مكة . فسلّك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيلُ قريش قَترة^(٢) الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلّك في ثنية المزار بركت ناقتة ، فقال الناس : خلّات^(٣) . فقال : ما خلّات وما هو لها بخلق واسكن حبسها حابس الغيل عن مكة ، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطبة يسألون^(٤) فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ثم قال للناس : انزلوا قيل يا رسول الله ما بالوادي ماء نزل عليه . فأخرج صلى الله عليه وسلم سهماً من كنفاته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل في قليب من تلك القُلُب ففرزه في جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناسُ عنه بعلطن^(٥) .

[رسل قريش]

فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بدّل بن ورفاء في رجال من خُزاعة فكلّمه وسأله ما الذي جاء به ، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت

-
- (١) الأجرل : الصلب الغليظ . وفي الطبري : وعرجزن .
 (٢) القترة : الثبار .
 (٣) خلّات : حرّنت وبركت من غير علة .
 (٤) ابن هشام والطبري : يسألوني .
 (٥) ضرب الناس بعلطن : أناخوا حول الماء بعد السقي .

ومعظماً لحرمته ، ثم قال لهم محمداً لما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا :
 إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال وإنما جاء زائراً لهذا البيت .
 فاتهمهم وجبههم وقالوا : إن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا
 عتوة أبداً ولا تحدث بذلك عنا العرب . ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص ابن
 الأخيف أخا بني عامر بن لؤي ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مقبلاً قال : هذا رجل غادر . فلما انتهى إليه وكلمه قال له رسول الله صلى الله
 عليه وسلم نمواً لما قال لبديل وأصحابه . فرجع إلى قريش فأخبرهم . ثم بعثوا
 إليه الحليث بن علقمة أو ابن زبآن ، أحد بني الحارث بن عبد مناف بن كنانة
 وكان يومئذ سيد الأحابيش ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن
 هذا من قوم يتأهلون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى
 يسيل عليه من عرض الوادي في قلانده قد أكل أوباره من طول الحبس
 عن محله ، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً
 لما رأى ؛ فقال لهم ذلك فقالوا له : اجلس . فإنا أنت أعرابي لا علم لك : فغضب
 الحليث عند ذلك وقال : يا معشر القوم والله ما على هذا حالناكم وما على
 هذا عاقدناكم ، أبصدت عن بيت الله من جاء معظماً له ؟ والذي نفس الحليث
 بيده لتتخلن بين محمد وبين ما جاء له أولاً نفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد .
 فقالوا له : كفف عنا يا حليث حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي فقال :
 يا معشر قريش إنني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من
 التعميف وسوء اللفظ ، وقد عرفت^(١) أنكم والد وأنى ولد ، وكان لسبيعة بنت
 عبد شمس ، وقد سمعت بالهدى نأبكم فجئت من أطاعني من قومي ثم

(١) ابن هشام : ولد عرقم .

جئتمكم حتى آسيتكم بنفسى . قالوا : صدقتَ ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد أجمعت أَوْشَابَ النَّاسِ ثم جئت إلى بيضتك لتفضتها بهم؟ إنها قریش قد خرجت معها المَوَظِّدُ المَطَافِيلُ ^(١) قد لبسوا جلودَ النُّورِ يعاهدون الله لا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ عَنُوةٌ أَبَدًا ، وأيم الله لَسَكَأْنِي بِهِؤُلَاءِ قد انكشفوا عنك . فردَّ عليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال : أنحن نكشف عنه ! ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد ، فجعل يقرع يده إذا فعل ذلك ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك . فيقول عروة : ويمك ما أفضلك وأغظلك . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . قال : أى عُذْرَ هل غسلتَ ^(٢) سَوَاتِكَ إِلَّا بِالْأَمْسِ ! يريد أن المغيرة كان قتل قبل إسلامه ثلاثة عشر رجلاً من ثَقِيف فتهاجج الحَيَّان من ثَقِيف بنو مالك رهط المقتولين والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية وأصاح ذلك الأمر .

وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بنحو مما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً ، فقام من عنده وقد رأى ما يصنع به أصحابه ،

(١) المَوَظِّدُ المَطَافِيلُ : النُّوقُ ذوات اللبن مما أولادها ، وهى كناية عن النساء معها الأسفـال .

(٢) ابن هشام : وهل غسلت .

لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا ييصق بهاقاً إلا ابتدروه^(١) ولا يسقط من
شعره شيء إلا أخذه ، فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش إني قد جئتُ
كسرى في مُلكه وقبصر في مُلكه والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت
ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه ! ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشيء
أبدأ فرّوا رأيتكم .

[بعث الرسول إلى قريش]

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي فحمّله على
بعيره له وبعثه إلى قريش ليبلغ أشrafهم عنه ما جاء له ، فمقرّوا به الجمل وأرادوا
قتله فبلغته الأحابيش ، فخلّوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعث قريش أربعين رجلاً أو خمسين وأمروهم أن يُطبقوا بمسكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأخذوا أخذاً ، فأتى بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلّى سبيلهم .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعمته إلى مكة فيبلغ عنه أشraf قريش ما جاء له
فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدى
ابن كعب أحد يمدني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظت عليهما ، ولكني
أدلك على رجل أعز بها مني : عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف
قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته ؛

(١) تحمل هذه الرواية على اللباقة في الحب والإجلال والتوقير ، ولكنها لا تتفق مع
ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من وضاعة وظهر وتنزه .

فخرج عثمان إلى مكة فلقية أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره .

وقال له فيما ذكره غير ابن إسحق :

أقبل وأدبر ولا تخف أحداً بنو سعيد أعزّة الحرّ

فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا له حين فرغ : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قُتل فقال حين بلغه ذلك : لا تَبْرَحْ حتى نهاجز القوم .

[بيعة الرضوان]

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بأبائهم على الموت . وكان جابر يقول : بأبائنا على ألا نفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ولم يتخاف منه أحد من المسلمين حضرها إلا الجدة بن قيس لصق بإبط ناقته يستتر بها من الناس .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي كان من أمر عثمان باطل . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع أمّان ، ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال : هذه يد عثمان .

[الصالح]

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو وقالوا : إيت محمداً فصالحه ولا يكون في

صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا نحدث عنا للعرب أنه دخلها علينا عَفْوة أبدا .

فأني سميل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا إلينا هذا الرجل .
فلما انتهى إليه سميل تكلم فأطال الكلام وتراجعا ، ثم جرى بينهم الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأنى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالشركيين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر الزم عَزْرَهُ^(١) فإني أشهد أنه رسول الله قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألسنت برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالشركيين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره فيضيعني^(٢) » فكان عمر يقول فإزات أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ نخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أنه يكون خيرا .

(١) الفرز : ركاب من جلد توضع فيه الرجل ، أى اتبع أمره ولا تخالفه .

(٢) كذا بالأصل . وفي ابن هشام والطبري : وان يضيعني .

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال
اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : لا أعرف هذا
ولكن اكتب : باسمك اللهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب
باسمك اللهم . فكتبها ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله
سهيل بن عمرو . فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن
اكتب اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب :
« هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو . اصطلنا على وضع الحرب
عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه
من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن
مع محمد لم يردوه عليه ، وأن يدينا عتيبة مكفوفة ^(١) وأنه لا إسلال ولا إغلال ^(٢)
وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل
في عقد قريش وعهدهم دخل فيه » .

فتوالت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتوالت بنو بكر
فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم .

« وأنت ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام
قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقت فيها ثلاثاً مئة سلاح الرائب :
السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها » .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو
إذ جاء أبو جندل بن عمرو برأس الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

(١) العيبة : موضع السر . ومكفوفة : مطوية .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية . والإغلال : الخيانة .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشككون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأوا ما رأوا من الصالح والرجوع وما يحمل^(١) عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل الناس من ذلك أمرٌ عظيم حتى كادوا يهلكون .

فلما رأى سهيلُ أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتقليبيه ثم قال يا محمد قد جئت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت . فجعل ينتره بتقليبيه ويجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أُرِدّ إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ فزاد الناس ذلك إلى ما بهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعلٌ لك ولن مملك من المسلمين فرجاً ونَجْرَجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطيناهم عهداً ، وإنا لا نقدرهم » .

فوثب عمرُ بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دمٌ أحدهم دمٌ كلب !
— ويُدْنِي قائمَ السيف منه — يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السيفَ فيضرب به أبا ، فضنَّ الرجلُ بأبيه ونفذت القضية .

فلما فرغ من السكتاب أشهد رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين ، أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسleme ، ومكرز بن حفص وهو مشرك

(١) الطبري وابن هشام : وما تحمل .

وعلى بن أبي طالب وهو كان كاتب الصحيفة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُضْطَرِباً^(١) في الحل وكان يصلي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام إلى هَذْبِهِ فَنَحَرَهُ ثُمَّ جَلَسَ فَخَلَقَ رَأْسَهُ وَأَهْدَى عَامِئْذٍ هَدَايَاهُ جَهْلًا لِأَبِي جَهْلٍ فِي رَأْسِهِ بُرَّةً مِنْ فِضَّةٍ لِيَغِيْظَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ . فلما رآه للناس قد نحر وحلق تَوَاتَبُوا يَنْحَرُونَ وَيَحْلِقُونَ ، وكان فيهم يومئذ من قَصَّرَ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بِرَحْمَةِ اللَّهِ الْخَلْقَيْنِ . قالوا : وَالْمَقْصَرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : بِرَحْمَةِ اللَّهِ الْخَلْقَيْنِ . قالوا : وَالْمَقْصَرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : بِرَحْمَةِ اللَّهِ الْخَلْقَيْنِ . قالوا : وَالْمَقْصَرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : وَالْمَقْصَرِينَ . فقالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فلم ظاهرتَ للترحمِ للخالقين دونَ للمقصرين ؟ قال لم بشكوا .

[سورة الفتح]

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلاً ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح : « إنا ففتحنا لك فتحاً مُبِيناً . لينفرك لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويقم نعمته عليك ويهديك صراطاً مُسْتَقِيماً » .

ثم ذكر القصة فيه وفي أصحابه ، حتى إذا انتهى إلى ذكر البيعة فقال « إنا الذين يبأيونك إنما يبأيون الله يدُ الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » . ثم ذكر من تخلف عنهم من الأعراب فاستوفى قصتهم ثم قال : « لقد رضى

(١) مضطرباً : أى أكام خيابه و الحل .

اللهُ عن المؤمنين إذ يُبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينةَ عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانمَ كثيرةً يأخذونها وكان الله عزيزاً حَكِيماً ، وعدكم الله مغانمَ كثيرةً تأخذونها فمَجَلَّ لكم هذه وكفَّ أيدى الناسِ عنكم ولتسكون آيةً للمؤمنين ويهديكم صراطاً مُسْتَقِيماً وأُخْرَى لَمْ تَقْدَرُوا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً » ثم قال : « وهو الذى كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليها وكان الله بما تعملون بصيراً » يعنى الذين وجهت قريش بهم ليصيبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلم يبالوا شيئاً وأخذوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بجمالتهم وسيقوا إليه نخل سبيلهم .

ثم قال بعد : « إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية » يعنى سهيل بن عمرو حين حَجَّى أن يكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . وأن محمداً رسول الله » فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحقُّ بها وأهلها » أى للتوحيد : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم قال : « لقد صدق الله رؤيا ربه بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلفين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا » أى لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رأى أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف . وقد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة بعض من كان معه : ألم تقل يا رسول الله أنك تدخل مكة آمناً ؟ قال :

جلى ، فقلت من عامى هذا ؟ قالوا : لا قال فهو كما قال لى جبريل . فحقق له سبحانه من موعده ما أبجزه له بعد وصدق به قوله جل قوله « لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ » معه « فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَعَلَّ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحَا قَرِيبًا » صلح الحديبية .

يقول الزهري : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت المدينة ووضعت الحرب وأمن الناس [كلهم ^(١)] بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام بعقل شيئاً إلا دخل فيه ، فلقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر ^(٢) .

قال ابن هشام : والدليل على ما قال الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف .

وذكر ابن عتبة أنه لما كان صلح الحديبية قال رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا بفتح ، لقد صُدِّدْنَا عَنْ الْبَيْتِ وَصُدَّ هَدْيُنَا . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قول أولئك فقال : بئس الكلام هذا ، بل هو أعظم الفتح ، قد رضى المشركون أن يدفعواكم بالراح ^(٣) من بلادهم ويسألواكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان ، وقد رأوا

(١) ليست في ابن هشام . (٢) ابن هشام : أو أكثر .

(٣) الراح : الأكف . أي بدلا من السلاح .

منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين ، فهو أعظم
الفتوح ، أتذنون يومَ أحدٍ إذ تُصمِدون ولا تَلَوْن على أحدٍ وأنا
أدعوكم في أخراكم ١٩

أنسينم يومَ الأحزابٍ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ
زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ؟ فقال المسلمون :
صدق الله ورسوله فهو أعظم الفتوح ، والله ما فكرنا فيما فكرت فيه
ولأنت أعلم بالله وأمره منا .

وفي الصحيح من حديث سهل بن حنيف أنه قال يومَ صفين : يا أيها
الناس اثموا رأيكم على دينكم ، فلقد رأيتني يومَ أبي جندل ولو أستطيع
أن أرد أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته والله ورسوله أعلم^(١) .

وخرج البخاري من حديث السرياء بن عازب قال : تعدون أنتم
الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان
يومَ الحديبية ، صكنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة
والحديبية بئر ، ففرحناها فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا ياناء من ماء فتوضأ ثم مضى
ودعا ثم صبه فيها فتركها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا
نحن وركابنا^(٢) .

وعن سالم ابن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال : عطش الناس

(١) صحيح البخاري ٢١٥/٤ .

(٢) صحيح البخاري ٣٠/٣ .

يومَ الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه رَكُوة فتوضأ منها ثم أقبل للناسُ نحوه فقالوا : يا رسول الله ليس عندنا ماء فتوضأ به ولا نشرب إلا ما في رَكُوتك . قال : فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون . قال : فشربنا ونوضأنا فقلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة^(١) .

وذكر ابن عُبَيْة عن ابن عباس قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية كلمه بعض أصحابه فقالوا : جهدنا وفي الناس ظَهر فاجزء لنا فلئلا كل من لحومهم واددتهم من شعومهم ولنحتذِر من جلودهم . فقال عمر : لا تفعل يا رسول الله فإن للناس إن يسكن فيهم بقية ظهر أمثل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابسطوا أنطاعكم وعباكم ففعلوا [ثم قال : من كان عنده بقية من زاد وطعام فليفرغه ، ودعاهم^(٢)] ثم قال لهم : قربوا أوعيتكم . فأخذوا ما شاءوا^(٣) .

[أمر أبي بصير]

قال ابن إسحق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يعني من الحديبية أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية^(٤) ، وكان ممن حُبس بمكة ، فكتب فيه أزهر بن عبد هوف والأخنس بن شَرِيق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى

(١) صحيح البخارى ٣٠/٣ . (٢) من الخصائص الكبرى ٣٨/١ .
(٣) الخصائص : ما شاء الله . (٤) ط : ابن خزيمة .

لحم ، قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقال صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بصير إننا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا القدر ، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ونجرجا » .

فانطلق متهما حتى إذا كان بذى الحليفة جلس إلى جدار وجلس معه أصحابه ، فقال أبو بصير . أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ فقال : نعم . قال : أنظر إليه [قال] إن شئت فاستله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله .

وذكر ابن عقبة أن الرجل هو الذي سل سيفه ثم هزّه فقال : لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوما إلى الليل ، فقال له أبو بصير : وصارم سيفك هذا ؟ فقال : نعم فقال ناو لفيه أنظر إليه فناوله إياه ، فلما قبض عليه ضربه به حتى برد . قال : ويقال بل تفاول أبو بصير سيف الرجل بفيه وهو قائم فقطع إيساره ثم ضربه به حتى برد ، وطلب الآخر ، فجمز^(١) مرعوبا مستخفيا حتى دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيه ^(٢) بطن الحصباء من شدة سعيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه : لقد رأى هذا ذُعرا . قال ابن إسحق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويحك مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبي .

فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف فقال : يا رسول الله ، وقت ذمتك وأدى الله عنك ، أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بدني أن

(١) جز : أسرع .

(٢) بطن : يطيء .

أُفْتِنَ فِيهِ أَوْ يُعْبَثَ بِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَبِلَيْهِ ^(١) يَحْشَ ^(٢) »
حَرْبَ لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ أ

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَصِيرٍ حَتَّى نَزَلَ الْعِيسَى مِنْ نَاحِيَةِ الْمَرْوَةِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ
بِطَرِيقِ قَرِيشَ الَّتِي كَانُوا يَأْخُذُونَ إِلَى الشَّامِ ، وَبَلَغَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا
أَحْتَبَسُوا بِمَكَّةَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَصِيرٍ : « وَبِلَيْهِ يَحْشَ
حَرْبَ لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ » فَخَرَجُوا إِلَى أَبِي بَصِيرٍ بِالْعِيسَى ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ قَرِيبٌ
مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ .

وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ أَنَّ أَبَا جَنْدَلٍ بْنَ سُهَيْلٍ بْنِ عَمْرِو الَّذِي رُدَّ عَلَى قَرِيشَ .
مُسْكِرُهَا يَوْمَ الْقَضِيَةِ هُوَ الَّذِي انْقَلَبَتْ فِي سَبْعِينَ رَأْسًا أَسْلَمُوا وَهَاجَرُوا فَلَمَحُوا
بِأَبِي بَصِيرٍ وَكَرَهُوا النَّوَاءَ بَيْنَ أَظْهَرِ قَوْمِهِمْ ، فَزَلُّوا مَعَ أَبِي بَصِيرٍ فِي مَنْزِلٍ
كَرِيهِهِ إِلَى قَرِيشَ فَقَطَعُوا مَا دَتَهُمْ مِنْ طَرِيقِ الشَّامِ . قَالَ : وَكَانَ أَبُو بَصِيرٍ زَعَمُوا
وَهُوَ فِي مَكَانِهِ ذَلِكَ يَصِلُ لِأَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ أَبُو جَنْدَلٍ كَانَ
هُوَ بِؤْسِهِمْ .

وَاجْتَمَعَ إِلَى أَبِي جَنْدَلٍ نَاسٌ مِنْ غِفَارٍ وَأَسْلَمَ وَجْهَيْنِةَ وَطَوَائِفَ مِنَ الْعَرَبِ
حَتَّى بَلَغُوا ثَلَاثِمِائَةَ مَقَاتِلٍ وَمِنْ مُسْلِمِينَ ، فَأَقَامُوا مَعَ أَبِي جَنْدَلٍ وَأَبِي بَصِيرٍ ،
لَا يَمُرُّ بِهِمْ غَيْرُ اقْرِيشَ إِلَّا أَحْذَوْهَا وَقَتَلُوا أَصْحَابَهَا . وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو جَنْدَلٍ
فِيمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ ابْنِ عُقْبَةَ :

(١) وبليته : وبلي أمه . وهي هنا كلمة مدح

(٢) يحش حرب : موقدها وسمرها . وتروى : مسمر حرب .

أبلغ قريشاً عن أبي جندل أنا بذى المروة بالساحل
في معشر تحقق أيمانهم بالبيض فيها وللقفا الذابل
يأتون أن يبقى لهم رقة من بعد إسلامهم للواصل
أو يجعل الله لهم نخرجاً والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المراء بإسلامه أو يقتل المراء ولم يأنل

فأرسلت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب
يسألونه ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبي بصير وإلى أبي جندل بن سهيل
ومن معهم فيقدموا عليه وقالوا : من خرج منا إليك فأمسكه في غير حرج فإن
هؤلاء الركب قد فتحو علينا باباً لا يصلح إقراره .

فلما كان ذلك من أمرهم علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يبعث أبا جندل من أبيه بعد القضية أن طاعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير فيما أحبوا وفيما كرهوا ، وأن رأيه أفضل من رأيهم ومن رأى
من ظن أن له قوة ورأياً ، وعلم أن ما خص الله به نبيه من اللعن والكرامة
أفضل .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي جندل وأبي بصير يأمرهم
أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم ولا يعرضوا لأحد منهم من قريش
وعيراتها ، فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زعوا ، على أبي جندل
وأبي بصير وأبو بصير يموت ، فات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في
يده يقتله . فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً .

وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم معه أناس من أصحابه

ورجع سائرهم إلى أهلهم وأمّنت عيرت قريش .

فلم يزل أبو جندل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد ما أدرك من المشاهد بعد ذلك وشهد الففتح ، ورجع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل معه بالمدينة حتى توفي صلوات الله عليه وسلامه وقدم أبوه سهيل بن عمرو للمدينة أول إمارة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكث بها شهراً ثم خرج مجاهداً إلى الشام وخرج معه ابنه أبو جندل فلم يزالا مجاهدين حتى ماتا جميعاً هناك برحمة الله .

[المهاجرات بعد الحديبية]

وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المدة أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي مُمَيْط ، فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذي بيده وبين قريش في الحديبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك وأنزل فيه على رسوله « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنعوهن الله أعلم بإيائهم ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لهن حلٌ لهن ولاهن يَحْمِلُونَ لهن ، وآتوهن ما أنفقوا ، ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتوهن أجورهن ، ولا تفسكوا بمعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ، ذلكم حكم الله بحكم بينكم والله عليم حكيم ^(١) » .

غزوة خيبر

ولما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة من الحديبية مكث بها
 ذا الحجة مُتسلخ سنة ست ، وبعض المحرم من سنة سبع .
 ثم خرج في بقية منه إلى خيبر غزياً .

وكان الله وعده إياها وهو بالحديبية بقوله عز من قائل : « وعدكم الله مغانم
 كثيرة تأخذونها فغلب لكم هذه » يعنى بالمعجل صلح الحديبية ، والغنائم
 الموعود بها فتح خيبر .

فخرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مستعجلاً ميماد ربه وواقفاً
 بكفائته ونصره ، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب وكانت بيضاء ، فسلك
 على عصر^(١) فبنى له فيها مسجداً ، ثم على الصهباء . ثم أقبل بجيشه حتى نزل
 به بواد يقال له الرّجيس فزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدّوا
 أهل خيبر وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر
 أن غطفان لما سمعت بمذله من خيبر جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه حتى
 إذا ساروا منقلة^(٢) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حسّاً ظفوا أن القوم قد
 خالفوا إليهم ، فرجموا على أعقابهم فأقاموا في أهلهم وأموالهم وخلوا بين رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وخيبر .

قال أبو معتب بن عمرو : لما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا . ثم قال : « اللهم رب السموات السبع وما

(١) عصر : جبل بين المدينة ووادي القرع .

(٢) المنقلة : الرحلة من الطريق .

أظللن ورب الأرضين السبع وما أفلنن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرنن فإننا نسألك خيرَ هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرّها وشر أهلها وشر ما فيها » ثم قال : « أقدموا بسم الله » قال : وكان يقولها لكل قرية دخلها .

وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عزا قوماً لم يُعزّ عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خير ليلاً فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً فركب وركبنا معه ، فركبت خلف أبي طائفة وإن قدمي لتمسّ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقبلنا عمال خير غادين قد خرجوا بمساحبتهم ومكانتهم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمد والخميس معه . فأدبروا هرباً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر خربت خير إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

قال ابن إسحق : وتدنّى^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالا مالا ويفتحها حصداً حصداً ، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، وعنده قُتل محمود بن مسلة أقيت عليه رحيّ منه فقلته ، ثم القموص حصن أبي الحقيق^(٢) وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم

(١) تدنّى : جعل يأخذ الأدنى بالأدنى .

(٢) الطبرى : حصن ابن أبي الحقيق . وابن هشام : حصن بن أبي الحقيق .

سبايا منهن صفية بنت حُيَّ بن أخطب ، وكانت عند كدانة بن الربيع ابن أبي الحقيق وبنى عم لها ، فاصطفى صفية لنفسه بعد أن سأله إياها دحية الكلبي ، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها ، وكان بلال هو الذي جاء بصفية وبأخرى معها فمرَّ بهما على قتلى من قتل يهود ، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكَّت وجهها وحشت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أغربوا عن هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداؤه ، فمرف المسلمون أنه قد اصطفاها لنفسه فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : « أزعّت منك الرحمة يا بلال حين تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما ١٩ » .

وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قرأ وقع في حِجْرها ، فمرضت رؤياها على زوجها فقال : ما هذا إلا أنك تمدين ملاك الحجاز محمداً ! فلطم وجهها لطمه خَفَّرَ عنها منها . فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه فسألها ما هو فأخبرته الخبر .

ولما أعرض بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر أو ببعض الطريق وبات بها في قُبَّة له ، بات أبو أيوب الأنصاري متوشحاً بالسيف يحرسه ويطيف بالقبة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله خِفتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وكانت حديثه عهد بكفر

فخفتمُها عليكم . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني » .

وَأَنَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكفانة بن الربيع وكن عنده كنز بنى النضير فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه ، فَأَنَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود فقال : إِنِّي رأيت كفانة بطيف بهذه الخربة كلَّ غداة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفانة : أَرَأيت إن وجدناه عندك أقتلك ؟ قال : نعم . فَأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كدزهم ثم سأله ما بقى فَأَبَى أن يريه ، فَأمر به الزبير بن العوام فقال : عذِّبه حتى تستأصل ما عنده . فكان الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود ابن مسلمة .

[تحريم الحر الأهلية]

وفشت الأسبايا من خيبر في المسلمين وأكل المسلمون لحومَ الحر من حرها .

قال ابن عقبة : كانت أرضا وخيمة شديدة الجهد ، فجهد المسلمون جهداً شديداً وأصابتهم مَسْغَبَةٌ شديدة فوجدوا أحرة إنسية ليهود لم يكونوا أدخلوها الحصن فانتحروها ، ثم وجدوا في أنفسهم من ذلك ، فذكروها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنهام عن أكلها .

قال أبو سليط فيما ذكر ابن إسحق : أنانا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الجر الإنسية والقدور تفور بها فكفأناها على وجوهها .

وذكر أيضا أن رسول صلى الله عليه وسلم قام يومئذ في الناس فنهاهم عن أمور سماها لهم ، قال مكحول : نهاهم يومئذ عن أربع : إتيان الحبالى من النساء^(١) ، وعن أكل الحمار الأهل ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغنم حتى تقسم .

وحدث جابر بن عبد الله ولم يشهد خيبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الجر أذن لهم في لحوم الخيل .
وافتح رؤف بن ثابت قرية من قرى المغرب يقال لها جربة^(٢) فقام خطيبا فقال : يا أيها الناس إني لا أقول لكم إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فينا يوم خيبر ، قام فينا فقال :

« لا يحمل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها ، ولا يحمل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مئمتا حتى يقسم ، ولا يحمل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فئ المسلمين حتى إذا أعجمها ردّها فيه ، ولا يحمل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فئ المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه » .

(١) أى من السبايا قبل استبرائهن بالوضع .

(٢) جربة : جزيرة بالمغرب من ناحية فاس .

وقال عبادة بن الصامت : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر أن نبيع أو نبتاع نبر الذهب بالذهب العَيْن ، ونبر الفضة بالورق العين ، وقال : « ابتاعوا نبر الذهب بالورق العين ، ونبر الفضة بالذهب العين » .

ولما أصاب المسلمين بخيبر ما أصابهم من الجهد أتى بدو سهم من أسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا : يا رسول الله اقم جُهدنا وما بأيدينا من شيء . فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يعطيهم إياه فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء وأكثرها طعاماً ووداً . فعلا الناسُ وفتح الله عليهم حصن الصُّعب بن معاذ ، وما بخيبر كان أكثر طعاماً ووداً منه .

[المبارزة]

ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز اتهموا إلى حصنهم « الوطيح » و « السَّلام » وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتحا ، فعاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضلع هشة ليلة ، وخرج مَرَّحِب اليهودي من حصنهم قد جمع سلاحه وهو ينادي : من يبارز ويرتجز :

فد علمت خيبر أَى مَرَّحِبُ شاكى السلاح بطل مجرَّبُ
أطعنُ أحياناً وحيداً أضربُ إذا الليوث أقبلت تجرَّبُ
إنَّ حَيَّاي للحمى لا يَقْرَبُ

فأجابه كعب بن مالك فقال :

قد علمتُ خيرُ أنى كعبُ مفرجُ النعماءِ جرىءُ صُلْبُ
حين تشبَّ الحربُ ثم الحربُ معى حُسامٌ كالتعقيقِ عَصْبُ
نطأؤُكم حتى يَذلَّ الصَّعْبُ نعلَى الجزاءِ أو يَفْءُ النُّهْبُ
بكفِّ ماضٍ ليس فيه عَثْبُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا
له يا رسول الله ، أنا والله الموتور الثائر قتل أخى بالأمس . قال : فقم إليه اللهم
أعذه عليه . فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمرية^(٢) من
شجر العُشر^(٤) فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه
بسيفه مادونه منها حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل
اللقائم ما فيها فَنَن ، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فأنقاه بدِرَقته فوق سيفه
فيها فعضت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

ثم خرج بعد مَرَّحِب أخوه يامر وهو يقول : من يبارز ؟ فخرج إليه
الزبير بن العوام ، فيما ذكر هشام بن عروة ، فقالت أمه صفية بنت عبد
المطلب : يقتل ابني يا رسول الله ؟ قال : بل ابلك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير
فالتقى فقتله الزبير .

(١) ابن هشام : إذ شبت الحرب تلتهما الحرب .

(٢) ابن هشام : أو ينفذ النهب . وما هنا أدق .

(٣) عمرية : قديمة معمرة .

(٤) العُشر : شعر فيه حراق لم يقتدح الناس في أجود منه .

[هلى - يحمل الراية]

وحدث سلمة بن عمرو بن الأكوع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار » فدعا هلى بن أبى طالب رضى الله عنه وهو أرمم ففعل فى عينه ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك . فخرج وهو يهرول بها هرولةً وإنما خلقه نعيم أثره ، حتى ركز رابته فى رشم من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا هلى بن أبى طالب . قال اليهودى : علوتم وما أنزل هلى موسى . أو كما قال . فارجع حتى يفتح الله على يديه .

وقال أبو رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرجنا مع هلى رضى الله عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده ، فتناول هلى بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى فى نفر من سبعة ثامنهم نجهد هلى أن يقلب ذلك الباب فما نقلبه .

وحدث أبو اليسر كعب بن عمرو قال : إننا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عشيّة إذ أقبلت غم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . من رحل يُطعمها من هذه الغنم ؟ فقال أبو اليسر : أنا يا رسول الله . قال : فافعل قال : فخرجت أشد مثل الظالم ، فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مولئاً قال : اللهم أمقئها

(١) قال ابن كثير : ول هذا الخبر جملة وانقطاع ظاهر . السيرة ٢/٣٥٩ .

به ! قال : فأدركتُ النغم وقد دخلتُ أولاهما الحصن فأخذتُ شاتين من أخراهما فاحتضنتهما تحت يدي ثم أقبلتُ بهما أشد كآنه ليس معي شيء حتى ألقىتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبجوهما فأكلوهما . فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موتاً ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال : أمتّعوا بي لعمرى حتى كنت من آخرهم !

[استسلام يهود]

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر في حصنهم « الوطيط » و « السّلام » حتى إذا أبقوا بالملك سألوه أن يسّروهم وأن يحقن لهم دماءهم ففعل . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها الشق ونظاة والكتيبة ؛ وجميع حصونهم إلا ما كان من ذبّك الحصنين ، فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسّروهم وأن يحقن لهم دماءهم ويخلّوا له الأموال ففعل .

فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف ، وقالوا نحن أعلم بها منكم وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فينا بين المسلمين . وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

[مع اليهودية]

فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث

امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية^(١) . وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إليه ؟ فقيل لها الذراع . فأكثرت فيه من السم . ثم سئمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغاً فلم يسقها ومعه بشر ابن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال : إن هذا العظيم ليخبرني أنه مسموم . ثم دعا بها فاعترفت فقال : ما حلك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت : إن كان ما سكا استرحت منه ؛ وإن كان نبياً فيخبر . فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومات بشر بن البراء من أكانه التي أكل .

وذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الكتف من تلك الشاة فاتمش منها وتناول بشر عظماً فاتمش منه ؛ فلما استرط^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمته اشترط بشر ما في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرني أني نُميت فيها . فقال بشر بن البراء : والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت فإني مضمي أن ألفظها إلا أني أعظمت أن أنفصك طعامك ، فلما أسفمت ما في فمك لم أكن أرغب بنفسى عن نفسك ، ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نَمِي .

فلم يبق بشر من مكانه حتى عاد لونه مثل الطلياسان وماطله وجهه حتى كان لا يتحول إلا ما حوّل .

(١) مصلية • مشوية .

(٢) استرط : ابتلع .

قال جابر بن عبد الله : واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ على الكاهل ، حجه أبو طيبة مولى بني بياضة . وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ثلاث سنين حتى كان وجهه الذي توفي منه قد دخلت عليه أم بشر بنت البراء بن معرور تَعُودُهُ فَمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فَقَالَ لَهَا : يَا أُمُّ بَشْرَ إِنَّ هَذَا لِأَوَانَ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَهْرَى مِنَ الْأَكَاةِ الَّتِي أَكَلْتُ مَعَ ابْنِكَ بِخَيْرٍ .

قال : فَإِنْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَيُرُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ شَهِيدًا مَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الدَّبُورَةِ .

[غزوة وادي القرى]

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهلها ليالي ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

قال أبو هريرة : لما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادي القرى نزلهاها أَصْلًا^(١) مع مغرب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام أهداه له رفاعة بن زيد الجُدَاحِيُّ ثُمَّ الضُّبَيْتِيُّ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَضَعُ رَحْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَنَاهُ سَهْمُهُمْ غَرْبَ فَأَصَابَهُ فَقَتَلَهُ ، فَقُلْنَا : هَبَيْتَا لَهُ الْجَنَّةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ شَمَلْتَهُ الْآنَ لَتُحْتَرَقَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ كَانَ غَلَمًا مِنْ قَوْمِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ خَيْبَرَ . فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ

(١) ابن هشام : أصيلا .

صلى الله عليه وسلم فأنابه فقال له : يا رسول الله أصبتُ شراكين لتعلمين
لى . فقال : يُقَدَّرُ لك مثلهما من النار .

وخرج مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه
قال لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد حتى مرّوا على رجل فقالوا : فلان
شهيد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا إني رأيتُه في النار في
بُرْدَةٍ غُلَّها أو عبادة . ثم قال : يا بن الخطاب اذهب فنادِ في الناس
إنه لا يدخل الجنة إلا للمؤمنون . قال : فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل
الجنة إلا المؤمنون^(١) .

[خروج النساء]

وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسالة من نساء المسلمات
فرضخ لمن عليه السلام من الفء ولم يضرب لمن بسهم . حدثت بنت
[أبى] الصلت^(٢) عن امرأة غفارية سمّتها قالت : أتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في نسوة من بنى غفار وهو يسير إلى خيبر فقلنا :
يا رسول الله قد أردنا الخروج معك إلى وجهك هذا فنذاوى الجرحى
ونعين المسلمين بما استطعنا . فقال : هلى بركة الله . قالت : فخرجنا معه

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم / ١٨٢

(٢) هى أمية بنت قيس بن أبى الصلت الغفارية ، مختلف و حديثها . أسد الغابة
٤٠٥/٥ وقد روى خبرها هذا الواقدي وأبو داود و سننه وابن كثير في سيرته .
وف ابن هشام (ط الحلبي) : أمية بن أبى الصلت . معرفة .

فلما افتتح خيبر رَضَحَ لنا من اللقيء وأخذ هذه القلادة التي تربن في عنقي فأعطانيها وعلَّقها بيده في عنقي ، فوالله لا تفارقني أبداً . قالت : فكانت في عنقها حتى ماتت ثم أوصت أن تُدفن معها .

[الشهداء]

واستشهد بخيبر من المسلمين نحو من عشرين رجلاً منهم عامر بن الأكوع عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال له في مسيره إلى خيبر : انزل يابن الأكوع فخذ لنا من هذاتك^(١) ا فذل يرنجز برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قومٌ بنوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله . فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يا رسول الله لو أمتعتنا به ا فقتل يوم خيبر شهيداً ، وكان قتله أن سيفه رجع عاياه وهو يقاتل فكلمه كلما شديداً فمات منه ، فكان المسلمون قد شكوا فيه وقالوا : إنما قتله سلاحه ، حتى سأل ابن أخيه سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأخبره بقول الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لشهيد وصلى عليه . فصلى عليه المسلمون .

(١) هنالك : أشعارك أو أحاديثك .

ومنهـم الأسود الراعى من أهل خير ، وكان من حديثه أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خير ومعه غنم كان فيها أجيرا لرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله اعرض على الإسلام فمرضه عليه فأسلم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَحْقِرُ أحداً أن يدعو إلى الإسلام ويمرضه عليه ، فلما أسلم قال : يا رسول الله إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم وهي أمانة عندي فكيف أصنع بها ؟ قال اضرب وجوهها فإنها سترجع إلى ربها . أو كما قال . فقام الأسود فأخذ حفنة من الحصباء فرمى بها في وجوهها وقال : ارجعى إلى صاحبك فوالله لا أصعبك .^(١) وخرجت^(٢) مجتمعة كأن سائفاً بسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم الأسود إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاة قط ، فأثنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع خلفه وسجى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا : يا رسول الله لم أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زوجتيه من الحور العين !

وذكر ابن إسحق عن عبيد الله بن أبي نجيح أن الشهيد إذا ما أصيب نزلت زوجته من الحور العين عليه يفضان التراب عن وجهه ويقولان : ترّب الله وجه من ترّبك وقتل من قتلك .

[أمر الحجاج بن علاط]

قل : ولما افتتحت خير كأم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج بن

(١) ابن هشام : نخرجت .

عِلَاطُ الشَّلَی ثُمَّ اللَّبْهَزَى فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لِي بِمَكَّةَ مَا لَعَنَهُ صَاحِبُهَا
أُمُّ شَيْبَةَ بِنْتُ أَبِي طَلْحَةَ وَمَا مَتَرَفَا فِي تِجَارِ أَهْلِ مَكَّةَ فَأُذِنَ لِي يَا رَسُولَ
اللَّهِ . فَأُذِنَ لَهُ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَدُ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَنْ أَقُولَ .^(١)
قَالَ : قُلْ .

قَالَ الْحِجَاجُ : فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا قَدِمْتُ مَكَّةَ وَجَدْتُ بِثَنِيَّةِ الْبَيْضَاءِ
رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ يَتَسَمَّوْنَ الْأَخْبَارَ وَيَسْأَلُونَ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ بَلَغَهُمْ أَنَّهُ سَارَ إِلَى خَيْبَرَ وَعَرَفُوا أَنَّهَا قَرِيبَةُ الْحِجَازِ رِيفًا
وَمُدَّةً وَرِجَالًا ، فَهُمْ يَتَحَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ وَيَسْأَلُونَ الرِّكْبَانَ ، فَلَمَّا رَأَوْنِي وَلَمْ
يَكُونُوا عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَالُوا : الْحِجَاجُ بْنُ عَلَاطٍ ؟ عِنْدَهُ وَاللَّهِ الْخَبَرُ ،
أَخْبَرْنَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ الْقَاطِعَ سَارَ إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ بِلَدُ يَهُودَ
وَرِيفِ الْحِجَازِ . قُلْتُ : قَدْ بَلَغَنِي ذَلِكَ وَعِنْدِي مِنَ الْخَبَرِ مَا يَسْرُكُمْ .
قَالَ : فَالْتَبَطُوا^(٢) يَجِبَنِي نَاقَتِي يَقُولُونَ : لِأَبِيهِ يَا حِجَاجُ ؟ قُلْتُ : هُزِمَ هَزِيمَةً لَمْ
يَسْمَعُوا بِمَثَلِهَا قَطْ وَقُتِلَ أَصْحَابُهَا قَتْلًا لَمْ تَسْمَعُوا بِمَثَلِ قَطْ وَأَسْرَ مُحَمَّدٌ أَسْرًا ،
وَقَالُوا : لَا تَقْتُلْهُ حَتَّى نَبْعَثَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ فَيَقْتُلُونَهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ بَيْنَ كَانِ أَصَابَ
مِنْ رِجَالِهِمْ . قَالَ : فَقَامُوا وَصَاحُوا بِمَكَّةَ وَقَالُوا : قَدْ جَاءَكُمْ الْخَبَرُ وَهَذَا
مُحَمَّدٌ إِنَّمَا تَنْظُرُونَ أَنْ يُقَدَّمَ بِهِ عَلَيْكُمْ فَيَقْتُلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ .

قَالَ : فَقُلْتُ أَعَيْنُونِي عَلَى جَمْعِ مَالِي بِمَكَّةَ عَلَى غَرْمَائِي فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ

(١) أَقُولُ : أَيْ احْتَالَ عَلَيْهِمْ بِكَلَامٍ لَا أَعْتَقِدُهُ .

(٢) اللَّطَبُوا : مَشَوْا بِجَانِبِهَا .

أقدم خير فأصيب به من أهل^(١) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني للتجار إلى ما هناك . فقاموا فجمعوا إلى مالي كأحث جمع سمعت به وجئت صاحبتي فقلت : مالي . وقد كان لي عندها مال موضوع لئلي الحق بخير فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار .

قال : فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عنى أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيام التجار فقال : يا حجاج ما هذا الذى جئت به ؟ قلت : وهل عندك حفظ لما وضعتُ عندك ؟ قال : نعم . قلت : فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء فإني فى جمع مالي كما ترى فأنصرف عني حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة وأجهت الخروج لقيتُ العباس فقلت : احفظ على حديثي يا أبا الفضل ، فإني أخشى الطلب ثلاثاً ثم قل ما شئت . قال : أفعل . قلت : فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم يعنى صفية بنت حبي ، ولقد افتتح خير وانتقل^(٢) ما فيها وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجاج ؟ قلت : إني والله فاكتم عني ولقد أسلمتُ وما جئت إلا لأخذ مالي فرقاً من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ما نحب .

قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس للعباس حلة له وأخذ عصاه

(١) كذا بالأصل ، وى الطبرى وابن هشام : من فل محمد وأصحابه . وما هنا أوضح .
والفل : الجيش للنهم .

(٢) انتقل : استخرج .

ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف به فلما رآوه قالوا : يا أبا الفضل هذا والله التجلّد لحراً المصيبة ! قال : كلاً والله الذى حلقتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروساً على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه . قالوا : ما جاءك^(١) بهذا الخبر ، قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ ماله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه . قالوا : يالّ عباد الله ! انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن . ولم ينشئوا أن جاءهم الخبر بذلك .

وقال كعب بن مالك الأنصارى فى يوم خيبر :

ونحن وردنا خيبراً وفروضه

بكل فتى عارى الأشاجع مذكور^(٢)

جواد لدى الغايات لا واهن القوى

جرى على الأعداء فى كل مشهد

عظيم رماد القدر فى كل شقوة

ضرّوب بتصل المشرق للهيد

برى القتل مدحاً إن أصاب شهادة

من الله برجوها وفوزاً بأحمد

(١) ابن هشام والطبرى : من جاءك .

(٢) الفروض : مواضع العرب من الأنهار ، والأشاجع : مروق ظهر الكف .
واللذود : المحامى والدافع .

يلدود ويحمى عن ذِمَارِ مُحَمَّدٍ
ويَدْفَعُ عَنْهُ بِاللَّسَانِ وَيَالِيْدُ
ويَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يُرِيْبُهُ
يَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدٍ

وذكر ابن عُقْبَةَ أَنَّ بَنِي فَزَارَةَ قَدِمُوا عَلَى أَهْلِ خَيْبَرَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِمْ
لِيُعِينُوهُمْ فَرَأَسَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَمِينُوهُمْ وَأَنْ يَخْرِجُوا
عَنْهُمْ عَلَى أَنْ يَعْطِيَهُمْ مِنْ خَيْبَرَ شَيْئًا سِوَا سِمَاءِ لَمْ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ وَقَالُوا : جِيرَانُنَا
وَحُلَفَاؤُنَا . فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ خَيْبَرَ أَنَاهُ مِنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ فَقَالُوا :
الَّذِي وَعَدْتَنَا ؟ فَقَالَ : لَكُمْ ذُو الرَّقِيْبَةِ ، لَجَلٍ مِنْ جِبَالِ خَيْبَرَ . قَالُوا :
إِذْنِ نَقَاتِكَ قَالَ : مَوْعِدَكُمْ جَرَفَاءَ^(١) . فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
خَرَجُوا هَارِبِينَ .

[تَقْسِيمُ الْقَنَاطِمِ]

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَتْ الْقَنَاطِمُ عَلَى أَمْوَالِ خَيْبَرَ عَلَى الشَّقِّ وَنَطَاطِ
وَالسَّكْتِيَةِ ، وَكَانَتْ الشَّقِّ وَنَطَاطِ فِي سُهُْمَانِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَتْ السَّكْتِيَةُ
خَمْسَ اللَّهِ وَسَهْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَهْمَ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ^(٢)
وَطُغْمَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطُغْمَ رِجَالٍ مَشَاوِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَهْلِ قَدِّكَ بِالصَّلَاحِ .

(١) جَرَفَاءَ : قَالَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : وَيَوْمَ جَرَفَاءَ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، وَاعْلَمْ مَوْضِعُ .

(٢) زَادَ الطَّبْرِيُّ : وَابْنُ السَّيْلِ .

وَقُسِّمَتْ خَيْبِرُ عَلَى أَهْلِ الْحُدَيْبِيَّةِ مِنْ شَهِدِ خَيْبَرَ وَمَنْ غَابَ عَنْهَا ، وَلَمْ يَغِبْ عَنْهَا إِلَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ ، فَقُسِّمَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسْهُمْ مِنْ حَضْرَتِهَا . وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمَانَ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ ، فَجَعَلَ لِلْفَرَسِ سَهْمَيْنِ وَلِلْفَارَسِ سَهْمًا وَلِلرَّجُلِ سَهْمًا ، فَجَرَتْ الْقَاسِمُ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا بَعْدَ ، وَيَوْمَئِذٍ عَرَّبَ الْعَرَبِيُّ مِنَ الْخَيْلِ وَهَجَّجَ الْمَجْعِينَ .

[قَدُومُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ]

وَذَكَرَ ابْنُ عَقْبَةَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ نَفَرٌ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ فِيهِمْ أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ قَدِمُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ مَهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ فَمَضَوْا إِلَيْهِ وَفِيهِمْ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَالطَّفِيلُ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ ذَا النُّورِ ، وَأَبُو هَرِيرَةَ وَنَفَرٌ مِنْ دَوْسٍ فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَاهُ الْحَقُّ أَنْ لَا يُخَيِّبَ مَسِيرَهُمْ وَلَا يَبْطُلَ سَفَرُهُمْ فَشَرَكَهُمْ فِي مَقَاسِمِ خَيْبَرَ وَسَأَلَ أَصْحَابَهُ ذَلِكَ فَعُطِبُوا بِهِ نَفْسًا .

وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ عَقْبَةَ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي هَؤُلَاءِ الْقَادِمِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَهُوَ أَوْلَهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ ، وَمَا مِثْلُ جَعْفَرَ بِتَخْطِئَةٍ ذَكَرَهُ ، وَمَنْ الْبَعِيدُ أَنْ يَغِيبَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَقْبَةَ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَسْأَلِهِ .

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بِمَثَ عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةِ الضَّمْرِيِّ إِلَى الْبَجَاشِيِّ فِيمَنْ كَانَ أَقَامَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ لِحَمْلِهِمْ فِي سَفِينَتَيْنِ فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَيْهِ وَهُوَ بِخَيْبَرَ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَذَكَرَ جَعْفَرَ أَوْلَهُمْ وَذَكَرَ مَعَهُ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا قَدِمُوا فِي السَّفِينَتَيْنِ مَعَهُ .

وَذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ جَعْفَرَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم يوم فتح خيبر فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين عينيه والتزمه وقال : ما أدري بأيتهما أسرّ أفتتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟

ولما جرت القاسم في أموال خيبر اتسع فيها المسلمون ووجدوا بها مرفقاً لم يكونوا وجدوه قبل ، حتى اقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فيما خرج له للبخارى في صحيحه : ما شبهنا حتى فتحنا خيبر .

[اليهود في خيبر]

وأقرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر في أموالهم يعملون فيها المسلمين على النصف مما يخرج منها كما تقدم

قال ابن إسحق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خازماً بين المسلمين وبين يهود فيخرص عليهم فإذا قالوا تعدّيت علينا ، قال : إن شئتم فلكم وإن شئتم فلنا . فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض !

وإنما خرص عليهم عبد الله عاماً واحداً ثم أصيب بمؤنة برحه الله فكان جبار بن صخر أخو بني سلمة هو الذي يخرص عليهم بعده .

فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم حتى هدوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل أخى بنى حارثة فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه وكتب إليهم أن يدوه أو يأذنوا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً ، فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده وأقرم على ما سبق من معاملته إياهم .

فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرم أبو بكر الصديق على مثل ذلك حتى توفى ، ثم أقرم عمر صدراً من إمارته ، ثم باع عمر أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال في وجهه الذي قبضه الله فيه : « لا يجتمعن بحزيرة للعرب دينان » . ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه التثبت فأرسل إلى يهود فقال إن الله قد أذن في جلائكم ، قد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجتمعن بحزيرة العرب دينان » فن كان عنده عهد من رسول الله فليأني به أفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله فليتهجز للجلاء . فأجلى عمر منهم من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عبد الله بن عمر : خرجت أنا والزيبر والقسداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتماعدها ، فلما قدمنا تفرقنا في أموال فعددي على تحت الليل فعدت يداي من مرفقي فلما أصبحت استصرخ على صاحبي فأنياني فأصاحبا من يدي ؛ ثم قدما بي على عمر فقال : هذا عمل يهود ثم قام في الناس خطيبا فقال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا وقد عدوا على عبد الله بن عمر فعدوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على الأنصارى قبله لانشك أنهم أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم فن كان له مال بخيبر فليالحق به فإني أخرج يهود . فأخرجهم .

ولما أخرج عمر رضى الله عنه يهود خيبر ركب في المهاجرين والأنصار وخرج معه بجبار بن صخر وكان خاوص أهل المدينة وحاسبهم ويزيد بن ثابت فهما قسما خيبر على أصحاب السهمان التي كانت عليها وذلك أن الشق والنطاة اللتين هما سهم المسلمين قسمت في الأصل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثمانية عشر سهما : نطاة من ذلك خمسة والشق ثلاثة عشر سهما ؛ ثم قسم كل قسم من هذه الثمانية عشر سهما إلى مائة سهم لكل رجل سهم ولكل فرس سهمان ؛ وكانت عدة الذين قسمت عليهم ألف رجل وأربع مائة رجل ومائتي فرس فذلك ألف سهم وثمان مائة سهم .

(١) فعدت يداي : اعوجت مفاصلها ، كأنها قد زالت عن مواضعها .

عمرة القضاء

وهي غزوة الأمن

قال ابن إسحق : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى المدينة أقام بها شهرى ربيع وما بعده إلى شوال ، يبعث فيما بين ذلك سراياه .

ثم خرج في ذى القعدة في الشهر الذى صدته فيه المشركون معتمرا عُمرة القضاء مكان عمرته التى صدّوه عنها ، وخرج معه المسلمون ممن كان صدّ معه في عمرته تلك ، وهى سبعة سبع . فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه .

قال ابن عثمة : وتغيّب رجال من أشرفهم خرجوا إلى بوادى مكة كراهية أنه ينظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غيظا وحقنا ونفاسا وحسداً .

وتحدثت قریش بينها فيما ذكر ابن إسحق : أن محمدا وأصحابه في عُسرة وجهود وشدة فصعّوا له عند دار الهدوة لينظروا إليه وإلى أصحابه .

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال : « رحم الله امرأ أراهم لليوم من نفسه قوة » ثم استلم الركن وخرج يهرّول ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا وراه البيت منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هَرّول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرهما فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صدعها لهذا الحى من قریش للذى بلغه عنهم حتى جمع حجة الوداع فلزمها ففضت السُّنة بها .

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في تلك العمرة وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يديه: ^(١)

خَلُّوا بَنَ الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فَكَلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ أَعْرِفَ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ ^(٢)

[زواج الرسول بميمونة بنت الحارث]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث ابن حَزَنَ الْهَلَالِيَّةِ ، فخطبها عليه فجمعت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب وكانت اختها أم الفضل بنت الحارث ، وقيل جمعت أمرها إلى أم الفضل ، فجمعت أم الفضل أمرها إلى العباس فزوجها للعباس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عده أربعمائة درهم .

وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسكها ، وأقام بمكة ثلاث ليال ، وكان ذلك أجل القضية يوم الحديبية . فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحُوَيْطُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى . [في نفر من قريش] ^(٣) ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عُبَادَةَ فَصَاحَ حُوَيْطُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى : نَاشِدُكَ اللَّهُ وَالْعَقْدُ إِلَّا خَرَجْتَ مِنْ أَرْضِنَا فَقَدْ مَضَتْ الثَّلَاثُ . فقال سعد : كَذَبْتَ لَا أَمْلَ لَكَ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِأَرْضِكَ وَلَا أَرْضَ آبَيْكَ

(١) الطبري وابن هشام : وعبد الله به رواحة أخذ بخطام ناقته وهو يقول .

(٢) اختصر المؤلف هذا الرجز وهو يتأمله ابن هشام ١٣/٤ والطبري ١٥٥٩ ط أوربا .

(٣) من ابن هشام والطبري .

والله لا يخرج إلا راضياً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك : باسمه لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما عليكم لو تركتموني فأعزستُ بين أظهركم وصددنا لكم طعماً فأحضروا ؟ قالوا : لا حاجة بنا لطعامك فأخرج عنا .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع موله فأذن بالرحيل ، وخاف أبا رافع على ميمونة حتى أتاه بها بسرف وقد أقيمت ومن معها عشاء وأذى من سفهاء المشركين وصبيانهم ، فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف^(١) ثم أدايج فسار حتى قدم المدينة . ثم كان من قضاء الله سبحانه أن ماتت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فتوفيت حيث بنى بها .

قال موسى بن عقبة : وذكر أن الله تعالى أنزل في تلك العمرة : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص^(٢) » .

وذكر ابن هشام أنها يقال لها « عمرة القصاص » لأنهم صدّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست فاقتص منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدّوه فيه من سنة سبع .

(١) سرف : موضع قرب التنعيم .

(٢) سورة البقرة ١٩٤ .

غزوة مؤتة من أرض الشام

ولما صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرة القضاء إلى المدينة أقام بها نحواً من ستة أشهر ثم بعث إلى الشام في جمادى الأولى من سنة ثمان بعثة الذين أصيبوا بمؤتة واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فمبىد الله بن رواحة .

فتجهز الناس ثم تهيأوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودّع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما ودّع عبد الله بن رواحة بكى فقال : ما يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال : والله ما بي حب الدنيا ولا صباية بكم ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار « وإن منكم إلا واردةا كان على ربك حتماً مقضياً ^(١) » فليست أدرى كيف لى بالعدّار بعد الورود ؟ فقال المسلمون : محبكم الله ودفع عنهم وردكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرةً وضربة ذات فرغٍ تُقذف الزبدًا ^(٢)
أو طلعةً بيدي حرّانٍ ^(٣) مجهزة بحربة تُنفذ الأحشاء والكبدًا ^(٣)
حتى يقال إذا مروا على جدّنى ما أرشد الله من غازٍ وقد رشداً ^(٤)

(١) سورة مريم ٧١ .

(٢) ذات فرغ : ذات سعة

(٣) الحران : الشديد .

(٤) ابن هشام : أرشده الله . والطبرى : أرشدك الله . وفي شرح اللوالب :
يا أرشد الله .

ثم إن القوم نهىوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ثم قال :

أنت الرسول فن يُحرم نوائله والوجه منه فقد أزرى به القدرُ
فنبئت الله ما آتاك من حسن في المرسلين ونصراً كالذى نصرُوا
إني تفرست فيك الخير نافلةً فراسةً خالفت فيك الذى نظروا
بمعنى المشركين .

ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة :

خلف السلام على امرئ ودعته في النخل خير مشيع وحليل
وحدث زيد بن أرقم قال : كنت يوماً لعبد الله بن رواحة في حجره ،
فخرج بى في سفره ذلك مردي على حقيبة راحله ، فوالله إنه ليسير ليلة إذ
سمعته ينشد أبياته هذه :

إذا أدنيتني وملت راحلي مسيرة أربع بعد الحساء^(١)
فشأناك فأنمى^(٢) وخلأك ذم ولا أرجع إلى أهلى ورأى
وجاء المسلسون وغادرونى بأرض الشام مشتهى التواء^(٣)
وردك كل ذى رحم قريب إلى الرحمن مقطع الرجاء^(٤)

(١) الحساء : سهل من الأرض يستنقع فيه الماء أو عاظم فوقه رمل يجمع ماء المطر .
(٢) ابن هشام والطبرى وابن كثير : فشأناك أنمى ولا أرجع : مجزوم على الدماء .
(٣) مشتهى التواء : لا يريد رجوعاً . وقد روى : مشتهى التواء . قال السهيلي :
وهو مستعمل من النهاية والانتهاى ، أى حيث انتهى متواء .
(٤) ابن هشام والطبرى وابن كثير : مقطع الإخاء .

هناك لا أبالي طَلْعَ بَمَلٍ ولا نَخْلٍ أسافلها رواء^(١)
فلما سمعتهن بكيتُ خَفَقْنِي بالدَّرة وقال : وما عليك يا أَسْكَعَ أن يرزقني
الله الشهادة وترجع بين شُعْبَتَي الرَّحْلِ ١٢

ثم مضى القومُ حتى نزلوا مَعَانَ من أرض الشام فبلغ للناس أن هرقل
قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليه^(٢) من
تَلَمَّ وجُذَّام والقيين^(٣) وبَهْرَاء وبَلِيٍّ مائة ألف منهم .

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا :
نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بمدد عدونا فإما أن يمدنا
بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فامضى له . فشجع الناس عبدُ الله بن رواحة
فقال : يا قوم والله إن الذي تكرهون لحدى خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما
نقاتل الناس بمدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا
الله به فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحسينين إما ظهور وإما شهادة . فقال الناس
صدق والله ابن رواحة . ففضى الناس وقال عبد الله في مجلسهم ذلك :

جلبنا الخيلَ من أجأ وفرع تُقَرَّ من الحشيش لما للعُكُوم^(٤)

(١) البعل : ما يشرب به روقه من الأرض . ورواء بكسر الميم صفة لنخل .

(٢) ابن هشام : وانضم اليهم .

(٣) الطبري : وبلقين .

(٤) أجأ : أحد جبلي طيء والآخر سلمى . وفرع : أطول جبل بأحأ وأوسطه .

وتمر : تطعم وتشبع . والرواية عند السهلي : تقر . بالقاف . وقال : تقر أي يجمع بعضها
إلى بعض . والعكوم : جمع عكم وهو والجانب .

حَدَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَانِ سَبَقَا
 أَزَلْ كَأَن صَفَحْتَهُ أَدِيمٌ^(١)
 أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مُمَانٍ
 فَأَعْقَبَ بَعْدَ فَتْرَتِهَا بُجُومٌ^(٢)
 فَرُحْنَاهَا وَالْجِيَادُ مَسُومَاتُ
 تَنْفَسُ فِي مَسَاخِرِهَا السَّمُومُ
 فَلَا وَابِي مَأْبٍ لِّمَا تَنْتَهِيهَا
 وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ
 فَمِثْلَانَا أَعْنَتْهَا فِجَاءَاتُ
 عَوَابِسَ وَالْفَبَارِ لَهَا بَرِيمٌ^(٣)
 بَذَى اجْتَبَ كَانَ الْبَيْضُ فِيهِ
 إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا الْعُجُومُ^(٤)
 فَرَاضِيَّةٌ الْمَيْشَةُ طَلَّقَتْهَا
 أَسْتَقْنَا فَتَفْكَحِ أَوْ تَنْثِيمِ^(٥)

* * *

-
- (١) حَدَوْنَاهَا : جَمَلْنَا لَهَا نَمَالًا مِنْ حَدِيدٍ . وَالصَّوَانُ : حِجَارَةٌ مَلْسٌ . وَالسَيْتُ : النَّمَالُ الَّتِي تَصْنَعُ مِنَ الْجُلُودِ اللَّدْبُوعَةِ . وَالْأَزَلُ : الْأَمْلَسُ . وَالْأَدِيمُ : الْجَلْدُ .
 (٢) مُمَانٌ : مَوْضِعٌ بِالْهَافِ . وَالْمَتَرَةُ : السَّكُونُ وَالضَّعْفُ وَالْجُرْمُ : احْتِمَاعُ الْقُوَّةِ .
 (٣) الرِّيمُ : كُلُّ مَا فِيهِ لَوْنَانِ مُخْتَلِفَانِ . وَالْهَمْعُ الْمُخْتَلِطُ بِالْأَثْمَدِ .
 (٤) الْعُجُومُ : اخْتِلَاطُ الْأَمْوَاطِ مِنْ كَثَرَةِ الْجَيْشِ . وَالْقَوَانِسُ : حِمَى قَوْسٍ وَهُوَ أَعْلَى بَيْضَةِ الْحَدِيدِ .
 (٥) فَرَاضِيَّةُ الْمَيْشَةِ : الْمَيْشَةُ اللَّيْنَةُ الْمَطْمَئِنَّةُ . تَنْثِيمٌ : تَبَقُّ دُونَ زَوْجٍ . يَرِيدُ أَنَّهُمْ قَدْ تَجَانَفُوا عَنِ الدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ .

ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموعُ هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشَارَف . ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤْتَنَة فالتقى الناس عندها . فتمعق لهم المسلمون فجعلوا على ميمتهم رجلاً من بني عُذْرَة يقال له قُطْبَة بن قَتَادَة وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عَبَّادَة بن ملك ويقال عَبَّادَة . ثم التقى الناسُ فاقتتلوا ، فقاتل زيدُ بن حارثةَ براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألجمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء . قال أحدُ بني مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة : والله لكانى أنظر إليه حين اقتحم عنها ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قُتل وهو يقول :

يا هذا الجندُ واقترابها طيبة وباردُ شرابها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابها على أن لاقيتها ضرابها^(١)

وكان جعفر أول من عقر في الإسلام فرسه .

ولما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رَواحَة الرايةَ ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال :

أقسمتُ يا نفس اتنزلْه اتنزلْه اتنزلْه^(٢) أو لتكرهه
إن أجلب الناسُ وشدوا للرنه^(٣)

مالي أركُ تكرهين الجنة

(١) قال ابن كثير : هذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث ابن إسحق ولم يذكر

الشعر . السيرة ٣ / ٤٦١ .

(٢) الطبري : طائفة أو لتكرهه

(٣) الرنة : الصوت . النطقة : الماء القليل الصافي والشنّة القرية القديمة .

قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنة
وقال أيضاً :

يا نفسُ إلا تقتلى تموتى هذا حجامُ الموتِ قد صليتِ
وما تمئنتِ فقد أعطيتِ إن تفعلِ فعملهما هُديتِ

يعنى صاحبيه زيدا وجعفرًا . تم نزل فأناه ابنُ عم له يعرف من
لحم فقال شدَّ بهذا صلبك فإنك قد أقيت في أيامك هذه ما أقيت .
فأخذه من يده فاتهمس^(١) معه نهسةً ثم سمع الصعطة^(٢) في ناحية الناس
فقال : وأنت في الدنيا اثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل
حتى قتل .

ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بني العجلان فقال : يا معشر
السلميين اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال ما أنا بفاعل
فاصطلح القوم على خالد بن الوليد . فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى
بهم^(٣) ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخذ الراية
زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيدا ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى
قتل شهيدا ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه

(١) اتهمس : أخذ منه بعمه يسيرا .

(٢) المطة : التزال والمضاربة . وقال أبو ذر : المطة : السكر .

(٣) خاشى بهم : حذر بينهم وبين الروم .

الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون
ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا . ثم قال :
لقد رفموا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير
عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه فقلت : عم هذا ؟
فقال لى : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى .

وذكر ابن هشام أن جعفرا أخذ اللواء يمينه ففُطعت ، فأخذه بشماله
فقطعت ، فاحتضده بمضديه حتى قُتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه
الله بذلك جناحين يطير بهما حيث شاء .

ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ فقطعه نصفين .

وذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بالمدينة لما
أصيبوا ، قبل أن يأتيه نبيهم : مر علي جعفر بن أبي طالب في اللانكة
يطير كما يطرون له جناحان . قال : وقدم يعلى بن أمية على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخبر أهل مؤنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إن شئت فأخبرنى وإن شئت أخبرتك . قال : فأخبرنى يا رسول الله
فأخبره صلى الله عليه وسلم خبرهم كله ووصفه له فقال : والذي بعثك
بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره ، وإن أمرهم لكما
ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله رفع لى الأرض حتى
رأيت مُعتركم .

وحدثت أسماء بنت عميس امرأة جعفر قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ابقينى بينى وجعفر . وقد كانت

غسلتهم ودهنتهم ونظفتهم . قالت فأنيته بهم فشمهم وذرفت عيها فقلت :
يا رسول الله بأبي أنت ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال :
« نعم أصيبوا هذا اليوم » . قالت : فقامت أصيح واجتمع إلى النساء . وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال : لا تغفلوا آل جعفر من أن
تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم .
وقالت عائشة رضي الله عنها : لما أتني نبي جعفر عرفنا في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحزن .

[رجوع الجيش]

ولما انصرف خالد قافلاً بالناس وذنوا من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون ، ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطواي ابن جعفر .
فأتى بمحمد بن جعفر فأخذه لحماله بين يديه وجعل الناس يمتحنون على
الجيش للتراب ويقولون : يا فرار فررتم في سبيل الله ا فيقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « ايسوا بالفرار والسكنهم السكرار إن شاء الله » .

وقالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لامرأة سلمة بن هشام بن
المغيرة : مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس : يا فرار فررتم
في سبيل الله ا حتى قعد في بيته فما يخرج .

وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ونخاشاته بالناس وانصرفه

بهم — قيسُ بن السحر اليمري يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

فوالله لا تفكك نفسي تلوني على موقفي والليل قابعة قبل
وقفت بها لا مستجيزاً^(١) فنافذاً ولا ما نفا من كان حمّ نه القتل
على أنني آسيت نفسي بخالد ألا خالد في القوم ليس له مثل
وجاشت إلى النفس من نحو جعفر بمؤنة إذ لا ينفع النابل القبل
وضمّ إليها حُجْزَتَيْهِمْ^(٢) كليهما مهاجرة لا مشركون ولا عزل

فبين قيس في شعره ما اختلف للناس فيه من ذلك : أن القوم حاجزوا
وكرهوا الموت وحقق انحياز خالد بمن معه .

[ما قيل من الشعر في مؤنة]

وكان مما بُكى به أصحاب مؤنة قول حسان بن ثابت :

تأويني^(٣) ليل يترب أعسر وهم إذا ما هوم الناس مسير
لذكرى حبيب هيجت لي عبّرة سفوحاً وأسباب الهكاء للتذكر
بلى إن فقدان الحبيب بليّة وكمن كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا شعوب وخلفاء بعدهم يتأخرون^(٤)
فلا يُبعدن الله قتلى تباعدوا^(٥) جميعاً وأسباب الملية مخاطر

(١) ابن هشام : لا مستجيزاً . ومستجيزاً : متجيزاً إلى طائفة .

(٢) حُجْزَتَيْهِمْ : جانبيهم .

(٣) تأويني : عاودني وطال علي .

(٤) شعوب : علم على للنبة . والرواية في ديوان حسان :

شعوب وقد خلفت فيمن يؤخر

(٥) ابن هشام : تبايعوا

غداة مضوا بالؤمنين بقودهم إلى الموت ميمون للفقيرة أزهرو
 أغر كضوء البدر من آل هاشم أبي إذا سيم للطلامة يحسّر^(١)
 فطاعن حتى مال غير مؤسّر بمترك فيه قنا متكسّر
 فصار مع المستشهدين ثوابه جنان وملفت الحداثق أخضر
 وكنا نرى في جعفر من محمد وفاء وأمرأ حازماً حين بأمر
 وما زال في الإسلام من أهل هاشم دعائم عز لا يزأن ومفتخر
 ثم جبل الإسلام والناس حولهم رضام إلى طود بروق وبقر^(٢)
 بهاليل منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير
 وحزة والعباس منهم ومنهم عقيل وماء العود من حيث يعصر
 ثم تفرج اللاواء في كل مأزق

عمايس إذا ما ضاق بالناس مصدر^(٣)

هم أولياء الله أنزل حكمه عليهم وفيهم ذا الكتائب المطهر

* * *

وقال كعب بن مالك في ذلك :

نام العميون ودمع عيذك بهمل سحاً كما وكف العلاب الخفضل^(٤)
 في ليلة وردت على همومها طوراً أحن وتارة أنمل
 واعتادني حزن فبت كأنني بيبات نمش والسماك مؤكل^(٥)

(١) ابن هشام : مجسر .

(٢) الرضام : الحجارة للتراكة . والطود : الجبل .

(٣) اللاواء : الشدة والأس . والعباس : الأمر لا يقام له ولا يهتدى لوجهه .

(٤) العلاب : السحاب جمع طبابة . والخفضل : الكثير ماؤه .

(٥) بنات نمش : سبعة كواكب : أربعة منها نمش وثلاث بنات . وكذا الصغرى . والسماك الأعزل والرامح : نجمان .

وكانا بين الجوانح والحشا مما تأوَّبني شهابٌ مُدْخَلُ
 وجدّا على النَّفَرِ الذينَ تَتَابَعُوا يومًا بِمُؤَنَةِ أُسْنِدُوا لم يُنْقَلُوا
 صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَتِيَةٍ وسقى عَظَامَهُمُ الْقَهَامُ الْمَسِيلُ
 صَدَرُوا بِمُؤَنَةِ الْإِلَهِ نَفُوسَهُمْ حذر الرَّدَى وَخَافَةَ أَنْ يَنْكَلُوا
 فَمَضُوا أَمَامَ الْمَسْلَمِينَ كَأَهِمَّ فُتِقَ عَلَيْهِمُ الْحَدِيدُ الْمُرْقَلُ^(١)
 إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَهَنَّمَ وَلَوَانَهُ قَدَامُ أَوَّلِهِمْ فَفَعَمُ الْأَوَّلُ
 حَتَّى تَفَرَّجَتِ الصَّفُوفُ وَجَهَنَّمُ حَيْثُ التَّقَى وَغَثُ الصَّفُوفُ مَجْدَلُ^(٢)
 فَتَمَيَّزَ الْقَمَرُ الْمَنِيرُ لَفَقْدِهِ وَالشَّمْسُ قَدْ كَسَفَتْ وَكَادَتْ تَأْفِلُ^(٣)
 قَرَّمَ عِلَالًا بِنْيَانَهُ مِنْ هَاشِمٍ قَرَعَا أَشْمَ وَسُودَدَا مَا يُنْقَلُ^(٤)
 قَوْمٌ بِهِمْ عَصَمَ الْإِلَهِ عِبَادَهُ وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ
 فَضَلُّوا الْمَعَاشِرَ عَرَةً وَتَكْرُمًا وَتَغَمَّدَتْ أَحْلَامُهُمْ مِنْ يَجْهَلُ
 لَا يُطْلِقُونَ إِلَى السَّفَاهِ حَبَاهُمُ وَبُرَى خَطِيئَتِهِمْ بِحَقِّ بَفْعِيلُ
 بِيضُ الْوُجُوهِ تَرَى بَطُونَ أَكْفَهُمْ تَنْدَى إِذَا اعْتَذَرَ الزَّمَانُ الْمَحِلُ
 وَيَهْدِيهِمْ رَضَى الْإِلَهِ تَخْلُقُهُ وَيَجِدُّهُمْ يُصِرُّ النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ

* * *

وقال حسان بن ثابت يبيكي جعفرا :

ولقد بكيتُ وعَزَّ مَهْلَكُ جَعْفَرٍ حَبَّ النَّبِيِّ عَلَى اللَّبِيَةِ كُلِّهَا

-
- (١) الفُتِقُ : جمع فُتِقٍ وهو الفعل المسكروم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .
 والمرقَلُ : السابغ .
 (٢) الرَعَثُ : العسر والمشقة .
 (٣) تَأْفِلُ : تغرب .
 (٤) الفَرَمُ : السيد .

واقْدِجِرْ عَتْ وَقَلْتِ حِينَ نُمَيْتَ لِي مِنْ لَجَلَادِ لَدَى الْمَقَابِ (١) وَظَلَمَهَا
بِالْبَيْضِ حِينَ تُسَلِّ مِنْ أَعَادِهَا ضَرْبًا وَإِسْهَالَ الرِّمَاحِ وَعَلَمَهَا (٢)
بَعْدَ ابْنِ فَاطِمَةَ الْمُبَارَكِ حَفَرٍ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَأَجَلَهَا
رُزْمًا وَأَكْرَمَهَا جَمِيعًا تَحْتَدَا وَأَعَزَّهَا مَتَظَلَّمًا وَأَدَاَهَا
لِلْحَقِّ حِينَ بَنُوبٍ غَيْرِ تَفْعَلُ مَكْدِبًا وَأَنْدَاهَا بِدَا وَأَفْلَهَا
فُحْشًا وَأَكْثَرَهَا إِذَا مَا يُجْتَدَى فَضْلًا وَأَنْدَاهَا (٣) بِدَا وَأَبَاهَا
بِالْمَرْفِ غَيْرِ عَمْدٍ لَا مِثْلَهُ حَتَّى مِنْ أَحْيَاءِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

* * *

وقال شاعر من المسلمين ممن رحل عن غزوة مؤتة :
كفى حزنًا لى رجعت وجهفرو وزيد وعبد الله لى رمس أقبر
فصوا تحبهم لما مضوا أسيلهم وخلفت للبلى مع التقدير
واستشهد يوم مؤتة من المسلمين سوى الأمراء الثلاثة رضى الله عنهم
من قريش ثم من بنى عدى بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة . ومن
بنى مالك بن حنبل : وهب بن سعد بن أبى سرح . ومن الأنصار : عباد
ابن قيس من بنى الحارث بن الخزرج والحارث بن إساف من بنى غنم بن
مالك بن النجار وسُرَاقَة بن عمرو بن عطية بن خنساء من بنى مازن بن
النجار ، وأبو كَلَيْبٍ ويقال أبو كلاب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن
مبذول وهما لأب وأم . وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد من بنى مالك
ابن أفضى . وهؤلاء الأربعة عن ابن هشام .

(١) المقاب : اسم راية الرسول صل الله عليه وسلم

(٢) لإسهال الرماح : سقيها من دماء الأعداء . وعلمها : سقيها مرة بعد مرة .

(٣) ابن هشام : وأبند لها ندى .

غزوة الفتح

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثته إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجباً .

ثم عدت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة على خزاعة ، ولم يزالوا قبل ذلك مُتَمَادِينَ ، وكان الذي هاج ما بينهم أن حليفاً للأسود بن رَزَن الدَّبَلِي خرج تاجراً ، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعةُ قبيل الإسلام على بنى الأسود ابن رَزَن سَلَى وكلثوم وذؤيب وهم منخر بنى كنانة وأشرفهم كانوا في الجاهلية يودون ديتين لفضلهم في قومهم ، فقتلتهم خزاعة بمعرفة عند أنصاب الحرم ثم حجزَ بينهم الإسلام وتشاغل الناسُ به .

فلما كان صلح الحديبية دخلت خزاعةُ في عَقْد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلت بنو بكر في عقد قريش . فلما كانت المدينة اغتصمتها بنو الدَّبَلِ فخرجوا حتى بَدَتُوا خزاعة على الوَتِير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلاً ونحاحزوا واقتتلوا ورفدت قريشُ بنى بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً .

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد واليثاق بما استحلوا منهم وكانوا في عَقْدِهِ وعهدِهِ ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي السكبي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهري الناس فقال :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ عَمْدًا حَلَفَ أَيْدَا وَأَيْمَهُ الْأَنْدَا^(١)
 قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَلَدًا ثَمَّتْ أَسْلَمًا فَلَمْ نَنْزَعْ يَدًا
 فَانْصَرِ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا^(٢) وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَا نُوَا مَدَدَا
 فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ نَجَرَدَا [أَبْيَضَ مِثْلَ الْبَدْرِ بِسَمَوِصَمَدَا]^(٣)
 إِنْ سِيمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا^(٤) فِي قَيْلِقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مَزِيدَا
 إِنْ قَرِيشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا وَتَقَضُوا مِثْلَ قَتْلِكَ الْمُؤَكَّدَا
 وَجْعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ^(٥) رَصَدَا وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
 وَمَنْ أَدَلَّ وَأَقْلَعَ عَدَدَا هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجْدَا
 وَفَتَلُونَا زُكَّاءَا وَسُجْدَا

يقول : قُتِلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَصَرْتُمْ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ » ثُمَّ
 عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَانٌ مِنَ السَّمَاءِ فَقَالَ : إِنْ هَذِهِ السَّحَابَةُ
 لَتَقْتُلَنِي بِنَصْرِ بْنِ كَعْبٍ . ثُمَّ خَرَجَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خُزَاعَةَ حَتَّى قَدِمُوا
 عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَحْبَبُوهُ بِمَا أَصَابَ مِنْهُمْ وَمُظَاهَرَةِ
 قُرَيْشِ بْنِ بَكْرِ عَلَيْهِمْ ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ .

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَأَنَّكُمْ بِأَبِي سَفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ
 لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَلِيَزِيدَ فِي الْمَدَّةِ » .

(١) الْأَنْدَا : الْقَدِيمُ .

(٢) الْأَعْتَدَا : الْمَاصِرَ الْمُهَيَّأَا .

(٣) أَيْسَتْ فِي ابْنِ هِشَامٍ .

(٤) تَرَبَّدَا : تَغَيَّرَ لَوْنُهُ .

(٥) كَدَاءَا : مَوْضِعٌ بِأَعْلَى مَكَّةَ .

ومضى بديل بن ورقاء في أصحابه حتى لقوا أبا سفيان بمُصَنَّفان قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشده للعقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا ، فلما لقي أبو سفيان بديلاً قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ وظن أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : سَيرت ^(١) في خِزاعة في هذا للساحل وفي بطن هذا الوادي . قال : أو ما جئت محمدا ؟ قال : لا . فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان : إئن كان بديل جاء المدينة لقد علف بها الدوى . فأتى مَبْرُك راحلته فأخذ من بمرها ففتته فرأى فيه الدوى فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب اجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال : يا بنية ما أدرى أرغبت بي عن هذا للفراش أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل نجس مشرك ، فلم أحب أن تجلس عليه . قال : والله يا بنية لقد أصابك بعدى شرا

ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّمه فلم يردّ عليه شيئاً ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فكلّمه فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر ^(٢) لجاهدتكم به . ثم خرج حتى دخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه

(١) ابن هشام : سَيرت .

(٢) الذر : صغار النمل .

وسلم وعندها حسن بن علي غلام يدب بين يديها فقال : يا علي إني أريد أن أرى
 القوم بي رجاء وإني قد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت فاشفع لي ، قال
 ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي أمر
 ما نستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد هل لك
 أن تأمرى بنيتك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر .
 قالت : والله ما بلغ بني ذلك أن يجبر بين الناس ، وما يجبر أحد علي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : يا أبا حسن إني أرى الأمور قد اشتدت
 علي فأنصحنى . قال : والله ما أعلم شيئا ينفي عنك . ولكك سيد بني كنانة
 فقم فأجرب بين الناس ثم الحق بأرضك قال : أو ترى ذلك مقبلا عني شيئا ؟
 قال : لا والله ما أعلمه ولكني لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان فقال :
 أيها الناس إني قد أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق . فلما قدم علي
 قريش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمدا فكلمته فوافقه ما رد علي شيئا ثم
 جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيرا . ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أذن
 المدو . ويقال : أعدى المدو ، ثم أنيت عليا فوجدته ألبن القوم ، وقد أشار علي
 بشيء صنعت به فوافقه ما أدري هل ينفي شيئا أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال :
 أمرني أن أجبر بين الناس ففعلت . قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا .
 قالوا : وبلك والله ما زاد الرجل علي أن لعب بك فما ينفي عنك ما قلت . قال
 لا والله ما وجدت غير ذلك .

[تجهز المسلمين]

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجوزوه
 فدخل أبو بكر علي ابنته عائشة وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال : أئني بنيت أَمْرَك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ قالت : نعم فتجهز . قال : فأين تريد يريده ؟ قالت : لا والله ما أدري .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجدّة والتهيؤ وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبتقها في بلادها » فتجهز الناس .

[أمر حاطب]

وكتب حاطب بن أبي بلتمة عند ذلك كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم ثم أعطاه امرأة وجعل لها جملا على أن تبليهم قريشا . فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها ثم خرجت به . وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال : أدركا امرأة كتب معها حاطب إلى قريش يحذرهم ما أجمعوا له في أمرهم . فخرجا حتى أدركاها فاستنزلاها والنساء في رحلها فلم يجدوا شيئا فقال لها على : أحلف بالله ما كذب رسول الله ولا كذبتنا ولتخرجن هذا الكتاب أو لكشفك . فلما رأت الجدة منه استخرجت الكتاب من قرون رأسها فدفعته إليه . فأنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال : يا حاطب ما حملك على هذا ؟ قال : يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكفي كفت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه فقال عمر : يا رسول الله دعني فلا أضرب

علقه فإن الرجل نأفق^(١) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك
 يا عمر لعل الله قد أطلع على أصحاب بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »
 فأنزل الله في حاطب : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوئى وعدوكم
 أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » الآيات كلها إلى
 قوله : « قد كان لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا
 برآء منكم وبما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة
 والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده » . إلى آخر القصة .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره حتى نزل بمر الظهران فى
 عشرة آلاف من المسلمين ، وقيل فى اثنى عشر ألفاً ، فسبغت سليم^(٢) وقيل ألفت^(٣)
 وألفت مزينة ، وفى كل القبائل عدد وإسلام . وأوعب مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد .

[إسلام أبى سفيان بن الحارث]

وقد كان ابن عمه أبو سفيان ابن الحارث بن عبد اللطاب وابن عمته عبد الله
 ابن أبى أمية بن المغيرة أقياء بذي القربى العقباء فيما بين مكة والمدينة ، فالتصا الدخول
 عليه وكلمته أم سلمة فيهما وهى أخت عبد الله منهما فقالت : يا رسول الله ابن
 عمك وابن عمك وصهرك قال : لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عرضى وأما
 ابن عمى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال^(٤) . فلما خرج الخبر إليهما بذلك

(١) ابن هشام : قد نأفق .

(٢) سبغت : صار منها فى الجيش سبغانة . وألفت صار منها ألفت .

(٣) قال له : « والله لا أمنت لك حتى تتخذ سلماً إلى السماء فتخرج منه وأنا أنظر ،
 ثم أتى بك وأربعة من الأنسكة يشهدون أن الله قد أرسلك » . الروس الألف ٢/٢٦٧ .

قال أبو سفيان - ومعه بُنَيُّ له - والله ليأذنينَّ لي أو لآخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رقّ لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما وأنشده أبو سفيان :

لعمرك إني يوم أحمل رايةً لتقلب خيلُ اللاتِ خيلَ محمدٍ
لكالدأيج الحيرانِ أظلم ليلاً فهذا أواني حين أهدى وأهتدى
هداني هادٍ غير نفسي وقادني مع الله من طردتُ كلَّ مُطَرِّدٍ
فزعموا أنه لما أنشده هذا البيت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال : أنت طردتني كلَّ مطرد !

* * *

[إسلام أبي سفيان بن حرب]

وعميت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش ، فلا يأتيهم خبر عنه ولا يدرون ما هو فاعل .

وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار . وكان العباس بن عبد المطلب قد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق مهاجراً بعياله ، وكان قبل ذلك مقبلاً بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض .

قال العباس : فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة للظهران قلت : واصباح قريش والله إن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأنوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر . فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت اعلى أجد

بعض الخطابة أو صاحب ابن أودا حاجة يأني مكة فيخبرهم مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه . فو الله إني لأسير عليها والناس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالأيلة نيراناً قط ولا عسكراً . قال يقول بديل : هذه والله خزاعة حسنتها الحرب^(١) فيقول أبو سفيان : خزاعة أقلّ وأدل من أن تكون هذه نيرانها وعسكراها . قال : فمرفت صوته فقلت : يا أبا حفصالة فمرف صوتي فقال : أبو الفضل ؟ قلت : نعم . قال : مالك فذاك أبي وأمي ؟ قلت : ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس واصباح قريش والله . قال : فما الحيلة فذاك أبي وأمي ؟ قلت : والله إن ظفرك بك ليضربن عناقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمن لك . فركب خلفي ورجع أصحاباه ، فجمعت به كلما مرّ بدار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى مررت بدار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام إليّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدوّ الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد . ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقت به بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء فافتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني فلا أضرب عنقه . قلت يا رسول الله إني قد أجرته

(٢) حسنتها الحرب . اشتدت عليها . وتروى : حسنتها بالسين المعجمة .

ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت : والله لا يحتاجه إلا لله رجل دوني . فلما أكثر عمر في شأنه قلت : مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال عدي بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف . فقال : مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطّاب لو أسلم ، وما بي إلا أني عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطّاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به يا عباس إلى رَحْلِكَ فإذا أصبحت فأتني به فذهبت به إلى رَحْلِي فبات عندي ، فلما أصبحت غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بآبي أنت وأمي ما أحملك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد . قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بآبي أنت وأمي ما أحملك وأكرمك وأوصلك ، أما والله ^(١) هذه فإن في نفسي منها شيئاً حتى الآن ^(٢) . قال له العباس : ويحك أسلم واثمهد ^(٣) أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق وأسلم .

قال العباس : قلت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً . قال : « نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

(١) ابن هشام : أما هذه والله .

(٢) الطبري : في النفس منها شيء .

(٣) الطبري : وبك تشهد شهادة الحق .

فلما ذهب ليدصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خَطْمُ الجبل حتى تمرَّ به جنودُ الله فيراها » قال فخرجت فحبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن احبسه ، فمرت للقبائل على راباتها كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هذه ؟ فأقول : سليم . فيقول : مالي وسليم . ثم تمر القبيلة فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : مُزَيْنَة . فيقول : مالي ولمزينة . حتى نفذت القبائل ما تمرَّ قبيلة إلا سألتني عنها فإذا أخبرته بهم قال : مالي وابني فلان . حتى مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبتيه الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يُرَى منهم إلا الحدق من الحديد قال : سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك للغداة عظيما . قلت يا أبا سفيان إنها للنبوة . قال نعم إذن . قلت : اللُّجاء إلى قومك . حتى إذا جاءهم صرّخ بأهل صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبيل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الحميت^(١) اللدسم الأحمس قبيح من طليعة قوم . قال : ويحكم لا تنفرتكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قالوا : قاتلك الله وما تُغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . ففرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

(١) الحميت . الزرق . أو وعاء السن والدمس : السمين والأحمس : السكينير الأحمر .

[الرسول يدخل مكة]

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوى وقف على راحلته معقباً بشقة بُرد حبرة حمراء ، وإنه ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن عُثْمُونَهُ^(١) ليكاد يسئ وسط الرّاحل .

ولما وقف هناك قال أبو قحافة ، وقد كُفّ بصره ، لابنة له من أصغر ولده أى بنية اظهرى بى حلى أبى قُبَيْس . فأشرفت به عليه فقال : أى بنية ماذا تَرَيْنِ ؟ قالت : أرى سوادا مجتمعاً قال : تلك الخليل . قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدى السواد مُقبلا ومدرا . قال : أى بنية ذلك الوازع الذى يأمر الخليل ويتقدم إليها . ثم قالت : قد والله انتشر السواد . فقال : قد والله إذن دَفَعْتَ الخليلُ فأسرعى بى إلى بيتى . فأنحطت به ، وتلقاه الخليل قبل أن يصل إلى بيته وفى علق الجارية طوق من وَرِق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها .

قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد أتاه أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال : هلاً تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ا فقال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه . قال : فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له : أسلم . فأسلم . وراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأسه ثَمَامَةً^(٢) فقال : غيِّروا هذا من شعره . ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال : أنشد الله

(١) المثنون : الحجية أو ما فضل منها بعد المارضين .

(٢) الثمامة : واحدة الثمام . وهو نبت أبيض .

والإسلام طَوْقُ أَخِي فلم يجبه أحد فقال : أى أخية احتسبى طوقك فوالله
إن الأمانة اليوم فى الناس لقليل !

* * *

وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين فرق جيشه من ذى طَوْسِ
الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كَذْبَى وكان على الجَنْبَةِ اليسرى
وأمر سعدَ بن عبادَةَ أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاءَ . فدكروا أن سعدا
حين وجَّه داخلا قال :

اليومُ يومُ الملحمة اليومُ تُسْتَحَلُّ الحُرمة

فسمعها رجل من المهاجرين ، قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال
يا رسول الله اسمعْ ما قال سعد ، ما نأمن أن تسكون له فى قريش صَوْلَةٌ . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب : أدركه فخذ الراية فكن
أنت تدخل بها . ويقال إنه أمر الزبير بذلك وجعله مكان سعد على الأنصار
مع المهاجرين . فسار الزبير حتى وقف بالحِجْون وغرز بها راية رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وذكر غير ابن إسحاق أن خِرَارَ بن الخطاب قال يومئذ شعرا استمعطف
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش حين سمع قول سعد ، وهو من
أجود شعراء قاله ^(١) :

(١) لب الدبلى هذه الأبيات إلى صرار بن الخطاب ، فى الروم ٢٧١/٢ .
والكن ابن كثير روى هذه القصة عن الحافظ بن عساكر فى تاريخ دمشق ، فى ترجمة يعقوب
ابن إسحاق دينار ، عن موسى بن عقبة وسب هذا الشعر إلى امرأة . سيرة ابن كثير
٣ / ٥٥٩ .

يَا بَنِي الْهَدْيِ إِلَيْكَ لَجَاحِي قُرَيْشٍ وَلَاتَ حِينَ لَجَاءَ
 حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ سَعَةُ الْأَرْضِ وَعَادَاهُمْ إِلَهُ السَّمَاءِ
 وَاللَّهُمَّ حَلِّقَةً الْبَطَانِ عَلَى الْقَوَائِمِ وَنُودُوا بِالصَّبْرِ الصَّلَاحِ (١)
 إِنْ سَعِدَا يَرِيدَ قَاصِمَةَ الظُّلُمِ بِأَهْلِ الْحَبُونِ وَالْبَطْحَاءِ
 خَزَرَجِيٍّ لَوْ يَسْتَطِيعُ مِنَ الْغَنِيِّ ظِرْمَانًا بِالْأَنْسَرِ وَالْمَوَّاءِ (٢)
 فَانْهَيْتَهُ فَإِنَّهُ الْأَسَدُ الْأَسَدُ وَدُ الْإِيْثُ وَالْغُ فِي الدَّمَاءِ (٣)
 فَلَنْ أَقْصِمَ الْإِثْمَ وَنَادَى يَا سَحَابَةُ الْإِثْمِ أَهْلُ الْإِثْمِ
 لَتَكُونَنَّ بِالْبَطْحَاءِ قُرَيْشٍ قَعْمَةُ الْقَاعِ فِي أَكْفِ الْإِثْمِ (٤)
 لَخِيفْتُ أَنْ تَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّايَةَ مِنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِيمَا
 ذَكَرُوا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
 وَأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَكَانَ عَلَى الْجَنْبِ
 الْيَمْنِيِّ فَدْخَلَ مِنَ اللَّيْلِ أَهْلَ مَكَّةَ فَتَقِيَّتُهُ بَدُوٌّ بِكَرْفَاتِهِمْ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ قُرَيْشٍ
 مِنْ عَشْرِينَ رَجُلًا وَمِنْ هَذِيلَ ثَلَاثَةً أَوْ أَرْبَعَةً انْهَزَمُوا وَقَتَلُوا بِالْحَزُورَةِ حَتَّى
 بَلَغَ قَتْلُهُمْ بَابَ الْمَسْجِدِ ، وَهَرَبَ فَضَضَهُمْ (٥) حَتَّى دَخَلُوا الدَّوْرَ ، وَارْتَفَعَتْ طَائِفَةٌ
 مِنْهُمْ عَلَى الْجِبَالِ وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ بِالسِّيُوفِ .
 وَأَقْبَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ بِالصَّفِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَنْصَبُ لِمَكَّةَ بَيْنَ يَدَيْ

(١) الصيام : الدامية . والصلحاء : المشهورة .

(٢) المواء : السكب .

(٣) من الروس الأثف .

(٤) القعقة : كعنة : الأبيس الرخو من السكمان . ويقال للذليل : هو أذل من تقع

بقرقرة لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل . والقاع : الأرض السهلة .

(٥) الفضض : التفرق المنتشر من كل شيء . أي الرجال الذين تفرقوا بعد الهزيمة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذاخر في المهاجرين الأولين حتى نزل بأعلى مكة وضربت هناك قبته . ولما علا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنية كداء نظر إلى البارقة على الجبل مع فضض المشركين فقال : ما هذا وقد نهيت عن القتال ؟ فقال المهاجرون : نظن أن خلافا قوتل وبُدئ بالقتال فلم يكن بد من أن يقاتل من قاتله ، وما كان يا رسول الله ليمصيك ولا ليخالف أمرك . فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية فأجاز على الحُجُورن .

واندفع الزبير بن العوام بمن معه حتى وقف بباب الكعبة .

وصرَّع رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[الذين أهدر للبي دماءهم]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد في نفر ستمهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم : عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم وكتب الوحيَ ارسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا ففر يومئذ إلى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن الناس فاستأمن له . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ثم قال : نعم . فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله : لقد صمت ليقوم إليه

بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلاً أومات يا رسول الله ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذي لا يقتل بالإشارة » . وفي رواية :
« إن الذي لا ينبغي أن تكون له خائفة أعين ^(١) » .

ومنها : عبد الله بن خطل ، رجل من بني تميم بن غالب كان مسلماً فيهمته
رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقاً ^(٢) وكان معه رجل مسلم يخدمه فأمره
أن يصنع له طعاماً ونام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله ثم ارتد
مشركا وكانت له قتيقتان ^(٣) تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأمر بقتلهما فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأمنها .

وقيل يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ابن خطل متعلق بأستار
الكعبة فقال : اقتلوه . فقتله سعيد بن حُرَيْث الخزومي وأبو بَرْزَة الأسدي
اشتركا في دمه .

ومنها : الحَوْبَرِث بن عُقَيْذ بن وهب بن عبد بن قصى وكان ممن
يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولما حل العباس بن عبد المطلب
فاطمة وأم كلثوم بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة
نخس بهما الحَوْبَرِث هذا فرمى بهما إلى الأرض ، فقتله يوم الفتح على بن
أبي طالب .

(١) قال ابن هشام : وقد حين إسلامه بذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاء عثمان .

(٢) مصدقا : جاييا للصدقات .

(٣) اسم إحداهما : فرتى .

ومنهـم : مِقْبِس بن صَبَّابة الابنـى ، وكان أخوه هشام بن صَبَّابة قد قتله رجل من الأنصار خطأ فقدم مِقْبِس بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مُظهراً الإسلام حتى إذا وجد غِرَّة من قاتل أخيه هـدَّاه عليه فقتله ثم لحق بقریش مشركاً . وقد تقدم ذلك ^(١) فلا جله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، فقتله مُمثلةً بن عبد الله رجل من قومه ، فقالت أخت مِقْبِس فى ذلك :

أَعْمَرى لقد أَخْرَى نُمَيْلة رَحْمَةً وَفَجَّعَ أَضيافَ الشتاء بِمِقْبِسِ
فَلَه عَيْنًا من رأى مثل مِقْبِس إِذا النَّفْسَاءُ أَصْبَحَتْ لم تُخْرِسِ ^(٢)
ومنهـم سارة مولاة ابنى عبد المطلب والمكرمة بن أبى جهل ، وكانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستؤمن لها فأتمها وبعيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا فى زمن عمر بن الخطاب بالأطاح فقتلها .
وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسُمَيْل بن عمرو قد جمعوا أناساً بالخذمة ليقاتلوا ، فيهم جحاس بن قيس بن خالد أخو بنى بكر ، وكان قد أعدَّ سلاحاً وأصلح منها فقالت له امرأته : لماذا تعدُّ ما أرى ؟ قال لحمد وأصحابه . قالت : والله ما أراه يقوم لحمد شيء اقل : والله إني لأرجو أن أُخْدِمَكَ بعضهم اثم قال :

إِنْ يُقْبَلُوا لليوم فإلى عِلِّهِ هـذا سلاحٌ كامل وآله ^(٣)
وذو غَرَارِ بن مَرَبِيع السُّلَّة ^(٤) .

(١) انظر من هذا الجـزء .

(٢) لم تخرس : لم يصنع لها طعام عند ولادها ، وذلك من الشدة والجذب

(٣) الآلة : جميع أداء الحرب .

(٤) المرار : حداثته والسبب والسهم يرد : سيفاً .

ثم شهد للخدمة ، فلما لقىهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد
ناوشوم شيئا من قتال ، فقتل كرز بن جابر وخنيس بن خالد كانا في
خيل خالد فشدّا عنه وسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا وأصيب سلمة
ابن الميلاء الجهمي من خيل خالد ، وأصيب من المشركين ناس ثم
انهزموا فخرج جحاس منهزما حتى دخل بيته وقال لامرأته : أغلقى
على بابي .

قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إليك لو شهدت يومَ الخدمة
إذ فرَّ صفوانُ وفرَّ عكرمة
واسقبلتهم بالسيفِ المسله
يقطعن كلَّ ساعدٍ وجمجمه
ضربا فلا تسمع إلا غمغه
لهم نهيت خلفا وهمهمه^(١)
لم تنطق في اليوم أدنى كلمة

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد : لم قاتلت وقد
نهيتك عن القتال ؟ قال هم بدأونا ووضعوا فينا السلاح وأشعرونا النبل ،
وقد كففت يدي ما استطعت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
قضاء الله خير .

(١) النهيت : الزبر . هذا وقد اختصر المؤلف هذا الرجز ونامه في ابن هشام ٢ / ٤٠٨ .

[أمان رسول الله]

وفراً يومئذ صفوان بن أمية عامدا للبحر وعكرمة بن أبي جهل عامدا لليمن ، فأقبل عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيّد قومه وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر فأمنّه صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتركه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدرك ابن عمك فهو آمِنٌ قال : يا رسول الله فأعطني آيةً يعرف بها أمانك . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل فيها مكة . فخرج بها عمير حتى أدركه [مُجَدَّة]^(١) وهو يريد أن يركب البحر فقال : يا صفوان فذاك أبي وأمي ! الله الله في نفسك أن تهلكها فهذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتُك به قال : وبلاك اغرب عني فلا تسكمني .

قال : أي صفوان فذاك أبي وأمي ! أفضل للناس وأبَرّ الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك ، عزّه عزك وشرفه شرفك ومُلكه مملكك . قال : إني أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك أمّنتني . قال : صدق قال : فاجماني فيه بالخيار شهرين .

(١) من الطبري .

قال : أنت بالخيار أربعة أشهر .

وأقبلت أم حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت تحت عكرمة بن أبي جهل وهي مسلمة يومئذ فقالت : يا رسول الله آمين زوجي وائذن لي في طلبه . فأذن لها وأمنه فأدركته ببعض نهامة وقيل باليمن فأقبل معها وأسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثب إليه فرحاً وما عليه رداء .

وكانت فاختة بنت الوليد تحت صفوان بن أمية ، وكانت أسلمت أيضاً ، فلما أسلم عكرمة وصفوان أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل واحدة منهما عند زوجها على النكاح الأول .

وقالت أم هانئ بنت أبي طالب وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر إلى رجلان من أمهات من بني مخزوم فدخل على أخى على بن أبي طالب فقال : والله لأقتلنهما فأغلقت عليهما بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جنة إن فيها لأثر للمعجن وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشع به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلى فقال : مرحبا وأهلا يا أم هانئ ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر على فقال : قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وأمنا من أمنت فلا يقتلنهما .

قال ابن هشام : ما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية ابن النخيرة .

[الرسول يدخل البيت]

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته ليستلم للركن بمحجن في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيذان فكسرها بيده ثم وقف على باب الكعبة فقال :

« لا إله إلا الله ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ،
الآن كل مأثرة أو دم أو مال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة
البيت وسقاية الحاج ، الآن وقيل الخطأ شبه^(١) للتمذ السوط والعضا
ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها ، يامعشر
قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظفها بالآباء ، الناس
لآدم وآدم من تراب . ثم تلا هذه الآية :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
ليتعرفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير^(٢) » .

ثم قال : يامعشر قريش ماترون أنى فاعل فيكم^(٣) ؟ قالوا : خيرا
أخ كريم وابن أخ كريم . ثم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء^(٤) .

(١) الطبرى : مثل الممد .

(٢) سورة الحجرات ١٣ .

(٣) الطبرى : بكم .

(٤) قال الطبرى : وقد كان الله أمكم من رقابهم عنوة ، وكانوا له بيتا ، فبذلك يسمى

أهل مكة الطلقاء .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له فقال : «هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برّ ووفاء . ثم قال لعلي فيما حكى ابن هشام : «إنما أعطيتكم ما تُرْزَأُون لا ما تَرْزَأُون»^(١) .

وذكر ابن عثمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى طوافه نزل فأخرجت الراحلة فركع ركعتين ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها وقال : «لولا أن يُنقلب بدو عبد المطلب على سقايتهم انزعّت منها يدي» . ثم انصرف إلى ناحية المسجد قريباً من مقام إبراهيم وكان اللقّام لا صقاً بالكعبة فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا بسجل من ماء فشرب ونوضاً للمسلمون يبتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم والمشركون ينظرون إليهم ويمجبون ويقولون : ما رأينا مَلِكاً قط بلغ هذا ولا سمعنا به !

وذكر ابن هشام أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الافتتاح فرأى فيه صور الملائكة ، فرأى إبراهيم مصوراً في يده الأُزلام يستقسم بها فقال : «قاتلهم الله ! جعلوا شيخنا يستقسم بالأُزلام !؟ ما شأن إبراهيم والأُزلام ؟ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حقيقاً مسلماً وما كان من المشركين»^(٢) . ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

(١) أي أعطيتكم السقاية التي تحتاج إلى مؤن ، ولم أعطكم السدانة التي يرزأ لها الناس بالبعث إليها يعني كسوة البيت .

(٢) سورة آل عمران ٦٧ .

وعن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص فجعل النبي يشير بقضيب في يده إلى الأصنام وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ^(١) » فإشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي صنم إلا وقع . فقال تميم بن أسد الخزاعي :

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو للثواب أو العقاب

[من معجزات الرسول]

وأراد فضالة بن عُمير بن الملوّح اللبثي قتلَ للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله . قال : ماذا كنت تحدث نفسك ؟ فقال : لا شيء كنت أذكر الله . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : استغفر الله . ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه . فسكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحبّ إلىّ منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهل فررت بامرأة كنت أحدث إليها فقالت : هلم إلى الحديث . فقلت لا . وانهمت فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يَا بَنِي حَلِيكَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ

أَوْ مَارَاتِ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكْسَرُ الْأَصْنَامُ
لَرَأَيْتِ دِينَ اللَّهِ أَنْحَى بَيْنَنَا وَالشُّرْكَ يَفْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل للكعبة عام الفتح بلالا أن يؤذن ، وكان دخل معه ، وأبو سفيان بن حرب وعقّاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء للكعبة فقال عقّاب : لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه مُحَقَّقٌ لاتبعته . وقال أبو سفيان : لا أقول شيئا لو تكلمت به لأخبرته عنى هذه الحصباء . فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : قد علمتُ الذي قلتم ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعقّاب : نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحدٌ كان معنا فنقول أخبرك .

[الرسول والأنصار]

وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة على الصفا يدعو وقد أحذقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أنزول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده بقيم بها .

فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال : معاذ الله ! الحيا تحياكم والمات مماتكم^(١) .

[حرمة مكة]

وعدت خزاعة للفدّ من يوم الفتح على رجل من هذيل يقال له ابن

(١) حديث الأنصار هذا يوم الفتح رواه الإمام أحمد في مسنده وسام والنسائي .
انظر سيرة ابن كثير ٥٨١/٣ .

الأثوع فقتلوه وهو مشرك برجل من أسلم يقال له أحرّ بأساً^(١) وكان رجلاً شجاعاً وكان إذا نام غطّ غطيظاً مُنْكَراً لا يحفى مكانه فكان يبيت في حية مُتَنَزّاً^(٢) ، فإذا بيّت الحى صرخوا : يا أحرّ . فيثور مثل الأسد لا يقوم لسبيله شيء . فأقبل عنزى من هذيل يريدون حاضره ، حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلي : لا تمجلوا حتى أنظر فإذا كان في الحاضر أحرّ فلا سبيل إليهم فإنّ له غطيظاً لا يحفى . فاستمع فلما سمع غطيظه مشى إليه حتى وضع للسيف في صدره ثم تحامل عليه حتى قتله . ثم أغاروا على الحاضر فصرخوا : يا أحرّ ولا أحرّ لهم ! فلما كان الغد من يوم الفتح أتى ابن الأثوع الهذلي حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس وهو على شركه فرأته خزاعة فعرفوه فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدر مكة يقولون أنت قاتل أحرّ ؟ قال : نعم أنا قاتل أحرّ فمه . إذ أقبل خِرَاش بن أمية مشتملاً على السيف فقال : هكذا عن الرجل . قال بعض من حضرهم : ووالله ما نظن إلا أنه يريد أن يفرّج الناس عنه ، فلما تفرّجوا حمل عليه فطعمه بالسيف في بطنه ، فوالله لسكراني أنظر إليه وحشوته^(٣) نسيل من بطنه وإن عيفيه لترتقان^(٤) في رأسه وهو يقول : أقد فعلتموها يا معشر خزاعة ! حتى انجمف^(٥) فوقع .

(١) أحرّ بأساً : اسم مركب كتأبط شراً .

(٢) متنزّاً : متنجساً في جانب .

(٣) الحشوة : ما في البطن .

(٤) ترتقان : تتحركان .

(٥) انجمف : صرع .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ما صنع خراش بن أمية : « إن خراشاً لقتال » . يعنيه بذلك . وقام صلى الله عليه وسلم في الناس خطيباً فقال : « يا أيها الناس إن الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام من حرام [الله] ^(١) إلى يوم القيامة ، فلا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينفك فيها دماً ولا يعضد فيها شجراً ، لم يحلّ لأحد كان قبلي ولا تحلّ لأحد يكون بعدي ، ولم تحلّ لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ؛ ألا تمّ قد رجعت كحرمتها بالأمس فليباغ للشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله قد قاتل . فقولوا : إن الله قد أحلّها رسوله ولم يحلّها لكم . يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل إن نفع ^(٢) لقد قتلتم قتيلاً لأديبه ؛ فمن قُتل بعد مقامى هذا فهم بخير اللطيرين إن شاءوا فدم قاتله وإن شاءوا فعقوله » .

ثم ودّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتل خزاعة وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقهر الصلاة . وكان فتحها لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان .

[ما قيل من الشعر]

وكان ما قيل من الشعر في فتح مكة قول حسان بن ثابت ، وذكر ابن هشام أنه قالها قبل الفتح :

(١) من ابن كثير . السيرة ٣/ ٧٩ .

(٢) ابن هشام : فلقد كثر إن نفع .

هَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاهِ إِلَى عَذْرَاءٍ مِنْهَا خَلَاةٌ^(١)
 دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسَنِاسِ قَفَرٌ تَمْفِيهَا الرُّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ^(٢)
 وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيْسٌ خِلَالِ مَرْوَجِهَا نَعْمَ وَشَاهِ
 فَدَعِ هَذَا وَلِسْكَنَ مَنْ لَطِيفِ يَوْزُقِي إِذَا ذَهَبَ الْمِشَاهِ
 أَشْعَنَاءُ الَّتِي قَدْ تَيَمَّمَتْهُ فَلَيْسَ لِقَابِهِ مِنْهَا شِفَاهِ
 كَانَ سَيِّئَةً^(٣) مِنْ بَيْتِ رَأْسِ بَكُونِ مِزَاجِهَا عَسَلٌ وَمَاهِ
 إِذَا مَا الْأَشْرَبَاتِ ذُكِرْنَ يَوْمًا فَهِيَ لَطِيبُ الرَّاحِ الْفِسَاهِ
 نَوَائِيهَا لِلْسَّلَامَةِ إِنْ أَلَمْنَا إِذَا مَا كَانَ مَفْتُ أَوْ إِجَاهِ^(٤)
 وَنَشْرِبُهَا فَتَقْرِكُنَا مَسْلُوكَا وَأَسْدًا مَا يُفْتَنُهَا^(٥) الْاِقْسَاهِ
 عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تَثِيرُ النَّقْمِ مَوْعِدَهَا كَكْدَاهِ
 بِنَازَعِنِ الْأَعْنَةَ مُصَفِّيَاتِ عَلَى أَكْدَافِهَا الْأَسْدُ^(٦) الْظَلَاهِ
 تَظَلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتِ يَلْطَمُنَ بِالْخُمْرِ الْاِنْسَاهِ^(٧)

(١) الجواه والعذراء : مواسم بالتمام .

(٢) الروامس : الرياح . والسماه : المطر .

(٣) السيئة : الخمر . ورواية ابن هشام : كَأَنَّ خَبِيثَةً . وهي كذلك عند ابن كثير

٣ / ٥٨٧ .

(٤) أَلَمْنَا : فَعَلْنَا مَا اسْتَجَبَ عَلَيْهِ الْاَوَامُ . وَلَفَتْ : الضرب بايدي . والاحاء : الملاحة

بالسان .

(٥) يَفْتَنُهَا : يَرْدُنَا وَمَعْتَمَا .

(٦) كَذَا بِالْأَصْلِ . ورواية ابن هشام : الْأَسْلُ الْظَلَاهِ . وَالْأَسْلُ : الرماح .

(٧) مَتَمَطَّرَاتِ : مَسَرَّعَاتِ : تَطْلُرُ الْعَرَسُ مَطَرًا وَمَطُورًا : أَسْرَعَ . وَيَلْطَمُنُ : اِمَامًا
 مِنْ اِطْمَ يَتَمَعَّى مَرَبَ . وَالْخُمْرُ : حِمٌّ حَارٌّ وَهُوَ مَا تَقَطَّى بِهِ لِلرَّأَةِ رَأْسُهَا . قَالَ السَّهْلِيُّ :
 وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي الْجَهْرَةِ : كَانَ الْخَلِيلُ رَحْمَةً لِقِيَامِ بَيْتِ حَسَّانَ : « يَلْطَمُنَ بِالْخُمْرِ » ،
 وَيُسَكَّرُ « يَلْطَمُنَ » وَيَجْمَعُهُ بِمَعْنَى : يَمُضُّ الْمَسَاءَ بِمُحَرَّمٍ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ غُبَارٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

فإِذَا تُعْرَضُوا عِنَّا اعْتَمِرْنَا	وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْفُطْلَانُ
وإِلَّا فَاصْبِرُوا لِحُلَاكِ يَوْمٍ	بِعِزِّ اللَّهِ فِيهِ مِنْ إِشَاءِ
وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا	وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاةُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أُرْسِلْتُ عَبْدًا	يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صِدْقُوه	فَقُلْتُ : لَا تَقُومُ وَلَا نِشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ بَسُرْتُ جُنْدًا	هَمُّ الْأَنْصَارِ عُرْضَتَهَا الْإِقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدَّةٍ	سَبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنَحْنُكُمْ بِالْقَوَائِي مِنْ هِجَانَا	وَنَضْرِبُ حِينَ نَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ
إِلَّا أَبْلُغْ أَبَا سَفْيَانَ عَنِّي	مُخَلَّلَةً ^(١) فَقَدْ بَرَّحَ الْخِفَاءُ
هَجُوتَ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَفَا	وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفَاءِ	فَشَرُّهُ كَمَا تَلْخِيْرُ كَمَا الْفِدَاءُ
هَجُوتَ مَبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا	أَمِينَ اللَّهِ شَيْمَتَهُ الْوَفَاءُ
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ	وَيُعِدُّهُ وَيَنْصُرُهُ سِوَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي	لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
لِسَانِي صَارَمٌ لَا غَيْبُ فِيهِ	وَيَحْزَنِي لَا تَسْكُدُّهُ الدَّلَاءُ

وقول ابن هشام : إن حسان قال هذا الشعر قبل الفتح ظاهر في غير
 ما شيء من مقتضياته ، ومن ذلك : مقاولته لأبي سفيان وهو ابن الحارث بن
 عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أسلم قبل الفتح في

طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة كما تقدم .

وكذلك ذكر ابن عتبة أن حسان قاله في تخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة نظر إلى النساء يلطمن الخليل بالجر فالتفت إلى أبي بكر فتبسم لقول حسان في ذلك :
يلطمن بالجر النساء .

* * *

وقال أنس بن زعيم الدبلي يمتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي :

أنت الذي تهدي مَعْدًا بأمره	بل الله يهديهم وقال لك أشهد
وما حملت من ناقةٍ فوق رَحْلها	أبرّ وأوفى ذمةً من محمد
أحسّ على خير وأسبغ نائلا	إذا راح كالسيف الصّاعق المهد
وأكسى أبْرَد الخال قبل ابتذاله	وأعطى رأس السابق المتجرّد ^(١)
تعلم رسول الله أنك مُذكرى	وأن وعيدًا منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادرٌ	على كل صِرْمٍ مُتهمين ومُجِد ^(٢)
تعلم بأن الرّكب ركب عُوَبر	هم للكاذبون المُخلفوا كلّ مؤعِد
وأنبؤا رسول الله أنى هجّوته	فلا حملت سوطى إلى إذا بدى

(١) الخال : ضرب من برود البين ، وهو من ربيع الثياب . والسابق المتجرّد : الفرس السريع المشيط .

(٢) الصرْم : الطائفة من البيوت . والمُتهم : من نزل تهامة . والمنجد : من نزل نجداً .

سوى أننى قلت وبلم فتية أصيدوا بنحس لا يطوبأسعد^(١)
ذوب وكثوم وسلى تقابوا جميعاً فإن لا تذمع الدين أكرم
أصابهم من لم يكن لدمائهم كفاء فمزت عبرى وتبلى

وقال يحير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح :

نقى أهل الحبلق كل فج مزينة غدوة وبلو خفاف^(٢)
ضرباهم بمكة يوم فتح النسي الخير بالبيض الخفاف
صبتهم بسبع من سليم وألف من بنى عمان وإف
نظاً أكتافهم ضرباً وطعنا ورشقا بالريشة^(٣) اللطاف
نرى بين الصفوف لما حافية

كما انصاع الفواق من الرصاف^(٤)

فرحنا والجياد تجول فيهم بأرماح مقومة النفاف
فأبنا غامدين بما اشتبهنا وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله مئاً موائيقا على حسن التصافى

(١) النحس : ضد السعد . واللائط : اللاصق لللازم . والأسعد : شاق كالجرب يأخذ
البعير فيهرم منه .

هنا ورواية البيت فى ابن هشام والروى وابن كثير :

أصيدوا بنحس لا بطلق وأسعد

ولعل رواية الكلعي أسوب وأوضح .

(٢) الحبلق : أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . والحباق أيضاً : الغنم الصغار .
وامله أراد أصحاب الغنم .

(٣) الريشة : السهام فيها الريش .

(٤) انصاع : ذهب . والفواق : قال السهيلي : أراد به الفوق وهو غريب . والرصاف :
جم رصفة وهى العقبة التى تلوى فوق مدخل سنخ النصل فى السهم .

وقد سمعوا مقاتلتهم فهُمْوَا غداةَ الرّوعِ منها بانصرافِ

* * *

وقال عباس بن مرداس السلمي في فتح مكة :

مِنَا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحَ مُحَمَّدٍ أَلْفٌ نَسِيلٌ بِهِ الْبَطَاحُ مُسَوِّمٌ
نَصَرُوا الرِّسُولَ وَشَاهَدُوا أَيَّامَهُ ^(١)

وشعارهم يوم اللقاء مقدّم
في منزل ثبتت به أقدامهم
جرت سداً بكها بجعد قبلها حتى استماد لها الحجاز الأذم ^(٢)
الله مكنته له وأدله حكم السيوف أبا وجده مزحم ^(٣)
وقال نَجِيدُ بنِ هِمْرَانَ الخِزَاعِي:

وقد أنشأ الله للسحاب بمصرنا رُكَّامَ سَحَابٍ لَمْ يَنْدُبِ الْمَتْرَاكِيبُ ^(٤)
وهجرتنا في أرضنا عدونا بها كتاب أنى من خير ممل وكاتب
ومن أجلا حلت بمكة حرمة ادرك نأراً بالسيوف القواضب

(١) رواية ابن كثير : وشاهدوا آياته .

(٢) الهام : الروس . والختم : البطال .

(٣) رواية ابن كثير : حتى استقام لها .

(٤) المزحم : الغالب .

(٥) الميذب : القريب .

[سرية خالد بن الوليد وما وقع فيها]

ولما فتح الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث السرايا فيما حولها يدعو إلى الله ، ولم يأمرهم بقتال .

وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب ، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة . فلما رآه القوم أخذوا للسلح ، فقال خالد : ضموا السلاح فإن الناس قد أسلموا . فقال رجل منهم يقال له جعدهم : ويلسكم يا بني جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار ، وما بعد الإِسار إلا ضَرْب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبدا . فأخذهم رجال من قومه فقالوا : يا جعدهم أنريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضع الحرب وأمن الناس فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ووضع القوم السلاح لقول خالد .

فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكثفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم . وقال لهم جعدهم حين وضعوا سلاحه ورأى ما يصنع بهم : يا بني جذيمة ضاع الضرب ! قد كدت حذرتكم ما وقعتم فيه .

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ثم قال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل انقلت منهم فأتاه بالخبر : هل أنكر عليه أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض رُبْمَة^(١) فنهّمه خالد فسكت عنه ، وأنسكر

(١) الرُبْمَة : بين الطويل والقصير . ونهّمه : زجره .

عليه رجل أحر مضطرب فراجعه فاشتدَّت مراجعتهما . فقال عمر بن الخطاب أما الأول يا رسول الله فابني عبد الله ، وأما الآخر فسلم مولى أبي حذيفة .

و ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رأيتُ كأنى أقمْتُ أقمَةً من حَيْسٍ فالتذذْتُ طعمها فاعترض في حَلْقِي منها شيء حين ابتلعته فأدخل على يده فنزعه » . فقال أبو بكر : هذه سرية من سراياك تبعها فيأتوك منها بعضٌ ما تحبُّ ويكون في بعضها اعتراض فتبعث علياً فيستلمه .

ثم لما كان من خالده في بني جذيمة ما كان دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب فقال : « يا على اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمرَ الجاهلية تحت قدميك » . فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فودى لهم الدماء وما أصيب من الأموال حتى إنه ليدي لهم مِيلةً للكلب ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال فقال لهم على حين فرغ منه : هل بقي دمٌ أو مال لم يودَ لكم ؟ قالوا : لا قال فإني أعطيتكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يعلم ولا تعلمون .

[ففعل^(١)] ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال أصبَتْ وأحسنْتَ .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى

إنه يُرى ما تحت منكبيه يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات .

وقد قال بعض من يعذر خالداً : إنه قال : ما قاتلتُ حتى أمرتُ بذلك عبدُ الله بن حذافة السهمي وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن نقاتلهم لا متفاعهم من الإسلام .

وحدث ابن أبي حدرّد الأسلمي قال :

كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد فقال لي فتى من بني جذيمة وهو في سبي وقد جمعت يداه إلى عنقه برمة^(١) ونسوة^(٢) مجتمعات غير بعيد منه يافتي . قلت : ما نشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمة فقايدى إلى هؤلاء النسوة حتى أقضى إليهن حاجة ثم تردني بعد فتصهروا بي ما بدا لكم ؟ قال

(١) ذكر الإمام أحمد في رواية له أن خالد بن الوليد دعاه بن جذيمة إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولون : أسلمنا . فجعلوا يقولون : صبياناً صبياناً ! وخالد يأخذهم أسراً وقتلاً .

كما ذكر ابن إسحق أنه كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف - فيها بلغة - كلام في ذلك فقال له عبد الرحمن : عمت بأمر الجاهلية في الإسلام ؟ فقال : إنما تأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ! قد قتلت قاتل أبي ، ولكنك تأرت لعمك الفاكه بن المغيرة . حتى كان بينهما شر . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مهلاً يا خالد ! دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أفتته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته » .

قال ابن كثير : « والمظنون بسكل منهما - أي خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - أنه لم يقصد شيئاً من ذلك وإنما يقال هذا في وقت المحاصرة ، فإنما أراد خالد بن الوليد نصرة الإسلام وأهله ، وإن كان قد أخطأ في أمرهم واعتقد أنهم ينتقمون الإسلام بقولهم صبياناً صبياناً . ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا » .

(٢) الرمة : الحبل .

قلت : والله ليسير ما طلبت . فأخذت برُمته بها حتى أوقفته عليهن فقال ؛
اسلمني حُبَيْش على نَفَد^(١) العيش .

أربئك إذ طالبتكم فوجدتكم بحليلة أو أفتيتكم بالخوانق^(٢)
الم بك أهلاً أن يُتَوَلَّ عاشقٌ

نكَلَفَ إدلاجَ السُّرى والودائع^(٣)
فلا ذَنْبَ لى قد قلتُ إذ أهْلنا معاً

أُثْبِي بودَ قبل إحدى الصَّفائِقِ^(٤)
أُثْبِي بودَ قَبْلَ أن تشحطَ للنوى^(٥)

ويَدأى الأميرُ بالحبيبِ المفارقِ^(٦)

فَقالت : وأنت لخيئت سَبْعاً وعَشْراً وِتراً وعَمانياً تَتَرى . قال : ثم
انصرفتُ به ففُتِرَت علقه . فحدث من حضرها أنها قامت إليه حين ضُرِبَتْ
علقه فما زالت تقبله حتى ماتت عده .

وخرُجَ النسائي هذه القصة في مصنفه في باب « قتل الأسارى » من
حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سريةً فقدموا وفيهم رجل
قال : إني لست منهم عشقت امرأة فلحقها فدعوني أنظر إليها نظرةً ثم اصدموا

(٣) ت : قبل نفد العيش . وى ابن هشام (ط الحلى) : على نفد من العيش . والنقد :
الفناء والذهاب والانتضاء .

(٤) سالية والموانق : موضعان بتهامة .

(٥) السرى : سير عامة الليل . والودائع : جمع وديقة وهى شدة الحر فى نصف النهار .

(٦) الصفائِق : الدوامى .

(٧) تشحط : تبعد .

(٨) ذكر ابن هشام بيتين بعد هذا البيت .

بى ما بَدَا لَكُمْ . قال فإذا امرأة طويلة أذماء فقال . اسلمى حُبَيْش على نَفْدِ
العيش وذكر بعض الشعر المتقدم وبعده : قالت : نعم فَدَيْتُكَ . قال فقدّموه
فغضبوا عنقه فجاءت المرأة فوقفت عليه فشبهت شهقة أو شهقتين ثم مات ،
فلما قدّموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فقال صلى الله عليه
وسلم : « أما كان فيكم رجل رحيم ! » .

[هدم العزى]

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى وكانت
بمخلة ، وكان بيتاً تعظمه قريش وكرانه ومُضر كلها ، وكان سدّتها وحجّابها
بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها للشلمى بسير خالد
إليها علّق عليها سيفه وأسفد في الجبل الذي هو فيه وهو يقول :

ياعزّ شُدّي شدة لا شوى^(١) لما على خالد ألقى القمّاع وشمري
يا عزّ إن لم تقتل المرء خالداً فبؤنى بأنم عاجلٍ أو تنصري
فلما انتهى إليها خالد هدمها . ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢)

(١) الشوى : أن يصيب غير المقاتل ، يريد : أنها لا تبقى على شيء .

(٢) وكان هدم العزى - كما قال الطبري - لخمس بقين من رمضان سنة ثمان .

غزوة حنين

ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النضري^(١) فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نضر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل ، ولم يشهدوها من قيس عيلان إلا هؤلاء . وفي بني جشم دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ شَيْخٌ كبير ليس فيه شيء إلا التَّيْمَنُ برأيه ومعرفة بالحرب ، وجماعُ أُمِّ النَّاسِ إلى مالك بن عوف . فلما أجمع السيرَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حَطَّ مع النَّاسِ أَمْوَالُهُمْ ونِسَاءَهُمْ وأَبْنَاءَهُمْ ، فلما نزل بأوطاس جتمع إليه النَّاسُ وفيهم دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فِي شَجَارٍ^(٢) لَهُ يُقَادُ بِهِ . فلما نزل قال : في أيِّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم بحال الخليل لَأَحْزَنُ مَرْنَسٍ وَلَا سَهْلَ دَهَسٍ^(٣) مَالِي أَسْمَعُ رِغَاءَ الْبَعِيرِ وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ وبكاء الصَّغِيرِ وَيُعَارِ الشَّاءُ ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ ونِسَاءَهُمْ وأَبْنَاءَهُمْ . قال : أين مالك ؟ فدُعِيَ لَهُ فَقَالَ : يَا مَالِكُ إِنَّكَ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ ، وَإِنْ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، مَالِي أَسْمَعُ رِغَاءَ الْبَعِيرِ وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ وبكاء الصَّغِيرِ وَيُعَارِ الشَّاءُ ؟ قَالَ : سَقَتْ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ ونِسَاءَهُمْ وأَبْنَاءَهُمْ أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَهْلَهُ وَمَالَهُ لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ قَالَ : فَأَنْقَضَ^(٤) بِهِ وَقَالَ^(٥) : رَاعِي ضَائِنِ اللَّهِ وَاهِلِ بَرْدِ الْمَنْهَزِمِ شيء ؟

(١) ت: النضري . عرفة .

(٢) الشجار : مركب شبه الهودج .

(٣) الحزن : ما غلظ من الأرض . والضرس : الحش . والدهس : اللب .

(٤) انقض به: زجره .

(٥) ابن هشام والطبري : ثم قال .

لإنها إن كان لك لم ينفكك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك
فُضحتَ في أهلك ومالك .

ثم قال : ما فعلتُ كعبٌ وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدا منهم أحد . قال :
غاب الحدوُّ والجذوُّ أو كان يومَ علَاء ورفعة لم تقب عنه كعب وكِلَاب ،
لَوَدِدْتُ أنكم فعلتم ما فعلتُ كعب وكلاب ، فن شهدا معكم ؟ قالوا :
همرو بن عامر وعوف بن عامر . قال : ذاك الجذعان^(١) لا ينفعان ولا
يَصْرَّان يا مالك إنك لم تصنع بتقديم بيضة هَوازن إلى نحور الخليل شيئاً
أرفعهم إلى مُتَمَنِّعٍ بلادهم وعَلْيَاء^(٢) قومهم ثم للق للثُبَاء^(٣) على مُتُون الخليل
فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك أفساك ذلك وقد
أحرزت أهلك ومالك .

قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرتَ وقد كبر عقلك^(٤) والله أتعطيمتني
يا ممشر هَوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن
يكون له دُرْبٌ فيها ذكر أو رأى ، قالوا : أطلقناك .

فقال دريد : هذا يومٌ لم أشهده ولم يفتني .
[يا ليتني]^(٥) فيها جَذَعُ أَخْبُ^(٦) فيها واضعُ

(١) الجذع : الشاب الحدث .

(٢) ابن هشام والطبري : وعلياً قومهم .

(٣) يريد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

(٤) الطبري : وقد كبر عقلك .

(٥) سقطت من ت .

(٦) أخب : أسرع .

ثم قال مالك للباس : : إن رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم
شدوا شدة رجل واحد .

وبعث مالك بن عوف عيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم
فقال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلى والله
ما تمانسكننا أن أصابنا ما نرى .

فوالله ما ردّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

ولما سمع بهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبد الله بن أبي حذرد
الأسلمى وأمره أن يدخل في القاس ويقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم
فانطلق ابن أبي حذرد فدخل فيهم حتى سمعهم علم ما قد أجمعوا عليه من حرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمره موازن ما هم له ^(١)
ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر .

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ذكر له أن عدد
صفوان بن أمية أذراعا وسلاحاً فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : يا أبا أمية
أعزنا سلاحك هذا نأق فيه عدونا غداً فقال صفوان : أعصبا يا محمد ؟ فقال :
بل عارية مضمونة حتى تؤديها إليك قال : ليس بهذا بأس . فأعطاه مائة درع
بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم
سلاحاً ففعل .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامداً لحلين معه ألفان من

(١) ت : يا أم عليه .

أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفا .

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين فصل من مكة إلى حنين ورأى كثرة من معه من جنود الله : « انْ تَلَبَّ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ » . وزعم بعض الناس أن رجلا من بني بكر قالما .

واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتّاب بن أسيد بن أبي العيص ابن أمية بن عبد شمس على مكة أميرا على من تخلف عنه من الناس .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن .

قال ابن عتبة : وكان أهل حنين يظنون حين دنا منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعني في توجهه إلى مكة — أنه بادي بهم ، وصنع الله لرسوله ما هو أحسن من ذلك ، فتح له مكة فأقر بها عيَّنه وحكبت بها عدوه .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين خرج معه أهل مكة رُكباناً ومشاةً ، حتى خرج معه النساء يمشين على غير دين نظرارا يظفرون ويرجون للغنائم ، ولا يكرهون أن تكون للصدمة . رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وحدث أبو واقد اللّيثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثوا عهد بالجاهلية ، وكانت لسكفار قريش ومن سوام من العرب شجرة خضراء عظيمة يقال لها ذات أنواط . يملقون

عليها أسلحتهم وبذبحون عندها وبمكفون عليها يرما ، قال : فرأينا ونحن
نسير معه سِدْرَةَ خضراء عظيمة فتبادلتنا من جَنَابَات الطريق : اجعل
لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« الله أكبر ! قلتم والذى نفس محمد بيده كما قال قوم موسى : « اجعل لنا
إلهًا كما لهم آلهة » ، قال : إنكم قوم تجهلون » فإنها للسُّنَنِ اتركبن سنن
من كان قبلكم^(١) .

* * *

وحدث جابر بن عبد الله قال : لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا في
وادي من أودية تهامة أجوف حَطُوط إنما نحدرد فيه انحدارا قال : وذلك
في عَمَاة الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي فكلموا لنا في
شِمَابِهِ وأجَنَابِهِ^(٢) ومَضَائِقِهِ ، قد أجمعوا وتهياؤا ، فوالله مارعا ونحن
منحطون إلا الكتائب قد شَدُّوا^(٣) عليها شَدَّةٌ رجل واحد ،
وانشمر^(٤) الناسُ راجعين لا يَلْوِي أحد على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ثم قال : « أيها الناس هلم إلى

(١) روى هذا الحديث الترمذي في صحيحه ، وقال : حسن صحيح ، والنسائي في سننه .
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره وانظر سيرة ابن كثير ٦١٦/٣ .

(٢) ابن هشام والطبري : وأحنائه .

(٣) الطبري : قد شدت .

(٤) اشمروا : فروا وانهزوا .

أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ، قال : فلا شيء ! حلت^(١) الإبل بعضها على بعض وانطلق الناس ، إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، وفيمن ثبت معه من المهاجرين : أبو بكر وعمر ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس وأبو سفيان بن الحارث وابنه والفضل بن عباس وريبعة بن الحارث وأسامة ابن زيد وأيمن بن عُبَيْد وهو ابن أم أيمن قُتل يومئذ .

قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وم خلفه ، إذا أدرك طَمَنَ برمحه وإذا خافه الناس رفع رمحه لمن ورائه فاتبعوه ، فبينما ذلك الرجل يصنع ما يصنع إذ أهوى له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه قال : فيأني علي من خلفه فضرب عُرْقُوبَيْ الجمل فوقع على عَجْزِهِ ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربةً أطن^(٢) قدمه بنصف ساقه فانجحف عن رَحْله .

[المنهزمون]

قال ابن إسحق : فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جُفَاةِ أهل مكة الهزيمة تسكلم رجالٌ منهم بما في أنفسهم من الضَّعْفِ فقال أحدهم : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر . وإنَّ

(١) الطبرى : احتملت الإبل بعضها بعضا .

(٢) أطن : أطار .

الأزلام لعله في كِنَانَتِهِ . وصرخ آخر منهم : أَلَا بَطَلُ السَّحَرِ الْيَوْمَ !
فقال له صفوان بن أمية وهو يومئذ مشرك في المدة التي جَمَلَ له رسول
الله صلى الله عليه وسلم : اسكت فضَّ الله فاك ! فوالله لأنَّ يَرْبِيَّ (١)
رجلٌ من قريش أحبُّ إلى من أن يربي رجلٌ من هَوَازِل .

وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار وكان أبوه
قُتِلَ يوم أحد : قلت : اليوم أدرك ثأري لليوم أقتل محمدا . قال فأدَّرتُ
برسول الله لأتقتله فأقبل شيء حتى تفشَّى فؤادى فلم أطلق ذلك وعلت
أى مملوع منه .

وذكر ابن أبي خيثمة حديث شيبة هذا ، قال : لما رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم يوم حنين أغرَى (٢) ذَكَرْتُ أبى وعى قتلهما حمزة ،
قلت : اليوم أدرك ثأري في محمد (٣) . فجئته عن يمينه فإذا أنا بالعباس
قائماً عليه دِرْعٌ بيضاء ، قلت : عمه ان يخذله . فجئته عن يساره فإذا أنا
بأبي سفيان ابن الحارث ، قلت : ابن عمه ان يخذله ، فجئته من خلفه فدَنُوتُ
ودنوت حتى لم يبق إلا أن أسوِّرَ سَوْرَةَ (٤) بالسيف فرفع إلى شَواظِ من
نار كأنه للبرق فكسعت على عقبي للقمقري . فالتفت رسولُ الله صلى

(١) يربي : يمسكى .

(٢) أغرى : تفرق الناس من حوله . ورواية ابن كثير عن البيهقي : قد غرى .
ووث : أغرى . معرفة .

(٣) رواية البيهقي : من محمد .

(٤) أسوِّر : أنب . وعبد ابن كثير : أساوره سورة .

الله عليه وسلم فقال : يا شيبه اذنه . فدنوتُ فوضع يده على صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي فرفعت إليه بصرى فلهو أحب إلى من سمى وبصرى فقال لي : يا شيبه قاتل الكفار . فقاتلت معه صلى الله عليه وسلم .

[نداء للعصر]

وحدث العباس بن عبد المطلب قال : إني سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بحسكته^(١) بغلقه البيضاء قد شجرتها^(٢) بها وكنت امرأاً جسيماً شديد الصوت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى مارأى من أمر الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يلبون على شيء فقال : يا عباس اصرخ : يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السمرّة . قال : فأجابوا : لبّيك لبّيك . قال : فيذهب الرجل ليثنى بعيره فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه ونرسه ويقفح عن بعيره ويحلى سبله فيؤمّ الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا ، فكانت الدعوى أول ما كانت للأنصار^(٣) ثم خلصت أخيراً للخزرج وكانوا صُبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه فنظر إلى مُجْتَئِدِ القوم فقال : الآن حَيَّ الوَطِيس .

(١) الحسكة : ما أحاط بجنى الفرس ونحوه .

(٢) شجر الدابة : ضرب لجامها فيكفها حتى فتحت فاهها .

(٣) ت : بالأنصار .

قال جابر بن عبد الله في حديثه : واجتَلَدَ للنَّاسُ ، فوالله ما رجعتُ راجعةً للنَّاسِ من هزيمتهم حتى وجد والأَسارى مكتفين عدد رسول الله صلى الله عليه وسلم !

قال : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن الحارث وكان حسنَ الإسلامِ وعن صبرٍ يومئذٍ معه وهو آخذٌ بثَقَرٍ^(١) بقلته فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابن أُمك يا رسول الله .

وذكر ابن عتبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غَشِيَهُ القتال يومئذٍ قام في الرَّكَّابِينَ وهو على البَغْلَةِ . ويقولون نزل . فرفع يديه إلى الله يدهوه يقول : اللهم إني أُنشِدُكَ ما وعدتني ، اللهم لا يَنْبِئُنِي لِمَ أن يظهرُوا علينا . ونادى أصحابه فذَمَّرَهُمْ^(٢) : يا أصحابَ الْبَيْتَةِ يومَ الْحُدَيْبِيَةِ ، يا أصحابَ سورة البقرة ، يا أنصارَ الله ورسوله يا بني الخُزْرجِ . وقبض قبضةً من الحَصَبِاءِ فحصب بها وجوهَ الْمُشْرِكِينَ ونواحيهم كلها . وقال : شأنت الوجوه . فهزم الله أعداءه من كل ناحية حَصَبَهُمْ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتبعهم المسلمون يقاتلونهم وغَنَمَهُمُ الله أنساءهم وذُراريهم وشاهمهم وإبلهم ، وفر مالك بن عوف حتى دخل حصن اللطائف في ناس من أشرف قومه .

(١) الثغر : السير في مؤخر السرج .

(٢) الأصل : و الراكبتين . وما ألبته من سيرة ابن كثير ٦٢٦/٣ نقلًا عن ابن عتبة .

(٣) ذمَّهم : حَضَمَهُمْ على القتال .

وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة وغيرهم حين رأوا نصر الله ورسوله^(١) وإعزاز دينه .

وحدث جُبَيْر بن مُطْعَم قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجَاد^(٢) الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت فإذا نمل أسود مَبْثُوث قد ملأ الوادي ولم أشك أنها الملائكة ، فلم تكن إلا هزيمة القوم .

[شجاعة أم سليم]

واللتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فرأى أم سُلَيْم بنت مِلْحَانَ ، وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي حازمة وسطها بُرْد لها ولأنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعها جمل أبي طلحة قد خشيت أن يَمَزَّها^(٣) فأدنت رأسه منها فأدخلت يدها في خِزَامَتِهِ مع الخطام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أم سُلَيْم !

قالت : نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين يهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفى الله يا أم سُلَيْم .

وقال لها أبو طلحة : ما هذا الخبيجر يا أم سليم ؟ الخبيجر رآه عندها .

(١) الرواية عند ابن كثير : حين رأوا نصر الله ورسوله وإعزاز دينه . السيرة ٤/٦٢٦

(٢) البجَاد : كساء من صوف .

(٣) يمزها : يظلبها أو يفلت منها .

قالت : خابجر اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بمحبته^(١) به .
فقال أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم !

* * *

وحدث أنس أن أبا طلحة استلب وحده يوم حنين عشرين رجلا .

وقال أبو قتادة : رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان مسلما ومشركا ،
فإذا رجل من المشركين يريد أن يُمين صاحبه المشرك على المسلم فأتيته
فضربت يده فقطعتها واعتنقني بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلني حتى
وجدت ریح الدم . ويروي : ریح الموت . فلولا أن الدم نزفه لقتلني ،
فسقط فضربته فقتلته وأجهضني^(٢) عنه القتال . فلما وضعت الحرب
أوزارها وفرغنا من القوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل
قتيلا فله سلبه . فقلت : يا رسول الله والله لقد قتلت قتيلا ذا سلب
فأجهضني عنه القتال فما أدري من استلبه . فقال رجل من أهل مكة :
صدق يا رسول الله فأرضه عنى من سلبه . فقال أبو بكر : لا والله
لا نرضيه منه نَعَمَد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تُقاسمه
سلبه ! اردد عليه سلب قتيله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
صدق اردد عليه سلبه .

(١) بمحبته : شقيقته .

(٢) أجهضني : عليي وأبعدني

قال أبو قتادة : فأخذته معه فبعته فاشترت بشده مِخْرَقاً^(١) فإنه لأول مال اعتقدته^(٢) .

[هزيمة المشركين]

ولما انهزمت هوازن استعرجوا للقتل من ثقيف في بني مالك ، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم ، منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة ومعه كانت راية بني مالك .

وكانت قبله مع ذى الخمار ، فلما قُتل أخذها عثمان فقاتل بها حتى قُتل ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله قال : أبعد الله عنه ، فإنه كان يُبغض قريشاً . وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس هرب هو وقومه من الأحلاف فلم يُقتل منهم غير رجلين يقال لأحدهما وهب والآخر الجلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجلاح : قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هُنَيْدَة . يعنى الحارث بن أويس .

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة ، وتبعته خييل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك في نخلة من الناس ولم تتبع من سلك الثنايا ، فأدرك ربيعة بن رُفَيْع - وكان يقال له ابن الدغنة وهي أمه غلبت على اسمه

(١) المخرف : السكة بين صفيين من النخل

(٢) كذا : ورواية البخاري ومسلم فإنه لأول مال تأثله

أدرك دُرَيْدَ بن الصَّمَّةِ فأخذ بمخاطم جملته وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه كان في شِجار له ، فأناخ به فإذا شيخ كبير وإذا هو دُرَيْدٌ ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال أنا ربيعة بن رُفَيْع السُّلَمي . ثم ضربه بسيفه فلم يُغن شيئاً فقال : بئس ما سلحتك أمك ! أخذ سيفي هذا من مؤخر الرجل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ ، فإني كذلك كمت أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْدَ بن الصَّمَّةِ فربُّ والله يومٍ قد منعتُ فيه نساءك .

فزعم بدو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته فوقم تكشف فإذا عِجَّانُه^(١) ويطون نخذه مثل القرماس من ركوب الخيل أعراء . فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً .

وقالت عُمَيْرَةُ^(٢) بنت دريد ترى أباه :

قالوا قتلاً دُرَيْدًا قات قد صدقوا فظال دمي على السُّرْبَالِ بَعْدُ^(٣)
لولا الذي قهر الأقوامَ كلهم رأت سليم وكعبٌ كيف بأنمر^(٤)

(١) العِجَّان : ما بين الحصى والدبر .

(٢) ابن هشام : عمرة

(٣) السُّرْبَال : القميص

(٤) ت : بأنمر

[غزوة أوطاس]

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من تَوَجَّه قِبَل
أوطاس أبا عامر الأشعري فأدرك بعضَ المنهزمة فناوشوه للقتال فرُمى
بسهم فقتلَ فأخذَ الراية أبو موسى الأشعري ففتح الله عليه
وهزمهم الله .

ويزعمون أن سلمة بن دُرَيْد هو الذي رمى أبا عامر .

وذكر ابن هشام عن يثيق به أنه أبا عامر الأشعري لقي يوم
أوطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو
عامر وهو يدعوهُ إلى الإسلام ويقول اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامر
ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوهُ إلى الإسلام ويقول :
اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامر ثم جعلوا يحملون عليه رجلاً بعد رجل
ويحمل أبو عامر ويقول ذلك حتى قتل تسعة وبقي العاشر ، فحمل على أبي
عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوهُ إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد
عليه . فقال الرجل : اللهم لا تشهد على . فكف عنه أبو عامر فأفلت
ثم أسلم بعدُ فحسن إسلامه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
رآه قال : هذا شريد أبي عامر .

ورمى أبا عامر يومئذ ، فيما ذكر ابن هشام ، أخوان من بني
جُشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه ، وولى للناس
أبو موسى الأشعري فحمل عليهما فقتلتهما .

وذكر ابن إسحاق أن للقتل استعجراً في بني نصر بن رثاب ، فزعموا
أن عبد الله بن قيس الذي يقال له ابنُ المَوَرَاء وهو أحد بني وهب
ابن رثاب قال : يا رسول الله هلكتُ بدو رثاب فزعموا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجْزُ مَصِيبَتَهُمْ

* * *

وخرج مالك بن عوف عدد المزيمة فوقف في فوارس من قومه على
ثنية من الطريق وقال لأصحابه : قفوا حتى يمضي ضعفائكم وتلتحق آخركم .
فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من مُنْهَزِمة الداس .

قال ابن هشام : وبلغني أن خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثنية
فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوما واضعي رماحهم بين آذان
خيالهم طويلة بَوَادِم^(١) . فقال : هؤلاء بدو سليم ولا بأس عليكم منهم
فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيلٌ أخرى تتبعها فقال
لأصحابه : ماذا ترون ، قالوا : نرى أقواماً عارضى أرماحهم أغفالا على
حيلهم . قال : هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوا
إلى أصل الثنية سلكوا طريق بني سليم ثم اطلع فارسٌ فقال لأصحابه :
ماذا ترون ؟ قالوا : نرى فارساً طويلاً البادٍ واضعاً رمحاً على عاتقه
عاصباً رأسه بملء حراء . فقال : هذا الزبير بن العوام وأحلف باللات
ليخالفكم فاثبتوا له . فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم فصمد
لهم فلم يزل بطاعنهم حتى أراحهم عنها .

(١) كذا والبواد : هم باد ، وهو باطل المخذ .

[أخت الرسول من الرضاعة]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : إن قدرتم على إيجاد رجل من بني سعد بن بكر ، فلا يفلتكم وكان قد أحدث حدثا . فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشَّيَاء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعنفوا عليها في السَّيَاق فقالت للمسلمين : تعلموا والله أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة . فلم يصدقوها حتى أتوا بها النبي صلى الله عليه وسلم فلما انتهوا بها إليه قالت : يا رسول الله إني أختك . قال : وما علامة هذا ؟ قالت : عَصَة عضَّنتُها في ظهري وأنا مُتَوَرِّكُك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال : إذا أحببت فعمدي مُحَبَّةٌ مكرَّمة وإن أحببت أن أمتك وترجى إلى قومك فعلتُ .

قالت : بل تتمنى وتردني إلى قومي . فتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردها إلى قومها . فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما يقال له مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

[ما نزل من القرآن]

وأنزل الله تبارك وتعالى في يوم حنين : « لقد أنصركم الله في مواطن

كثيرة ويوم حُفَيْن إِذْ أُعْجِبْتُمْ كَثَرَتِكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ
عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُذْبِرِينَ . ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى
رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ
جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ^(١) .

[الشهداء]

واستشهد من المسلمين يوم حنين من قريش ثم من بني هاشم : أئمن
ابن عُبَيْد مولاهم . ومن بني أسد بن عبد العُزَّى يزيد بن زَمْعَةَ بن الأسود
ابن الأسود بن المطلب ، جمع به فرس يقال له الجناح فقتل .

ومن الأنصار : سُرَاقَةُ بن الحارث العَجَلَانِي . ومن الأشعرين
أبو عامر الأُمَرِيُّ .

* * *

ثم جمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبأيا حُنين وأموالها
فأمر بها إلى الجِئْرَانَةِ فحبست بها حتى أدركها هنالك مُنْصَرَفَةً عن الطائف
على ما يذكر بعد إن شاء الله تعالى .

[ما قيل من الشعر]

وقال عباس بن مِرْدَاس السُّلَمِيُّ في يوم حنين :

(١) سورة النوبة ٢٥ . ٢٦ .

عَفَا مِجْدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمَتَّالِحُ فِطْلًا أَرِيكَ قَدْ خَلَا فَاَلْمَصَانِعُ^(١)
 دِبَارُ لَنَا يَاجْمَلُ إِذْ جُلُّ عَيْشِهَا رَخِيٌّ وَصَرَفُ الدَّهْرِ لِلْحَيِّ جَامِعُ
 حَبِيبَةِ أَلَوْتُ بِهَا غُرْبَةَ النَّوَى
 كَبِينِ فَهَلْ مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعُ
 فَإِنْ تَبَتَّغَى^(٢) الْكُفَّارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ
 فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ
 دَعَانَا إِلَيْهِ خَيْرٌ وَقَدْ عَلِمْتُمْ^(٣)
 خَزَنَتُمَا وَلِلْمَرَارِ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
 فَجَنَّا بِالْفِ مِنْ سَلِيمٍ عَلَيْهِمُ
 أَبُوسَ لَهُمْ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ رَائِعُ
 نَبَايَسُهُ بِالْأَخْشَبِينَ وَإِنَّمَا يَدُ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ نَبَايِعُ
 فَجَنَّا مَعَ الْمَهْدِيِّ مَكَّةَ عَنُودَ
 بِأَسْيَافِنَا وَالنَّقْعِ كَابٍ وَسَاطِعُ^(٤)
 عَلَانِيَةً وَالْخَلِيلَ يَغْفِي مَتُونَهَا
 حَمِيمٌ وَأَنَّ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ

(١) مجدل ومثال : موضعان . والمطال : يقصر ويمد : مسيل ضيق من الأرض .
 أو الأرض السهلة . وأريك : واد .
 (٢) ابن هشام : فإن يتبع . وفي ت : فإن يتبع . وما أثبتته من ط .
 (٣) كذا في ط . وفي ت وابن هشام : علمتهم .
 (٤) النقع : القبار . والسكابي : العالي . والساطع : المنتشر .

— ٣٤٠ —

ويومَ حَتَّينَ حينَ سارتَ هَوازنُ
 إلينا وضاقتَ بالهفوسِ الأضالِعُ
 صَبَرْنَا معَ الضَّحَّاكِ^(١) لا يَسْتَفْزُنا
 لولا كَخَذَرُوفِ^(٢) السَّحَابَةِ لاسمُ
 عَشِيَةِ ضَحَّاكِ بنِ سَفِيانٍ مُعْتَمِصِ^(٣)
 بِسَيْفِ رَسولِ اللَّهِ ولِلوْتِ كَانِعِ^(٤)
 نَذُودِ أَخانا عَنِ أَخِيلا وَلَوْ نَزَى
 مِصَالًا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ نَتَابِعُ^(٥)
 وَلَكِنَّ دِينَ اللَّهِ دِينُ مُحَمَّدٍ
 رَضِينَا بِهِ فِيهِ اللَّهْدَى وَالشَّرَائِعُ
 أَقَامَ بِهِ بِمَدِّ الضَّلَالَةِ أَمْرَنَا
 وَابِسَ لِأَمْرِ حَمْمِهِ اللَّهُ دَافِعُ

* * *

(١) الضحَّاك : من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم ، سمي به لكثرة تسميه .

(٢) الخذروف . برق لامع في السحاب .

(٣) ت : متمس . عثرة . والمعنى : الضارب .

(٤) الكاتم : القريب .

(٥) يريد أنه من بني سليم ، وسليم من قيس كما أن هوازن من قيس ، والمصال .
 مفعول من الصولة .

وقال عباس أيضا :

تقطع باقى وصل أم مؤمل
بعاقبة واستبدلت نية خلفا^(١)
وقد حلفت بالله لا تقطع النوى^(٢)
فما صدقت فيه ولا برت لاحلفا
خفافية بطن العميق مصيفها
ونحتل في البادين وجرة^(٣) فالعرفا
فإن تتبع الكفار أم مؤمل
فقد زودت قلى على نايها شغفا
وسوف يذبها الخبير باننا
أيننا ولم نطلب سوى ربنا خلفا
وإننا مع الهادى للبنى محمد
وفينا ولم نستوفها^(٤) معشرنا ألفا
بفتيان صدق من سليم أعزة
أطاعوا فما يمشون من أمره حرفا

(١) نية : من النوى وهو البعد عنه .

(٢) ت : لا تقطع القوى . محرفة .

(٣) ت : رجوة . محرفة . والخافية : نسبة إلى خفاف ، حى من سليم . والبادون
المقيدون فى البادية . ووجرة والعرف : موضعان .

(٤) ابن هشام وابن كثير : ولم يستوفها .

خَفَافٌ وَذَكَوَانٌ وَعَوَفٌ تَحَالُمُ
 مَصَاعِبُ زَاغَتْ فِي طَرُوقِهَا كَلْفًا^(١)
 كَانَ النَّسِيجُ الشُّنْبُ وَالْيَبِيضُ مَلْبَسُ
 أَسْوَدًا تَلَاقَتْ فِي مَرَاصِدِهَا غُضْفًا^(٢)
 بِمَا عَزَّ دِينَ اللَّهِ غَيْرُ تَنْحُلِ
 وَزِدْنَا عَلَى الْحَيِّ الَّذِي مَعَهُ ضِعْفًا
 بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَانَ لَوَاءُنَا
 عُقَابُ أَرَادَتْ بَعْدَ تَحْلِيْقِهَا خَطْفًا
 عَلَى شَخْصِ الْأَبْصَارِ تَحْسِبُ بَيْنَهَا
 إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَوَارِدِهَا عَرْفًا^(٣)
 غَدَاةَ وَطِنُنَا الْمَشْرِكِينَ وَلَمْ نَجِدْ
 لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَدْلًا وَلَا صِرْفًا
 بِمَعْتَرِكٍ لَا يَسْمَعُ الْقَوْمُ وَسْطَهُ
 إِنَّا زَجَمَةٌ إِلَّا التَّذَامُرُ وَاللُّقْمَةُ^(٤)

(١) للمصاعب : الفحول وزاغت : تبخترت في مشيها والطروقة الناقة التي بامت
 أن يطرقها الفحل والسكاف : حم كلفاء وهي الناقة التي كلفت حمرتها فام تصف وهي
 البيت على هذا مضطرب

(٢) الغضف : المسترخية أجفانها على أعينها غضباً وكراً .

(٣) كلفاً في طروق ابن هشام : مرادها عرقاً : ووت عرقاً .

(٤) الرجمة : النيسة بكاءة . والقب : كسر الهامة عن الدماغ أو ضربها أشد الضرب .

— ٣٤٣ —

ببيضٍ تطير الممام عن مُسَقَرِّها
وتقطف أعناق الكمأة بها قَطْفًا
فكائن تركنا من قَتِيل مُلَحَّب^(١)
وأرسلت تدعو على بَملها أهفًا
رضا الله ننوى لارضا الناس نبتنى
ولله مايبئدو جميعًا وما يخفى
وقال عباس [بن مرداس^(٢)] أيضًا :
مابال عينيك فيها عارٍ سَهِر
مثل الحماطة أغصى فوقها الشُّقُر^(٣)
عينٌ تأوبها من شَجْوِها أرقّ
فاللأء يَغمرها طوراً وينحدرُ
كانه نَظَم دُرّ عند ناظمه
تقطع السِّلَك منه فهو مُنْقَطِرُ
مابعد منزل من ترجو مودته
ومن ألى دونه الصَّمان فالحفر^(٤)
دَع ما تقدّم من عهد للشباب فقسد
ولّى الشباب وزار الشيب والزَّعر^(٥)

(١) ملحَب : مقطوع .

(٢) من ت

(٣) المائر : كل ما أعل العين والحماطة : مشب خشن المس أو تبين الذرة . والشفر
أصل منبت الشعر في الجفن

(٤) الصمان والحفر : موضعان

(٥) الزعر : قلة الشعر

واذكر بلاء سليم في مواطنها
وفي سليم لأهل الفخر مفتخر
قومهم نصروا الرحمن واتبعوا
دين الرسول وأمر الناس
الضاربون جنود الشرك ضاحية
يبطن مـكة والأرواح تبتدر
حتى رفعا وقتلهم كأنهم
نخل بظاهرة البطحاء منقمر
ونحن يوم حين كان مشهدنا
للدين عزاً وعند الله مدخر^(١)
إذ نركب الموت نخضرا بطائفه
والخيل يعجب عنها ساطع كدر
تحت الأوامر^(٢) والضجج يقدما
كما مشى الأوث في غاباته الخدر^(٣)
في مازق من تجر الحرب كل كلامها
تكد تأفل منه الشمس والقمر
وقد صبرنا بأوطاس أسفنا
لله نصبر من شئنا وننتصر

(١) سقط من ت .

(٢) كذا بالأصل و ابن هشام وابن كثير : تحت الأوامر مع الضجج يقدما .

(٣) المدر : الداخل في خدره .

حتى تأوب أقوامٌ مـأزلم
 لولا اللدك ولولا نحن ما صدروا
 فما ترى معشراً قُلُوا ولا كنوا
 إلا قد أصبح منا فيهم أثر^(١)
 وقال عباس بن مرداس أيضاً رضى الله عنه :
 يا أيها الرجل الذى تهوى به
 ووجناء مُجَمَّرة الناسم عِرمس^(٢)
 إنا أتيت على النبىِّ فقل له
 حقاً عليك إذا اطمأن المجلسُ
 يا خير من ركب المطى ومن مشى
 فوق التراب إذا تمدَّ الأنفسُ
 إنا وفيما بالدى عاهدتنا
 والخليل تُقدِّع بالسكاة وتُضرس^(٣)
 إذ سال من أفدس بهمة كلها
 بجمع تظل به المخارم ترجس^(٤)

(٩) من ت .

(١٠) الوجناء : البارزة الوجنات ، والناسم : أطراف خف البعير والجرة : المستوية
 والعِرمس : الناقة للشابة .

(١١) تُقدِّع : تكبج وتضرس : تبحر .

(١) بهمة : حى من سليم والمخارم : الطرق فى الجبال . وترجس : تهتز .

(٢) الأشوس : المتكبر .

(٣) الدخال : نسج الدرع .

(٤) العرفنس : القوى

— ٣٤٦ —

حتى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فَيَلَقَا
 شهباء يقدمها المهام الأَشْوَسُ^(٥)
 من كل أَغْلَبٍ من سُلَيْمٍ فَوْقَهُ
 بِيضَاءُ مُحْكَمَةِ الدُّخَالِ وَقَوْنُسُ^(٦)
 وَعَلِي حَنِينٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَعْدَا
 أَلْفُ أَمِيدٍ بِهِ الرِّسُولُ عَرْنَدُسُ^(٧)
 كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيَّةً
 وَالشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا أَشْمُسُ^(٨)
 نَغْضَى وَيَحْجُرُ سَدًّا الْإِلَهِ بِحِفْظِهِ
 وَاللَّهُ لَيْسَ بِضَالِّهِمْ مِنْ يَحْجُرُسُ
 وَاقِدٌ حُبْسًا بِالْمَسَاقِبِ نَحْبَسًا
 رَضَى الْإِلَهِ بِهِمْ فَدَعَمَ الْحَبْسُ^(٩)
 وَغَدَاةُ أَوْطَاسٍ شَدَّدْنَا شِدَّةً
 كَفَتِ لِلْعَدُوِّ وَقِيلَ مِنْهَا يَحْبِسُ^(١٠)
 نَدَعُو هَوَازِنُ بِالْإِخَاءَةِ^(١١) يَبْدُوا
 نَدَى تَمَسَّدُ بِهِ هَوَازِنُ أَبْيَسُ

(٥) الدريئة : السكتية المدافعة ورواية ابن هشام : عايهم أشمس .

(٦) اللاناب : طريق الطائف من مكة ورواية ابن هشام رضى الإله به .

(٧) ابن هشام : يا : احببوا .

(٨) ت : بالإخاءة .

— ٣٤٧ —

حتى تركنا جمعهم وكأنه
غير تعاقبه السباع مفرس

وقال عباس بن مرداس أيضا :
نصرنا رسول الله من غضب له
بألف كمي لا تعد حوامرة
حملنا له في عامل الرمح راية
يدود بها في حومة الموت ناصرة
ونحن خضبناها دماً فهو لونها
غداة حنين يوم صفوان شاجرة
وكنّا على الإسلام ميمّة له
وكان لها عقد اللواء وشاهرة
وكنّا له يوم الجنود بطانة
بشاورنا في أمره ونشاوره
دعانا فسمّانا للشعار مقدّما
وكنّا له عوناً على من يُناكره
جزى الله خيراً من نبيّ محمداً
وأيدّه بالهصر والله ناصره

غزوة الطائف

ولما قدم قلٌّ ثقيف للطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصعدوا
الصنائع للقتال ، ولم يشهد حُذَيْفًا ولا الطائف^(١) عروة بن مسعود ولا
غَيْلان بن سلمة كانا بمجرش يتملمان صدعة الدبابات والحجانيق
والضُبُور^(٢) .

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من
حنين ، فقال كعب بن مالك حين أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
السَّير إليها :

قَضَيْنَا مِنْ نِهَامَةِ كُلِّ رَبِّ
وخيبر نم أجمنا لسيوفنا
نخبرها واو نطقنا اقامت
قواطعهم : دوساً أو ثقيفياً
فلست لحاضن^(٣) إن لم تروها
بساحة داركم مفاً الوفاً

(١) ابن هشام : ولا حصار الطائف .

(٢) الضبور : الدبابات التي تقرب للحصون انثقاب من تحتها .

(٣) لحاضن : لأم تحضن ولدها ، وذلك كناية عن العرف والمحب .

قال أبو ذر : وأمله : لحاضن — بالصاد — وهي المرأة العفيفة كأنه يقول :
لست لرشدة .

ونفزع السروش ببطن وجّ
وتصبح دوركم منا خلوقاً
وبأتاكم لنا سرعان خيل
يفادر خلفه جمعاً كثيفاً
إذا نزلوا بساحتكم سمعتم
لها ما أناخ بها رجيفاً
بأيديهم قواضب مرهفات
يُزرن المصطلين بها الختوقاً
كأمثال للعناق أخلصتها
قيونُ الهد لم تضرب كتيفاً^(١)
تخال جدبة الأبطال فيها
غداة الرّوع جادياً مدوفاً^(٢)
أجدم أليس لهم نصيح
من الأقوام كان بها عريفاً
يجزّهم بأنا قد جمعنا
عناق الخيل والفجّب الطرّوقاً^(٣)
وأنا قد أتيسام بزحف
يحيط بسور حصنهم صفوقاً

(١) الكتيّف : الضبة . قال الهيلي : وهي صفحة صغيرة .

(٢) الجدبة : الدم السائل . والجاري : الزعفران . والدوق : المبالول . ورواية
ابن هشام : غداة الزحف .

(٣) الطرّوف : الكرام من الخيل .

رئيسهم النبي وكان صُلْباً
نقى القلب مُصْطَبِراً عَزُوفاً
رشيد الأمر ذا حُكْمٍ وَعِلْمٍ
وحِلْمٍ لم يكن نَزَقاً خَفِيفاً
نطيع نبينا ونطيع ربّاً
هو الرحمن كان بنا رءوفاً
فإن تلقوا إلینا السَّلَامَ تقبل
ونجاهدکم إنا عَصِدُا وَرِيفاً^(١)
وإن تأبوا نُجَاهِدْکُمْ وَنَعْبِر
ولایک أمرنا رَعِشاً ضَعِيفاً
نُجَاهِدْ مَا بَقِیْنَا أَوْ تَذِیْبُوا
إلی الإسلام إَذَاکَ مُضِیفاً^(٢)
نجاهد لا نُبَالِ مَا أَقْبَا
أَأَهْلَکُمْ لِلتَّلَادِ أَمْ الطَّرِيفِ^(٣)
وَمَنْ مِنْ مَعَشَرِ آبَؤِنا عَایِنَا
صَمِیمِ الْجِذْمِ مِنْهُمْ وَالْخَالِیفاً^(٤)
أَتُونَا لَا یرون لَهم کَفْأَماً
فَجَدَّعْنَا السَّامِعَ وَالْأَنْوفا

(٤) الریب : الحصب . وامل النظمه : وریفا : ممتداً واسماً .

(١) مضیفاً : ماجئاً .

(٢) التلاد : القديم . والطریف : الجدید .

(٣) الجذم : الأصل .

— ٣٥١ —

بكل مهتد تين صَقِيل
نُسُوقُهُمْ بِهَا سَوْقًا عَظِيمًا
لأمر الله والإسلام حتى
يقوم الدين معتدلاً حنيفاً
وتُنسى اللاتُ والمُزَي وَوَدَّ
وَنَسَلُهَا الْقِلَادُ وَالشُّنُفَا^(١)
فَأَمَسُوا قَدِ أَقْرُوا وَاطْمَأَنَّا
وَمَنْ لَا يَمْتَنِعُ يَقْبَلُ خُسُوفًا

* * *

وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخلة البجانية ، وانتهى إلى بئر
الرغاء فابتنى بها مسجداً فصلى فيه وأقاد فيه يومئذ بدم رجل من هذيل قتله
رجل من بني ليث فقتله به ، وهو أول دم أُقيد به في الإسلام ، وأمر في طريقه
بمحسن مالك بن عوف فهدم . ثم سلك في طريق فسأل عن اسمها فقيل له الضيعة
فقال بل هي اليسرى . ثم خرج حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة قريباً من
مال رجل من ثقيف فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إما أن نخرج
وإما أن نحرب عليك حائطك . فأبى أن يخرج فأمر بإخراجه .

ثم مضى حتى نزل قريباً من اللطائف فضرب به عسكره ، فقتل ناساً من
أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط اللطائف ، فكانت النبل
تبالههم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم أغلقوه دونهم .

فلما أصيب أولئك للنفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي

(٤) الشنوف : جمع شنف وهو القرط .

بالطائف اليوم فحاصروهم بضعا وعشرين ليلة . وقيل ابضع عشرة ليلة ومعه امرأتان من نساءه ، إحداهما أم سلمة ، فضرب لهما قبضين ثم صلت بينهما ، فلما أسلمت ثقيف بنى عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك على مصلاته ذلك مسجد . وكانت فيه سارية فيما يعمون لا تطامع الشمس عليها يوما من الدهر إلا سُمِع لها نقيض .

فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلهم قتالا شديدا ، وتراموا بالنبيل ، ورممهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمجذيق فيما ذكر ابن هشام . قال : وهو أول من رمى به في الإسلام إذ ذاك .

حتى إذا كان يوم الشذخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ثم رجموا بها إلى جدار الطائف ليحرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سككت الحديد عمدة بالدار ، فخرجوا من تحتها فرميتهم بالنبل فقتلوا منهم رجالا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعقاب ثقيف فوق الناس فيها يقطعون ، وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف فدأبأ ثقيفا أن آمِنونا حتى نسلككم فأمروهما . فدعوا نساء من قریش وبنی كنانة منهن ابنة أبي سفيان ليخرجن إليهما وهما يخافان عليهما للساباء^(١) فأبى ، فلما أبى قال لهما الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان وبما مغيرة ألا أداسكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال بني الأسود حيث علمنا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا بيده وبين الطائف بواد يقال له اللقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعد رشاء^(٢) ولا أشد مؤنة ولا أبعد همارة

(١) زاد ابن هشام : إذا فتح الحصن .

(٢) الرشاء : الجبل . وهي كناية عن سمته .

من مال بنى الأسود وإن محمداً إن قطعه لم يَعمُر أبداً ، فكلما فليأخذه لنفسه
أو ليدعنه لله ولأرحم فإن يبدنا ويبدنه من القرابة مالا يجهل .

فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم . وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما ذكر لأبي بكر الصديق رضى الله عنه وهو مُحاصر ثقيفاً :
يا أبا بكر إني رأيت أنى أهديت^(١) إلى قَعْبَةٍ مملوءة زبداً فقرها ديك فمراق
ما فيها . فقال : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ثم إن خويلدة بنت حكيم السلميَّة ، امرأة عثمان بن مظعون قالت :
يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُلًى بادية بنت غَيْلان أو حُلًى
للقرعة ابنة عقيل . وكانتا من أحلى نساء ثقيف . فذكر أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يُؤذَن في ثقيف يا خويلدة ؟ فخرجت خويلدة
فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فدخل عمر على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما حدثتُ حديثاً ثقيفياً خويلدة ، زعمت أنك قلته ؟
قال : قد قلته . قال : أو ما أذن فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أُؤذَن
بالرحيل ؟ قال : بلى فأذن عمر بالرحيل فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد :
ألا إن الحى مقيم . يقول عبيدة بن حصن : أجل والله بحجة كراماً ! فقال
له رجل من المسلمين : فانك الله يا عبيدة ؟ أتمدح المشركين بالامتناع عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد جئت تنصروه ؟ قال : إني والله ما جئت لأقاتل
ثقيفاً معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية

(١) القعب : القدح الضخم .

أَتَطَّلُّهَا لِمَا لَهَا تَلَدَ لِي رَجُلًا فَإِنْ تَقِيْفًا قَوْمٌ مِمَّا كَبِرَ ^(١) .

ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في إقامته عليهم عبيدٌ لهم فأسلموا
فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أسلم أهل الطائف تسكلم نفر منهم
في أولئك العبيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عتقاء الله .

واستشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر
رجلا ، سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ورجل من بني ليث . ثم انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف حتى نزل الجمرانة وإليها كان قدم
سبي هوازن وأموالهم ، وقال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يا رسول الله
ادع عليهم فقال : اللهم اهد ثقيفاً واث بهم ^(٢) .

[قدوم وفد هوازن]

ثم أتاه وفد هوازن بالجرانة ، وقد أسلموا ، وكان معه من سبيهم
سنة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاء ما لا يُدرى ما عدته ،
فقالوا : يا رسول الله إنا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك
فادين عليك من الله عليك ، وفام رجل منهم من سعد بن بكر يقال له زهير ^(٣)
بكفى بأبي صرد : فقال : يا رسول الله إنما في الحظائر عتاتك وخالاتك
وحواضك اللاتي كن تَسْكُنُنَّكَ ، ولو أنا ملحداً ^(٤) للعارث بن أبي شمر

(١) للتاكير : ذوو الدعاء . هذا وقد ذكر ابن كثير عن البيهقي أن عبيدة بن حصن
استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام .
فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثبات وحسنهم وقال : لا يهوانسكم قطع ما قطع من الأشجار
و ، كلام طولي . سيرة ابن كثير ٦٠٩/٣ .

(٢) وقد روى الترمذي في صحيحه عن جابر أن المسلمين قالوا : يا رسول الله أحرقتنا نبال
ثقيف فادع الله عليهم . فقال : « اللهم اهد ثقيفاً » . ثم قال : هذا حديث حسن غريب .

(٣) ابن كثير : زهير بن صرد أبو صرد .

(٤) ملحداً : أرضها .

أو للذهبان بن المنذر . ثم نزل^(١) مما يمثّل ما نزلت به رجونا عطفه ، وعائده
عليها ، وأنت خير للكفواين . ثم أنشأ يقول^(٢) :

أمن علينا رسول الله في كرم	فإنك المرء نرجوه وننتظر
أمن على بيضة قد عاقها قدر	مفرق شملها في دهرها غير
أبقت لنا الحرب هتافاً على حزن	على قلوبهم الغماء والغم ^(٣)
إن لم تداركهم نعماء تنشرها	يا أرجح الناس حلياً حين يُختبر
أمن على نسوة قد كدت ترضعها	إذ فوك تملأه من تحضها الدّر
إذ أنت طفل صغير كدت ترضعها	وإذ يزيك ما تأنى وما تدر
لا تجملنا كن شالت نعماته	واستبق منا فإننا مغمّر زهر
إننا لشكر للغمى وقد كُفرت ^(٤)	وعندنا بعد هذا اليوم مدّخر
فألبس العفو من قد كدت ترضعه	من أمهاتك إن العفو يشهر
إننا نوئل عفواً منك تلبسه	هذى البرية أن تعفو وتقتصر
فاعفُ عفا الله عما أنت راهبه	يوم القيامة إذ يُهدى لك الظفر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أباؤكم ونسأؤكم أحب إليكم
أم أموالكم » ؟ فقالوا : يا رسول الله خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ، بل ترد
إلينا نساءنا وأبنائنا فهو أحب إلينا . فقال لهم : « أما ما كان لي ولبنى
عبد المطلب فهو لكم وإذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع
برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا . فسأعطيك
عند ذلك وأسأل لكم » .

(١) ابن هشام : ثم نزل .

(٢) لم يذكر ابن هشام هذا الشعر .

(٣) الغمر : بالتحريك : الحقد .

(٤) ابن كثير : إنا لنشكر آلاء وإن كُفرت .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذي
أمرهم به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ما كان لي ولبني
عبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله
صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله
عليه وسلم . فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبدو تبم فلا . وقال
عبيدة بن حصن : أما أنا وبدو فزارة فلا .

وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبدو سلتيم فلا . فقالت بدو سليم :
بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عباس : وهنمتوني ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما من تمسك منكم بحقه من هذا
للشيء فله بكل إنسان ست فرائض من أول شيء أصيبه فردوا إلى الناس
أبناءهم ونساءهم » .

وكان عبيدة بن حصن أخذ مجوزاً من مجازم وقال حين أخذها : أرى
مجازاً إنني لأحسب أن لها في الحى نسباً وعسى أن ينظم فداؤها . فلما
رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض أبي أن يردّها ، فقال
له زهير أبو صرد^(١) : خذها عنك فوالله ما قوها ببارد ولا نذيتها بناهد
ولا بطنها بولد ولا زوجها بواجد ولا درّها باكيد^(٢) . فردّها بست
فرائض حين ذل له زهير ما قال .

* * *

(١) ابن كثير : ابن صرد .

(٢) المالك : العزيز .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد هوازن : ما فعل مالك بن عوف ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف . فقال لهم : أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً ردّدتُ عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل . فأني مالك بذلك يخاف ثقيفاً أن يملأوا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحبسوه ، فأمر براحلته فهيئت له وأمر بفرس له فأني به بالطائف ، ففرج ليلا على فرسه حتى أتني راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه بالجرمانه أو بمكة ، فردّ عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل وأسلم فحسن إسلامه وقال :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله في الناس كلام بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتهدى
ومتى تشأ يُخبرك عما في غد
وإذا الكتبية عرّدت أنيابها
بالسممى وضرب كل مهتد^(١)
فكانه ليث على أشباله وسط الهبادة خادراً في مرصد^(٢)

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على من أسلم من قومه فكان
يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم فقال
أبو مخجن بن حبيب الثقفي^(٣) :

(١) عرّدت : اشتدت وضررت .

(٢) الهبادة : غبار الحرب . والحادر : المقيم في عرينه .

(٣) أبو مخجن بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي ، والبيتان مع ثالث في ابن هشام

و في تاريخ الطبري ١٦٧٨ (ط أوربا) .

هابت الأعـداء جانبنا ثم تَفَزَّونا بـسـو سلمة
وأنا مالِكُ بهمُ ناقضا للعهدِ والتَّحرمة
[قَسَمَ الغنائم]

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردِّ سبايا حنين إلى أهلها
ركب واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله اقسم علينا فيثنا . الإبل والغنم ، حتى
الجلأوه إلى شجرة فاختلطت عنه رداءه فقال . « ردُّوا علىَّ ردائي أيها الناس
فوالله إنه لو كان لكم بعدد شجر نهامة نعماً اقسمته عليكم ثم ما أقيتموني
بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً » . ثم قام إلى جنب بعير فأخذ وبرّةً من سنامه
فرفعها ثم قال : « أيها الناس والله مالي من فيئكم ولا هذه البرّة إلا الخمس
والخمس مردود عليكم فأدُّوا ، الخائط^(١) ، والمخييط ، فإن للأول يكون على
أهله عارا وشئارا وناراً يوم القيامة » .

فجاء رجل من الأنصار بكبّة^(٢) من خيوط شعر فقال : يا رسول الله
أخذت هذه الكبّة أعمل بها برّذعة بعير لي دَرٍ^(٣) . فقال : أما نصيب
منها فلك . قال : أما إذ بلغت ذلك فلا حاجة لي بها . ثم طرحها
من يده .

ويروى أن عقيل بن أبي طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة

(١) كذا في ابن هشام والطبري : فأدوا الخياط والمخييط .

(٢) الكبّة : الخيوط المجهّمة .

(٣) الدبر : للفروخ .

بنت شيبه وسيفه متلطخ دماً فقالت : إني قد عرفت أنك قد قاتلت فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ قال : دونك هذه الإبرة تخيطين ثيابك . فدفعها إليها فسمع منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شيئاً فليردّه حتى الخائط والمخيط . فرجع عقيل فقال : ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت أو أخذها فألقاها في الغنائم .

* * *

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب وابنه معاوية وحكيم بن حزام والحارث بن كلدة ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وخوبط بن عبد المزي وصفوان بن أمية ، وكل هؤلاء من أشراف قريش والأفرع بن حابس النخعي وعيينة بن حصن الفزاري ومالك بن عوف النضري ، كل واحد من هؤلاء المسلمين من قريش وغيرهم مائة بعير . وأعطى دون المائة رجالاً من قريش منهم مخزومة بن نوفل وعمير بن وهب ، وأعطى سميد بن بربوع الخزومي وعدي بن قيس السهمي خمسين خمسين ، وأعطى عباس بن مرداس أبا عير فسخطها^(١) وقال يماذب فيها للبي صلى الله عليه وسلم :

كانت زينا بآ تلاقيتهما بكرى على النهر في الأجرع^(٢)
وليفاطى القوم^(٣) أن يردوا إذا هجع الناس لم أهجع

(١) الطبرى : فسخطها .

(٢) النهاب : جمع نهب . والأجرع : الأرض ذات المزونة .

(٣) ابن كثير : وليفاطى الناس .

فأصبح نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تذريراً فلم أعط شيئاً ولم أمدع^(١)
إلا أفايل أعطيتُها عديداً قوائمه الأربع^(٢)
وما كانت حصن ولا حابس يفوفان برؤاس في تجمم
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضمن اليوم لا يرفع
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا فاقطعوا عنى لسانه .
فأعطوه حتى رضى فكان ذلك قطع لسانه .

وذكر ابن هشام أن عباساً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت القاتل :

فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة
فقال أبو بكر : بين عيينة والأقرع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
هما واحد . فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ
وَمَا يَنْبَغِي لَهُ » .

وذكر ابن عتبة أن عباساً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع
لسانه فزع لها وقال : من لا يعرف أمر عباس يمثل به . فأنى به إلى الغنائم
ف قيل له : خذ منها ما شئت . فقل عباس : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يقطع لسانى بالعطاء بعد أن تسكمت . فتكرّم أن يأخذ منها شيئاً
فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلة فقبلها ولبسها .

وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل من أصحابه : يا رسول الله :

(١) ذا تدراً : ذا عناء ودفع .
(٢) الأفايل : الضعاف من الإبل .

أعطيت عبيدة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة وترك عتيل بن سراقه للضمري ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والذي نفس محمد بيده لجعيل بن سراقه خير من طلاع الأرض كلهم مثل عبيدة والأقرع ولكني تألفتها ليسلما ووكلت جعيل بن سراقه إلى إسلامه » .

[ذو الخويصرة]

وجاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعطى للناس فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل فكيف رأيت ؟ قال : لم أرك عدلت . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ؟ ! فقال عمر بن الخطاب ألا نقتله ؟ فقال : لا دعوه فإنه سيكون له شعبة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، يُنظر في النصل فلا يوجد شيء، ثم في القذح فلا يوجد شيء، ثم في الفوق^(١) فلا يوجد شيء . سبق الفرث والدم .

[الأنصار والغنائم]

ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى في قريش وفي قبائل العرب ولم يعط الأنصار شيئاً وجدوا في أنفسهم حتى كثرت منهم الغالة وحتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه . وذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت قال يعاتبه في ذلك :

زاد المموم فاء العين مُنحدر سحاً إذا حفلته عبزة دِر^(٢)

(١) الفوق : موضع الوتر من السهم .

(٢) ابن همام : زادت هموم . والسح : الصب . وحفلته : جمته .

وَجَدَا بِشَمَاءَ إِذْ شَمَاءَ بِهَيْكَلَةٍ هَيِّقَاءَ لَا ذَنْنَ فِيهَا وَلَا خَوَرٌ^(١)
 دَعَا عَنْكَ شَمَاءَ إِذْ كَانَتْ مَوْدَتَهَا نَزَرَا وَثَرُوا وَصَالَ الْوَاصِلِ الْقَزِيرُ^(٢)
 وَانْتِ الرَّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتَمِنٍ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدُّدُ الْبَشَرِ
 عَلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٍ وَهِيَ نَازِحَةٌ قُدَّامَ قَوْمٍ هُمْ آوُوا وَهُمْ نَعَرُوا
 سَمَاءُ اللَّهِ أَنْصَارًا يَنْصُرُهُمْ
 دِينَ الْمَدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَمِرُّ^(٣)
 وَسَارَعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَفُوا لِلدَّائِيَاتِ وَمَا خَافُوا وَمَا ضَجِعُوا^(٤)
 وَالنَّاسُ إِنْ لَبَّ عَلَيْنَا فَيْكَ إِيَّاسَ إِنْ لَبَّ عَلَيْنَا فَيْكَ إِيَّاسَ
 نَجَّالِدِ النَّاسَ لَا نُبْقَى عَلَى أَحَدٍ وَلَا نَضْمَعُ مَا تُوحِي بِهِ السُّورُ
 وَلَا تَهْزِ جُنَاةَ الْحَرْبِ نَادِيًا وَنَحْنُ حِينَ تَلْظِي نَارُهَا سُمُرُ^(٥)
 كَمَا رَدَدْنَا بِيَدِ دُونَ مَا طَلَبُوا أَهْلَ الْإِنْفَاقِ وَفِينَا يَنْزِلُ الْظَفَرُ
 وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ^(٦) مِنْ أَحَدٍ
 إِذْ حَزَبَتْ بَطْرًا أَحْزَابَهَا مُضَرُّ
 فَمَا وَنَيْدًا وَلَا نَجْمًا^(٧) وَمَا حَسِبُوا
 مَتَا عِثَارًا وَكَأَلُ النَّفَاسِ قَدْ عَثَرُوا

(١) الهَيْكَلَةُ : الشَّابَةِ الْمُضْمَةِ . وَالذَّنَنُ : الْقَنْزَرُ . وَالْمَوَرُ : الضَّعْفُ .

(٢) الْقَزِيرُ : الْفَاقِلُ .

(٣) الْعَوَانُ : الْحَرْبُ الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى .

(٤) اعْتَرَفُوا : سَبَّحُوا . وَابْنُ كَثِيرٍ : وَاعْتَرَضُوا لِلدَّائِيَاتِ .

(٥) تَهْرُ : تَسْكُرُهُ . وَجُنَاةُ الْحَرْبِ : أَبْطَالُهَا . وَالسُّمُرُ : مَنْ يُوَقِّدُونَ الْحَرْبَ .

(٦) النَّعْفُ : أَسْفَلُ الْجَبَلِ .

(٧) ابْنُ هِشَامٍ : وَمَا خَتَا وَخَتَا : جِينَا .

فدخل سعد بن عباد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك لما صنعت في هذا القى الذى أصبت به ، قسمت في قومه وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ولم يك في هذا الحى من الأنصار منها شيء . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي^(١) . قال : فاجمع لى قومتك في هذه الحظيرة . فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردّهم ، فلما اجتمعوا له أعلمه سعد بهم فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو له^(٢) ثم قال : « يا معشر الأنصار ما قلّة بلغتني عنكم وجدة^(٣) وجدتموها على في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلّالا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألّف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بل الله ورسوله آمن وأفضل . ثم قال : ألا تنجيبوني يا معشر الأنصار ؟ قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله ، لله ورسوله المنّ والفضل . فقال صلوات الله عليه : « أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدّقتم : أتينا مكذّبا فصدّقناك وغنّولا فنصرناك وطريدّا فأوثقناك وعائلا فأسينّاك ، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في نعمة^(٤) من الدنيا تألّفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترّضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكُم ، فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنتُ امرءا من الأنصار ولو سلك الناس شعبا

(١) ابن كثير : ما أنا إلا امرؤ من قومي .

(٢) ابن هشام وابن كثير : بما هو أهله .

(٣) كذا بالأسل وابن هشام ، وفي الطبرى : وموجدة . قال أبو زر : الموجدة :

العتاب وتروى : جدة .

(٤) النعمة : الجرعة من الشراب ، والكلاء الخفيف .

وسلكت الأنصار شجراً تسلكتُ شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء
الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » .

فبكى القوم حتى أخضلوا لحدهم وقالوا : رضينا برسول الله صلى الله عليه
وسلم قسماً وحفظاً^(١) . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفروا .

[عمره الجمرانة]

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجمرانة مُتَمَرّاً ، وأمر ببقايا
التي نجس بمجفة بداحية | مرّ |^(٢) للظلمان ، فلما فرغ من عمرته انصرف
راجعاً إلى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل
بفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن ، وأتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببقايا التي .

ولما استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاباً على مكة رزقه في كل يوم
درهماً ، فقام عتاب خطيباً في الناس فقال : أيها الناس أجاج الله كبد من جاع
على درهم ، فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم فليست بي
حاجة إلى أحد .

وكانت عُمرّة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، وقدم المدينة
في بقيته أو في أول ذي الحجة .

وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تمجُّ عليه وحجَّ عتاب بن
أسيد بالمسلمين فيها وهي سنة ثمان .

(١) ابن كثير : رضينا بالله ربنا ورسوله قسماً .

(٢) من ابن هشام والطبري .

وأقام أهل اللطائف على شرِّهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذى القعدة
إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رمضان سنة تسع .

[إسلام كعب بن زهير]

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره هذا منصرفاً عن اللطائف
كتب بُجَيْر بن زُهَيْر بن أَبِي سُلَيْمٍ إلى أخيه كعب بن زُهَيْر يخبره أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد قتل رجلاً بمكة ممن كان يهجوّه ويؤذيه ، وأن من
بقي من شعراء قريش ابن الزَّبَرَمِيِّ وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب قد هربوا في كل
وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطِرْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإنه لا يقتل أحداً جاء تائباً إن أنت لم تفعل فأنجُ إلى نجائك من الأرض .

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به
من كان في حاضره من عدوّه فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شيء بدأ قال
قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر فيها خوفه
وإرجاف الوشاة به ، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل من جُهَيْنَةَ كانت
بيده وبيته معرفة ، فعدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح
فصلى معه ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هذا رسول الله فقم
إليه فاستأمنه . فذكر أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس إليه
فوضع يده في يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال : يا رسول
الله إن كعب بن زُهَيْر قد جاء ليستأمن منك تائباً مُسَلِّماً فهل أنت قابلٌ منه
إن أنا جئتُك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال : أنا يا رسول
الله كعب بن زهير ، فوثب عليه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله دعني
 وعدوّ الله أضرب عنقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعّه عنك فإنه

قد جاءنا ناثيا نازعا . فنضرب كعباً على الأضمار لما صنع به صاحبهم ومدح
المهاجرين دونهم إذ لم يتكلم فيه رجل منهم إلا بخير .
والقعيدة التي قلما كعب في ذلك وذكر أنه أنشدها رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المسجد :

بانت سعاد فقلمي اليوم مقبول
متيم عندها لم يُعزَّ مكبول^(١)
وما سعاد غداة للبين إذ برزت^(٢)
إلا أغن غصيص العارف مكبول
نجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت
كأنه منهل بالراح مملول^(٣)
شجبت بذي شمس من ماء تخفية
صاف بأبطح أضحت وهو مشول^(٤)
تنفي الرياح للقدى عنه وأفرطه
من صوب غادية يبيض بماليل^(٥)

(١) ابن هشام : متيم إثرها . و، ابن هشام وابن كثير : لم يفد مكبول . وبانت :
بعدت . والمقبول : السقيم من الحب . والمكبول : اللقيط .
(٢) ابن هشام وابن كثير : إذ رحلوا . والأعن : الطابي .
(٣) تجلوا : نكشف . والظلم : يريق الأسنان ويباضها . والراح : الخمر .
(٤) شجبت : مزحت . والشيم : الشديد البرد . والحنية : منعطف الوادي . والمشول :
الذي ضربته ريح شمال حتى برد .
(٥) أفرطه : سقى إليه . والصوب : المطر . والنادية : السحابة تمطر غداوة .
والماليل : السحب البهيم .

وَبَلَمَهَا خُلَّةً^(١) لَوْ أَنَّمَا صَدَقَتْ
بِوعْدِهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصِيحَ مَقْبُولُ
لَكُنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيِّطَ مِنْ دَمِهَا
فَجَّعَ وَوَلَعَ وَإِخْلَافَ وَتَبْدِيلُ^(٢)
فَمَا تَدْرُمُ عَلَى حَالِ تَكُونُ بِهَا
كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثَوَابِهَا الْغَوْلُ
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مِثْلًا
وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ
فَلَا بَغْرُوكَ مَا مَنَنْتَ وَمَا وَعَدْتَ
إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضَلِيلُ
أُمَسْتَ سَعَادُ بَارِضٍ لَا تَبْلُغُهَا
إِلَّا الْعِقَاقِ الْفَتَجِيهَاتِ الْمَرَاسِيلُ
وَلَا يَبْلُغُهَا إِلَّا عُذَابُ عَذَابِ
فِيهَا عَلَى الْإِيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ^(٣)
مِنْ كُلِّ نَضَاحَةِ الذَّفَرَى إِذَا عَرِقَتْ
عُرُضَتِهَا طَامِسِ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ^(٤)

(١) ابن هشام وابن كثير : فيالها خلة .

(٢) الحلة : الصحبة . وسيط : خاط . والفجع : الإصابة بالمكروه . والولع : الكذب .

(٣) العذابة : العظم الشديد من الإبل . والأين : التنب . والإرقال : الإسراع والتبغيل : ضرب من سير الإبل .

(٤) النضاحة : الغزيرة . والذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . وعرضتها : وجهتها . وطامس الأعلام : المنفير الذي لا يهتدى فيه .

خَنَمَ مُقَلِّدَهَا قَمَ مُقَلِّدَهَا
 وَ خَلَقَهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَجَلِ تَفْضِيلٌ^(١)
 حَرْفَ أَخُوها أَبُوها مِنْ مُهْجَنَةٍ
 وَعُثْمَا خَالُهَا قَوْدَاهُ شِمْلِيلٌ^(٢)
 كَانَ أَوْبُ ذِرَاعِهَا وَقَدْ عَرَقَتْ
 وَقَدْ تَلَمَّعَ بِالْقُورِ الْقَمَسَاقِيلُ^(٣)
 أَوْبُ يَدَيَّ شَمَطَاءَ مُمُولَةٍ
 قَامَتْ لِحَاوِهَا نَسْكَدَ مَشَاكِيلٌ^(٤)
 فَوَاحِي رَخْوَةِ الضَّبَبِ لَيْسَ لَهَا
 لَمَّا نَمَى بِسُكْرُهَا الْفَاعُونَ مَقُولٌ^(٥)
 تَقَرَّى الْأَبْنَانُ بِكَفِّهَا وَمِذْرَعِهَا
 مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيصِهَا رَعَائِيلٌ^(٦)
 تَمَشَّى الْغَوَاةَ بِجَفْبَيْتَيْهَا^(٧) وَقَوْلُهَا
 إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلَيْمٍ لَمَقُولٌ

(١) القَلْدُ : موضع القِلَادَةِ مِنَ الْعَنْقِ . وَالْقَمَ : الْإِثْلُ .

(٢) الْحَرْفُ : الْإِثَابَةُ الْخَامِرَةُ أَوْ الْمُنْجِنَةُ . وَالْقَوْدَاهُ : الشَّدِيدَةُ الْعَنْقِ . وَالشِّمْلِيلُ : السَّرِيعَةُ .

(٣) الْأَوْبُ : رَجْعُ الْقَوَائِمِ فِي السَّيْرِ . وَالْقُورُ : جَمْعُ قَارَةٍ وَهِيَ الْجِبِلُّ الصَّغِيرُ وَالْمَسَائِلُ : السَّرَابُ .

(٤) الشَّمَطَاءُ : الَّتِي خَالَطَهَا الشَّيْبُ . وَالْمُمُولَةُ : الصَّامِتَةُ بِالسَّكَاةِ . وَالنَّسْكَدُ : جَمْعُ نَسْكَدَاهُ وَهِيَ الَّتِي لَا يَبْقَى لَهَا وَلَدٌ . وَالْمَشَاكِيلُ : جَمْعُ مُشْكَلَةٍ وَهِيَ الَّتِي لَزِمَهَا الشَّكْلُ .

(٥) الرَخْوَةُ : الْمَرْخِيَّةُ . وَالْقَضَمُ : الْقَضْدُ .

(٦) الْأَبْنَانُ : الصَّدْرُ . وَالْمِذْرَعُ : الْقَدَمُ . وَالرَّعَائِيلُ : الْمَرْزُوقُ .

(٧) ابْنُ هِشَامٍ وَابْنُ كَثِيرٍ : تَسْمَى الْغَوَاةُ خَنَائِبَهَا .

وقال كلُّ صديقٍ صكت آمله
 لا ألهيئك إني عندك مشغولُ
 فقلت خَلوا طريقي لا أبالكم
 فكل ما قدّر الرحمن مفعولُ
 كل ابن أبي وإن طالت سلامته
 يوماً على آلةٍ حَـذِّبْهُ عَمَلُ
 بُنِيتُ ابنَ رسولِ الله أُوْعِدُنِي
 وللعفو عند رسولِ الله مأمولُ
 مهلاً هَذَا الذي أعطاك نافلةً لا قرآن فيها مواعِظُ وتفصيلُ
 لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
 أذنب ولو كثرت في الأقاويلُ
 لقد أقوم مقاماً لو يقوم به
 يرى ويسمع^(١) ما قد أسمعُ للقليل
 لظل يُرْعَدُ من خوفِ بَوادره
 إن لم يكن من رسولِ الله تنويلُ^(٢)
 حتى وضعتُ يميني ما أنازعها
 في كف ذي نَقَمَاتٍ قوله^(٣) للقليلُ

(١) ابن هشام : أرى وأسمع .

(٢) الرواية في ابن هشام وابن كثير :

لظل يُرْعَدُ إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويلُ

(٣) ابن هشام : قبله القيل .

— ٣٧٠ —

فَلَهُوَ أَخْوَفُ عِنْدِي إِذَا أَكَلَهُ
 وَقِيلَ إِنَّكَ مَنسُوبٌ وَمَسْئُولٌ
 مِنْ ضَعِيفٍ بِغَرَاءِ الْأَرْضِ تُخَذَرُهُ
 فِي بَطْنِ عَتْرٍ غَيْلٌ دَرَنهُ غَيْلٌ^(١)
 إِنَّ الرِّسُولَ لِلْأَوْرَى بِسَقَطَاءِ بِهِ
 مُنْهَدٌ مِنْ سَيْوِفِ اللَّهِ مُسْلُولٌ
 فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ فَاتْلُمُ
 بَطْنُ مَكَّةَ لِمَا أَسْلَمُوا زُلُومًا
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كَشْفٌ
 عِنْدَ الْإِقَامِ وَلَا مَيْلٌ مَعَاذِلٌ^(٢)
 يَمْشُونَ مَشَى الْجَبَلِ الرَّهْمِ يَنْهَضُهُمْ
 ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السَّوْدُ لِلتَّنَائِيلِ^(٣)
 شَمَّ الْقَرَانِينَ أَبْطَالُ آبُوسَ—هُمْ
 مِنْ شَجِّ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَايِلُ
 رِيضٌ سَوَانِغٌ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حَقَاقُ
 كَأَنَّهَا حَقَاقُ الْقَنْمَاءِ مَجْدُولٌ^(٤)

-
- (١) الْغَرَاءُ : الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَّةُ . وَالتَّخَذَرُ : أَجَمَةُ الْأَسَدِ . وَعَتْرٌ : مَوْضِعٌ كَثِيرُ الْأَسْوَدِ .
 وَالتَّنَائِيلُ : الشَّجَرُ يَتَخَذُهُ الْأَسَدُ مَأْوًى لَهُ .
 (٢) الْأَنْكَاسُ : جَمْعُ أَنْكَسَ وَهُوَ الْجَبَانُ . وَالْمَعَاذِلُ : الَّذِينَ لَا سِلَاحَ لَهُمْ .
 (٣) عَرَّدَ : هَرَبَ . وَالتَّنَائِيلُ : الْقَصَارُ . مَفْرَدُهُ : تَنَائِيلٌ .
 (٤) الْقَنْمَاءُ : شَجَرَةٌ يَابَتْ فِيهَا حَقَاقُ الْهَوَانِيمِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَلْتَقِي .

لِيسُوا مَقَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحَهُمْ .
 قَوْمًا وَلِيسُوا مَجَازِيْعًا إِذَا نِيلُوا
 لَا يَقَعُ اللَّطْمُ إِلَّا فِي نَحْوَرِهِمْ
 لَيْسَ لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلٌ^(١) .

* * *

وَبِرَوَى أَنْ كَبَا لَمَّا أُنْشِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 إِنْ الرُّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
 مَهْدٌ مِنْ سَيْفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ
 أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْدَهُ إِلَى الْخَلْقِ : أَيِ اسْمِعُوا . تَمَجُّبًا
 بِقَوْلِهِ .

وَمِنْ مُسْتَعْجَادِ شَعْرِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ قَوْلُهُ أَيْضًا يَدْحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

تَخْدِي^(٢) بِهِ الْفَاقَةَ الْأَدْمَاءُ مُتَعَجِّرًا
 بِالْبُرْدِ كَأَنَّهُ دُرٌّ جَلَّى لِيَسْلَمَ الظُّلْمُ
 فِي عِطَافِيَةٍ أَوْ أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ

مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمَنْ كَرَّمَ
 وَلَمَّا قَالَ كَعْبٌ فِي لَامِيَّتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ : إِذَا عُرِّدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ . يَرِيدُ الْأَنْصَارَ
 وَخَصَّ الْمَاهِجِرِينَ بِدَحَّتِهِ دُونَهُمْ غَضِبَتْ عَلَيْهِ الْأَنْصَارُ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ يَدْحَهُمْ

(٢) ابْنُ مَشَامٍ : وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ .. وَفِي ابْنِ كَثِيرٍ : وَلَا لَهُمُ الْخُ ، وَالتَّهْلِيلُ :
 النَّكُوسُ وَالْإِحْجَامُ .

(٣) تَخْدِي : تَسْرِعُ .

(٤) الرَّوْنِزِيُّ الْأَنْفُ ٢ / ٣١٥ : فِي عِطَافِيَةٍ .

ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعهم من الدين ، وقال
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم على ذلك وقال لما أشده للقصيدة
المقدمة : لولا ذلت الأنصار بغيره وإن الأنصار لذلك أهل ؟ فقال آتت هذه
الآيات :

من سره لم الحياة فلا يزل
في وقت^(١) من صالح الأنصار
ورثوا المكارم كالأرأ عن كابر
إن الخيـار هم بنو الأحيار
المكـرمين للمـهري^(٢) أروع
كـوالف المـهـدي غير قصار^(٣)
والناظرين بأعين نجـدة
كـالجـمـر غير كـليـلة الإـبـصار
والبائسين نفوسهم لنبيهم
الدوت بهم تـمـافق وكـرار
يتطهرون برونه نشكا لهم
لـمـاء من غـلـقوا من الكـهـار
دروا كما ذربت ببطن خفية
عاب الرقاب من الأسود ضواري^(٤)

(١) القلب : الجماعة من الخيل .

(٢) المهري : الرمح الصلب . والمهدي : المـفـ . وسوالفه : حواشيه .

(٣) خفية : موسم كثير الأسود والقلب : الغلاظ الأعناق .

وإذا حَلَمْتَ ليمعوك إليهم
 أصبحت عَفْدَ مَعَاقلِ الأَغْفَارِ^(١)
 ضَرَبُوا عَلَيَّ يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً
 دانت لوقعتها جَمِيعُ نَزَارِ^(٢)
 لو يعلم الأفوامُ عِلْمِي كَلَهُ
 فيهم لصدَّقني الدينُ أَمَارِي
 قومٌ إذا خوت النجومُ فإنهم
 للطارقين النازلين مَقَارِي
 في الغرّة من غَسَّانٍ في جُرْنُومَةٍ
 أُعِيتَ مَحَافِرُهَا عَلَى المَحْفَارِ^(٣)

[إسلام عبد الله بن الزبيري]

وكان عبد الله بن الزبيري السَّهْمِيُّ شاعر قيس واسانها في مفاضة حسان
 ابن ثابت وغيره من شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له في ذلك أشعار
 كثيرة ذكرها ابن إسحق في مواضعها وأضربنا نحن عنها وعن سائر أشعار
 الجاهلية لما فيها من تدقّص الإسلام والذيل من أهله ، فلما كان عام الفتح فرّ ابن
 الزبيري إلى نجران فرماه حسان بن ثابت ببیت واحد مازاد عليه وهو :

(١) الأغفار: جم غفر بفتح الغين وضما أ كثر ، وهو ولد الأروية وهي أثنى الوعول .
 (٢) ضربوا عليا : يريد به علي بن مسعود بن مازن الفسائي ولأبيه تنسب بنو كنانة ،
 يريد : ضربوا قريشاً لأنهم من بني كنانة .
 (٣) ابن هشام : على الدقار .

لَا تَعْدَمَنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بَعْضَهُ
تَجَزَّانَ فِي عَيْشٍ أَخَذَ^(١) الِئِيمَ
فلما بلغ ذلك ابن الزُّبَيْرِ خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم
وقال في ذلك أشعاراً منها في أبيات :

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنِّي لَسَانِي
رَأَيْتُ مَا نَقَعْتُ إِذْ أَنَا نُورُ
إِذَا بَارَى الشَّيْطَانُ فِي سَنَنِ^١ غِيٍّ وَمِنْ مَالٍ مَثِيلِهِ مَثْبُورُ
وقال أيضاً حين أسلم :

مَعَ الرَّقَادِ بَلَابِلُ^٢ وَهَمُومُ
وَالْإِبِلِ مَنَظِلُ^(٢) الرُّوَاقِ^٣ الِئِيمِ
مَا أَنَا إِلَّا أَحَدٌ لَأَمْنِي
فِيهِ فَبِتْ كَأَنِّي مَحْمُومُ
بِاخِيرٍ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا
غَيْرَانَةٌ^(٣) سُرُحِ الْيَدَيْنِ غَشُومُ^(٣)
إِنِّي لَمُعْذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي
أَسْدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَمِيمُ
أَبْسَامُ تَأْمُرُنِي بِأَعْوَى خَطِيئَةٍ
سَهْمٌ وَتَأْمُرُنِي بِهَا مَخْزُومُ

(١) الأخذ : القليل المتقطع . وورط : أجعد .

(٢) منظر الرواق : عند الإمامة ، أى طويل . والبهيم : الغلام .

(٣) المعرانة من الإبل : الداجية ن اشاط . وسرح اليدين : سريتهما و المعنى .

— ٣٧٥ —

وَأَمْدُ أَسْبَابِ الرَّدَى وَيَقُودُنِي
 أَمْرُ اللُّغْوَةِ وَأَمْرُ مَشْمُومُ
 فَالْيَوْمَ آمَنَ بِاللَّهِ مُحَمَّدُ
 قَلْبِي وَغَطِي هَذِهِ مَحْرُومُ
 مَضَتْ الْمَدَاوَةُ فَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا
 وَدَعَتْ أَوَامِرُ يَبْدُهَا وَحُلُومُ
 خَافَقَرُ فِدَى لَكَ وَالِدَايَ كَلَامَا
 زَالِي فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومُ
 وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ الْمَلِكِ عِلَامَةُ
 نُورٍ أَغْرَتْ وَخَانِمُ مَخْتُومُ
 أَعْطَاكَ بِمُحَمَّدٍ مَحَبَّةَ بَرَاهِنِهِ
 شَرَفًا وَبِرَهْمَانُ الْإِلَهِ عَظِيمُ
 وَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنْ دِيْنَكَ صَادِقُ
 حَقُّ وَأَنْكَ فِي الْعِبَادِ جَسِيمُ
 وَاللَّهِ يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُصْطَفَى
 مُتَقَبَّلٌ فِي الْمَصْطَفَى الْحَمِينِ كَرِيمِ
 قَوْمٌ عِلَاً بَنِيهِ إِنَّهُ مِنْ هَاشِمِ
 فَرَّعَ تَمَكَّنَ فِي الْقَدْرِ وَأُرُومُ^(١)

(٣) القرم : السيد . والأروم : الأصول . قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالقرم
 يشكرها له .

غـ.زوة تبوك

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد منصرفه من عمرة الجعرانة ما بين ذى الحجة إلى رجب ثم أسر أصحابه بالتيهوا وغزو الروم ، وذلك في زمان عُسرة من الناس وشدة من الحر وجذب من البلاد ، وحين طابت النماز والناس يحثون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون للشخص على الخال من الزمان الذي هم عليه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما يخرج في زوة إلا ورثي عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يعمد إليه ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه يبتغي للناس أعمد الشقة وشدة الزمان واثرة العدو الذي يعمد إليه ، ايتأهب الناس لذلك أهبة .

فأمر الناس بالحماز ، وأحبرهم أنه يريد الروم .

[المذاقون]

فقال صلى الله عليه ذات يوم وهو في جماعه لالحد بن قيس أحد بني سلمة : ياخذ هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟ فقال : ما رسول الله أو تأذن لي ولا نفقتي ، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني ، وإنني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصير . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أدنت لك ، ففقيه نرات : « ومنهم من يقول ائذن لي ولا نفقتي . إلا في العتقة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين^(١) » . أي إن كان إنما خشي^(٢) العتقة من نساء بني الأصفر وليس ذلك ، فما سقط فيه

(١) سورة التوبة ٤٩

(٢) الطبري : إنما يخشى .

من الفتنة أ كبر لتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول : وإن جهنم لمن ورائه .

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحرّ : زهادة في الجهاد وشكا في الحق وإرجافاً بالرسول ، فأنزل الله فيهم : « وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نار جهنم أشدّ حرّاً لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا ولينبسكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون^(١) » .

وانع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أناساً من المنافقين يهتمعون في بيت شدّ يلم اليهودى بثبّطون الناس عنه في غزوة تبوك ، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم البيت وفعل طلحة ، فافتحم الضحك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله وافتحم أصحابه فأفلتوا فقال للضحك في ذلك :

كادت وبيت الله نـارُ محمد
يشيط بها الضحك وابن أبيرق
وظأت وقد طهقت ركبس^(٢) سويلم
أنوء على رجلي كسيرا ومرفق
سلامٌ عليكم لا أعود لثلها
أحاف ومن تشمل به النارُ يحرق

* * *

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّ في سفره وأمر الناس بالجهاز

(١) سورة التوبة ٨١ ، ٨٢ .

(٢) السكيس : بيت من طين .

والانكماش ، وحض " أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله ، فعمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثملا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض » .

ثم إن رجلا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم البكاهون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم ، سالم بن عمير وعثبة بن زيد وأبو إيلي بن كعب ، وعمرو بن حنبل ، وهرمي^(١) بن عبد الله ، وعبد الله بن مفضل المزني ، ويقال عبد الله بن عمرو المزني وعمر بن باس بن سارية الخزاري ، فاستعملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أهل حاجة فقال : لا أجيد ما أحتاجكم عليه ، فتواثروا وأعظم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون ، فذكر أن ابن يامين ابن عمير الأنصري لقي أبا إيلي بن كعب وابن مفضل وهما يبكيان فقال : ما يبكيكما ؟ قالوا جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعملنا فلم نجد عنه ما يعملنا عليه وإيس عندنا ما نتفقوى به على الخروج معه فأعطاهما ناضحا له فارتحلاه وزودهما شيئا من تمر فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء المعتدرون من الأعراب فاعتدروا إليه ، فلم يمد لهم الله ، وذكر أنهم نفر من بني غنار .

* * *

ثم استقب برَسُول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، واجمع السير ونخاف منه نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب ، منهم كعب بن مالك أخو بني سلمة ومرارة بن الربيع أخو بني عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية أخو بني واقف ،

وأبو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي سَالِمٍ ، وَكَانُوا نَفَرًا صِدِّيقٍ لَا يَتَّبِعُهُمْ فِي إِسْلَامِهِمْ .
فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرْبَ عَسْكَرِهِ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ
وَضَرْبَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُتَيٍّْ مَعَهُ عَلَى حِدَّةِ عَسْكَرِهِ أَسْفَلَ مِنْهُ نَحْوُ ذُبَابٍ ^(١) وَكَانَ
فَمَا يَزْعُمُونَ لَيْسَ بِأَقْلَ الْعَسْكَرِيِّينَ ، فَلَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
تَخَلَّفَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ فَيَمِينُ تَخَلَّفَ مِنَ الْمُدَاقِقِينَ وَأَهْلُ الرَّيْبِ .

وَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ عَلَى أَهْلِهِ وَأَمْرَهُ
بِالْإِقَامَةِ فِيهِمْ ، فَأَرْجَفَ بِهِ الْمُدَاقِقُونَ وَقَالُوا : مَا خَلْفَهُ إِلَّا اسْتِغْنَالًا لَهُ وَتَخَفُّنًا مِنْهُ
فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ أَخَذَ عَلَى سِلَاحِهِ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجُرْفِ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ زَعِمَ الْمُدَاقِقُونَ أَنَّكَ لِمَا خَلَفْتَنِي أَنَّكَ
اسْتَقْلَفْتَنِي وَتَخَفَفْتَ مِنِّي ، فَقَالَ : « كَذَبُوا وَلَكِنِّي خَلَفْتُكَ لِمَا تَرَكْتُ وَرَأَيْتُ ،
فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ ، أَفَلَا تَرْضَى يَا أَعْلَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ
هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَانَبِيٍّ بَعْدِي » . فَرَجَعَ عَلَى إِلَى الْمَدِينَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَفَرِهِ .

[أَمْرُ أَبِي خَيْثَمَةَ]

ثُمَّ إِنَّ أَبَا خَيْثَمَةَ بَعْدَ أَنْ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَامًا رَجَعَ
إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ ، فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ لَهَا فِي حَائِطِهِ قَدِ رَشَّتْ
كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً وَهَيَّأَتْ لَهُ طَعَامًا ، فَلَمَّا دَخَلَ
قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَدَعَتَا ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصُّبْحِ ^(٢) وَالرِّيحُ وَالْحَرُّ ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلِّ ^(٣) بَارِدٍ وَطَعَامٍ
مِهْيَأً وَامْرَأَةً حَسَنَاءَ فِي مَالِهِ مَقِيمَةً مَا هَذَا بِالنَّصَفِ ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ عَلَى

(١) ذُبَابٌ : جَبَلٌ بِالْجَبَابَةِ أَسْفَلَ مِنْ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ .

(٢) الصُّبْحُ : مَا أَصَابَتْهُ الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ .

(٣) الظُّلُّ : وَهُوَ ظِلَالٌ بَارِدٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ .

عريش واحدة متكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فميتا لي زادا .
ففلما تم قدم ناضحه فارتحله ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أدركه حين نزل بقبوك .

وقد كان أدرك أبا خيثمة في الطريق غير بن وهب الجعفي يطلب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فترافقا ، حتى إذا دوا من قبوك قال أبو خيثمة لعمير :
إن لي ذنباً فلا عليك أن تخاف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففعل حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بقبوك قال
الناس : هذا راكب على الطريق مقبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
كن أبا خيثمة . قالوا : هو والله أبو خيثمة يا رسول الله . فلما أناخ أقبل فسلم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أؤلى
لك يا أبا خيثمة أنتم أخيرة خبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا
له بخير . ويروى أن أبا خيثمة قال في ذلك :

ولما ^(١) رأيت الناس في الدين ذنقوا

أتيت التي كانت أعف وأكرما

وبابعت باليمى يدي للمهد

فلم أكتسب لئماً ولم أغش تحملاً ^(٢)

تركت خضيباً في العريش وصيرمة

صفابا كراما أسرها قد تحملاً ^(٣)

(١) ابن هشام : لما رأيت .

(٢) الخضيب : المرأة الخضربة والصرم : الملائمة من النخل والصفابا : كثيرة الحمل
وأصله في الإبل يقال ناقة صبي إذا كانت غزيرة الدر وجهها صفابا . ووالبسر : التمر قبل أن
يطيب ونعم : أخذ في الإرطاب فسود (شرح السيرة لأبي ذر) .

وكدت إذا شك المنافق أنتمحت
إلى الذين نفسى شطره حيث^(١) يما

* * *

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرّ بالحجر نزلما واستقى الناس
من بئرهما فلما راخوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تشربوا من ماءها
ولا يقوضا^(٢) منه للصلاة وما كان من عجين عجلتموه فاعلفوه الإبل ،
ولأنّاكلوا منه شيئا^(٣) » ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له .

ففعل الناس ما أصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلين من
بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجة وخرج الآخر في طلب بعيره له ، فأما الذي
ذهب لحاجة فإنه خفق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته
الريح حتى طرحته بجبلى طيء ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : ألم أهيكم أن يخرج أحد منكم إلا ومعه صاحبه ؟ ثم دعا للذي أصيب على
مذهبه فشفي ، وأما الذي وقع بجبلى طيء فإن طيئاً أهدته لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حين قدم المدينة .

ولما مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سبى ثوبه على وجهه ،
واستحث راحلته ثم قال : « لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفاً
أن يصيبكم ما أصابهم » .
فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) أتمحت : انتقلت . وشطره : نحره وقصده . ويم : قصد .

(٢) الطبرى وابن هشام : ولا تتوضوا .

(٣) انظر روايات الحديث عن البخارى والإمام أحمد ومسلم ، وكما أوردهما ابن كثير

في سيرته ١٨/٤ .

فدعا فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء . قال محمود بن أبيب : لقد أخبرني رجلان من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الماء بالحجر ما كان ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا : أقبلنا عليه نقول : ويحك ! هل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابة مارة . قيل لمحمد : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله إن كان الرجل يعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفي عشيرته ^(١) ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك .

• • •

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه يقال له عمارة بن حزم وكان عتياً بذرباً وهو عم بني عمرو بن حزم وكان في رحله زيد بن أخطب ^(٢) اللقيطاعى وكان مدافقاً فقال زيد وهو في رحل عمارة وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : « إن رجلاً قال : هذا محمد يخبركم أنه نبي وي زعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته إني والله لا أعلم إلا ما علمني الله وقد داني الله عليهما وهي في الوادي من شئب كذا وكذا وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها » فذهبوا فجاءوا بها فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال : والله أعجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفاً عن مقالة قائل أخبره

(١) الطبري : ومن عشيرته .

(٢) ابن هشام : ابن الأصيب . ويقال به أيضاً : ابن أصيب .

الله عنه . للذى قال زيد بن الأصم . فقال رجل من كان في رَحْل عماره ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأني فأقبل عماره على زيد يماً^(١) في عنقه ويقول : يا لعمرك الله ! إن في رحلي لداهية وما أشعرا أخرج أى عدو الله من رَحْلِي فلا تصحبني . فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك وقال بعض : لم يزل متهماً بشرِّ حتى مات .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون : يا رسول الله تخلف فلان فيقول : « دعوه فإن يك فيه خير فسيُلقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » حتى قيل : يا رسول الله تخلف أبو ذرٍّ وأبطأ به بعيره . فقال : دعوه فإن يك فيه خير فسيُلقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه . وتلوّم^(٢) أبو ذرٍّ على بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمّله على ظهره ثم خرج يقبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض منازلهم ففطر ناظرٌ من المسلمين فقال : يا رسول الله إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا ذرٍّ . فلما تأمله القومُ قالوا : يا رسول الله هو والله أبو ذرٍّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أبا ذرٍّ يمشى وحده ويموت وحده ، ويُبِعث وحده » .

فقضى الله سبحانه أن أبا ذرٍّ لما أخرجه عثمان رضى الله عنه إلى الرَبَذَةِ^(٣) وأدركته بها مديته لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلّامه ، فأوصاها أن أغسلاني وكفّني ثم ضماني على قارعة الطريق فأول ركبت يمرّ بكم فقولوا : هذا أبو ذرٍّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه ، فلما مات فعلا ذلك

(١) يماً : يطمن .

(٢) تلوّم : انتظر .

(٣) الرَبَذَةُ : موضع قرب المدينة .

وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من للعراق عمار ، فلم يرعهم إلا بالجنازة على
 ظم الطريق قد كادت الإبل تطؤها وطم إليهم الغلام فقال : هذا أبوذر
 صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بيبكى
 ويقول : صدق رسول الله : تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك !
 ثم نزل هو وأصحابه فواروه . ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه^(١) وما قال
 له رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى تبوك .

* * *

وقد كان رهط من المنافقين منهم ودبة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف
 وحليف ابني سلمة من أشجع يقال له نخشن بن حجير ، ويقال نخشي ، يشيرون
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض :
 انمحبون جلاد بني الأصفر اكفنا العرب بعضهم بعضاً ؟ والله لسكأننا بكم
 [غداً]^(٢) مقرنين في الحبال إرجافاً وتهيئاً للمؤمنين ، فقال نخشن بن حجير .
 والله أوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا تنفقت أن
 ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا
 أعمار بن ياسر : أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فقامهم عما قالوا ، فإن أنكروا
 فقل : بلى قاتم كذا وكذا فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يمتذرون ، فقال ودبة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه
 وسلم واقف على ناقته فجعل يقول وهو آخذ بحمها : يا رسول الله إنما كنا
 نخوض ونلعب . فأنزل الله عز وجل فيهم « وإنن سألهم ليقولن إنما كنا

(١) قال ابن كثير : إسناده حسن ولم يخرجوه . السيرة ١٥/٤ .

(٢) من الطبري وابن هشام .

نخوضُ ونلعب^(١) » ١١ وقال نخشن بن حير : يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي . فكان الذي عني عنه في هذه الآية نخشن بن حير فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله أن يثقله شهيداً لا يعلم مكانه ، فقتل يوم البجعة فلم يوجد له أثر .

[مصالحة أهل أيلة]

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه أبو حنينة بن ربيعة صاحب أيلة فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطى الجزية . وأتاه أهل جزياء وأذرح فأعطوا الجزية ، وكتب^(٢) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فهو عندهم : « بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحفظه بن ربيعة وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان منهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فن أخذت منهم حداً فإنه لا يحول ماله دون نفسه وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمتنعوا ماء بريدونه ولا طريقاً بريدونه^(٣) من بر أو بحر .

[سرية خالد إلى أكيدر]

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك رجل من كعدة كان ملكاً عليها وكان نصرانياً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يصيد البقر . فخرج خالد حتى إذا كان من حصده بمنظر العين في ليلة مقمرة صائفة وهو على

(١) سورة التوبة ٦٥ .

(٢) الطبري : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل كتاباً فهو عندهم .

وفي ابن هشام : فكتب ليحفظه بن ربيعة .

(٣) ابن هشام : بريدونه .

سطح له ومعه امرأته فباتت البقر تحمك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله . قالت : فمن يترك هذه ^(١) ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه فأخرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان فركب وخرجوا معه بمطاردتهم ، فلما خرجوا تلقى منهم حيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته وقتلوا أحاه ، وكان عليه قباء ديباج غموص بالذهب ، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويقتربون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتتبعون من هذا ؟ فوالذي نفسي بيده لتنادي سعد بن ماعز في الجفة أحسن من هذا !

ثم قدّم خالد بأبي بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله .

فقال رجل من طيء : يقال له بُحَيْر بن بُحَيْرَة يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يصيد للبقر . وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته لتصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تبارك ——— سائقُ البقرات إلى

رأيتُ الله يَهْدِي كلَّ هَادِي

فمن بك حائداً عن ذى تبوك

فإنا قد أمرنا بالجهم ———

| رجوع الرسول عن تبوك |

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضعة عشرة ليلة ولم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة .

(١) الطبرى : فمن يترك هذا .

وكان في الطريق ماء يخرج من وشل^(١) يتروى الراكب والراكبين والثلاثة
براد يقال له وادي المشقق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سبقنا إلى
الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه . فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه
فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يرفيه شيئاً فقال : من
سبقنا إلى هذا ؟ فقيل : يا رسول الله فلان وفلان . فقال : أو لم أنهيكم أن تستقوا
منه شيئاً حتى آتيه ؟ ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا عليهم ، ثم نزل
فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم فضعه به
ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق الماء كما يقول من سمعه
ما إن له حساً كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن بقيتم أو من بقي منكم لتأسمن بهذا الوادي .
وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه » .

* * *

ومات في هذه الغزوة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله
ذو الجنادين ، لأنه كان يفزع إلى الإسلام فيمنعه قومه من ذلك ويضيقون
عليه حتى تركوه في بجاد لبس عليه غيره ، والبجاد : الكساء الغليظ ، فهرب
منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان قريباً منه شق بجاده بانهين .
فانزروا واحداً واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل له .
ذو الجنادين لذلك . فكان عبد الله بن مسعود يحدث قال : قت من جوف
الليل وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فرأيت شملة من
نار في ناحية العسكر فاتبتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) الوهل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً .

وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات، وإذا هم قد حفروا له ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة وأبو بكر وعمر يدانيانه إليه وهو يقول: أذلياً إلى أخاك فدلّياه إليه، فلما هيأ له لشقه قال: «اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه» يقول عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة!

وقال أبو رهم الغفاري، وكان ممن بايع تحت الشجرة: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك، فسرت ذات ليلة معه قريباً منه وألقي علينا اللداس، فطفت أستيقظ وقد دنت راحتي من راحته عليه السلام فيفزعني دنوها مخافة أن أصيب رجله في الغرز، فاستيقظت إلا أقوله: حسن^(١) فقلت يارسول الله استعفر لي قال: سر. فجمعل بسأني عن نخاف من بي غفار فأخبره به، فقال وهو بسأني: ما فعل اللفر الحمر الطوال للثطاط^(٢) حدثته بتخلههم، قال: فافعل اللفر للسود الجمد للقصار؟ قلت: والله ما أعرف هؤلاء مدس. قال: بل الذين لهم نعم بشبكة شدخ^(٣) فتدكرتهم في بي غفار فلم أذكرهم حتى ذكرت أسهم رهط أسلم كانوا حلفاء فينا، فقلت: يارسول الله أولئك رهط من أسلم حلفاء فينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مامنع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إله امرأ أشيطاً في سبيل الله؟ إن أمر أهل على أن يتخلف على المهاجرين من قريش والأنصار وغفار وأسلم».

[مسعود الغرار]

قال ابن اسحق: ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أوان

(١) حسن: كلمة تدل على التألم.

(٢) الثطاط: جمع نط، وهو القليل من الرحبة.

(٣) شبكة شدخ: ماء لأسام من بي غفار.

بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب المسجد الضَّرَّار قد أتوه وهو
يتجهز إلى تبوك فقالوا : يا رسول الله إنا قد بقينا مسجداً لدى العلة والحاجة
والليلة المطيرة واليلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال : إني على
جناح سفر وحال شغل . أو كما قال صلى الله عليه وسلم . ولو قد قدمنا إن شاء الله
لأتيناكم فصلينا لكم فيه . فلما نزل بدى أوان أنه أخبر المسجد فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مالك بن النخشم أخا بني سالم بن عوف ومثنى بن عدي
أو أخاه حاتم بن عدي أخا بني العجلان فقال : انطلقا إلى هذا المسجد للظالم
أهله فاهدماه وحرِّقاه فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف رهط مالك فقال
مالك لمن : أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي . فدخل إلى أهله فأخذ
سَعْفًا من البخل فأشعل فيه ناراً ثم خرجا يشقان حتى دخلاه وفيه أهله فحرِّقاه
وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن منازل : « والذين اتخذوا مسجداً
ضُرَّاراً وكُفَّراً وتفرقاً بين المؤمنين ^(١) » إلى آخر القصة .

[المخلفون]

وقدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد كان تخلف عنه من تخلف
من المنافقين ، وأولئك الرهطُ الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق :
كعب بن مالك ومُرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأصحابه : لا تُكَلِّمَنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة . وأتاه من تخلف عنه من
المنافقين فجهلوا يخلفون له ربة تذرون فصقح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يَعْذِرهم الله ولا رسوله ، فاعتزل المسلمون كلامَ أولئك الدفر الثلاثة .

(١) سورة التوبة ١٠٧ .

فحدث كعب بن مالك قال : ما تخلفت عن رسول الله في غزوة غزاها قط ، غير أني تخلفت عنه في غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاقب الله فيها ولا رسوله أحداً تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد غير قريش فجمع الله بيده وبين عدوه على غير ميعاد ، واقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المعركة حين تواتفنا على الإسلام وما أحب أن لي بها شهيد بدر ، وإن كانت غزوة بدر هي أذكرك في الناس منها .

وكان من خبري حين تخلفت عنه في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت لي راحتان قط حتى اجتمعتا لي في تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما يريد غزوة يفزوها إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك للغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً واستقبل هزواً وعدواً كثير ، فجاء الناس أمرهم أيتأهبوا لذلك أهبطه وأحبرهم خبره بوجهه الذي يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يحصونهم كتاب حافظ ، بمعنى بذلك الديوان ، فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك ما لم ينزل فيه وحى من الله تعالى .

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأحييت الخلال فالناس إليها صُـر^(١) ، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز المسلمون معه ، وجهلت أعدوا لتجهز معهم فأرجع ولم أفض حاجة فأقول في نفسي : أنا قادر على ذلك إذا أردت . فلم يزل ذلك يتبادى بي حتى شمر بالناس

الجد^(١) وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئاً فقلت : أتجهز بعده بيوم أو بيومين ثم ألحق بهم ، فعدوت بعد أن مضوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم عدوت فرجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل ذلك بنمادى بنى حتى أسرعوا وتفرد^(٢) للفرز فمهمت أن أرتحل فأدركهم ، وليتني فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطقت فيهم يحزنني أنى لا أرى إلا رجلاً ممنو^(٣) عليه في الاتفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضملاء . ولم يذكروني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سلة : يا رسول الله حبسه بُرداه والظفر في عطفه . فقال له معاذ : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيراً . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلاً حضر لي بشي^(٤) فجعلت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخط رسول الله صلى الله عليه وسلم غداً ؟ واستمعين على ذلك كل ذي رأى من أهلى ، فلما قيل لي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أغل قادمًا زاح عني اللبطل وعرفت أن لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجهمت أن أصدق .

وصي^(٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قديم من سفر بدأ

(١) ابن هشام : حتى شمر الناس بالجد . ورواية البخارى : حتى اشتد بالناس الجد

(٢) رواية البخارى : وتفرد الفرز . والمعنى : فات وسبق .

(٣) ممنو^(٤) : مملونا .

(٤) البخارى : حضرني همى .

بالسجدة فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المخلفون من الأعراب فجعلوا يحلفون له ويمتدرون ، وكانوا بصحة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وإيمانهم ويستغفر لهم ويكلم سرائرهم إلى الله ، حتى جثت فسدت عليه فتقسم بينهم المذهب ثم قال لي : تعاله . فبعثت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي : ما خلفك ألم تسكن ابتعت ظهرك ؟ قلت : يا رسول الله والله لم جلست عند غيرك من أهل الدنيا لأبى أني سأخرج من سخطه بمنذر وأقد أعطيت جدلا ، ولست والله قد علمت أني حدثتك اليوم حديثا أذا أترضين عني وأيوشكن الله أن يسخط علي ، وأن حدثتك اليوم حديثا صادقا نحمد على منه إلى لأرجو عقابي من الله فيه ، لا والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تحدثت بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضى الله فيك . فقامت .

ونار معي رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا : والله ما علمتك ذلك أذنبت ذنباً قبل هذا ، وأقد عجزت أن لا تسكون اعتدلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتدلت إليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله ما زالوا لي حتى أردت أن أجمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي ، ثم قالت لهم : هل اتى هذا أحد غيري ؟ قالوا : نعم : جلان قال مثل ذلك وقيل لهما مثل ما قيل لك . قلت : من هما ؟ قالوا : مزارعة بن الربيع اللعمرى وهلال بن أمية الواقفي . فدكروا لي رجلين صالحين فبهما أشوة حسنة ، فقامت حين ذكروها . لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامها أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبوا الناس

وتغيروا لما حتى تنسكروا لى نفسى والأرضُ فما هى بالأرض التى كنت أعرف .

فلبذا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبائى فاستكانا فقعدا فى بيوتهما ، وأما أنا فسكنت أشبَّ القوم وأجلدتم فسكنت أخرج وأشهد الصلوات مع المسلمين وأطوف بالأسواق لا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى: هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عني .

حتى إذا طال ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلى فسلمت عليه فوالله ما رد السلام ، فقلت : يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلم الى أحب الله ورسوله ؟ فسكت فمدت فناشدته فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيهاى ووئبت فتسوّرت الحائط . ثم عدوت إلى السوق فبينما أنا أمشى بالسوق إذا نبطى يسأل عني من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيمه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ ففعل للناس يشيرون له إلى ، حتى جاءنى فدفع إلى كتابا من ملك غسان فى سرقة^(١) من حرير فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مهنعة فالحق بنا نؤاسك . قلت حين قرأتها : هذا من البلاء أيضا قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك فمدت إلى تنور فسجّرت^(٢) بها .

(١) السرقة : شقة الحرير .

(٢) سجّرت : أشعلته .

فأقنا على ذلك حتى مضت أربعون ليلة من الخسرين ، إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرك أن تهزل امرأتك . فقلت : أطلقها أم ماذا ؟ قال : لا بل اعزلها ولا تقربها . وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك ، فقلت لامرأتي : الحق بأهلك وتكوني فيهم حتى يقضى الله في هذا الأمر ما هو قاض .

وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع إلا حادماً^(١) ، أفنذكره أن أحدهم ؟ قال : ولكن لا تقربك . قالت : يا رسول الله والله ما به من حركة ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذ واقعد تعوفت على بصره . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت : والله لا استأذن فيها ، ما أدرى ما يقول لي في ذلك إذا استأذنته وأنا رجلاً شاباً .

• • •

قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فأكمل أنا وخمسون من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامها ، ثم صليت للصبح صبح خمسين ليلة على ظهر^(٢) بيت من بيوتنا على الحال^(٣) التي ذكر الله لها ، قد صاقت علينا الأرض بما رحبت وصاقت على نفسي ، وقد كنت ابتليت حيلة

(١) كذا بالأصل . ورواية ابن هشام : لا خادم له . ورواية البخاري : ليس له خادم .

(٢) البخاري : وأنا على ظهر .

(٣) البخاري : فبينما أنا جالس على الحال الخ .

في ظهر سَلْع ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على سَلْع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر . فخرزت ساجداً وعرفت أن قد جاءني الفرج .

قال : وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله عليهم حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا وذهب نحو صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرساً ومعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى نزعت ثوبي فكسوتهما إياه بشاراً ، ووالله ما أملك يومئذ غيرها ، واستمرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقاني الناس يبشرونني بالتوبة يقولون : ليهنك توبة الله عليك . حتى دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله فحياي وهنأني ، ووالله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره . فكان كعب لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ووجهه يشرق من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ يوم ولدتك أمك . قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كان وجهه قطعة قر ، وكنا نمرف ذلك منه .

قال : فلما جلست بين يديه ، قلت : يا رسول الله إن من توبتي إلى الله أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله . قال : أمسك عليك بعض

مالك فهو خير لك . قالت : إني مُنك سمي الذي بحيه . وقالت :
يا رسول الله إن الله قد نمتني بالصدق ، فإن توبى إلى الله أن لا أحدث
إلا صدقاً ما بقيت . والله ما أعلم أحداً من الناس إلا الله في صدق الحديث
منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفصل مما أبلاني ، والله
ما تعددت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
يومى هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقى .

وانزل الله تبارك وتعالى : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار
الذين اتبعوه في ساعة التوبة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم
ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم » وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا
ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ
من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو للتواب الرحيم • بئسها
الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ^(١) .

قال كعب : فوالله ما أتم الله على نعمة قط بعد أن هداني الإسلام
كانت أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ،
إن لا أكون كذنته فأهلك كما هلك الذين كذبوه ، فإن الله تبارك وتعالى
قال في الذين كذبوه شر ما قال لأحد : « سيخيلون بالله استكم إذا اتعابتم إليهم
لنقرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إهم رجس ومأواهم بهم حرام ما كانوا
يسكتون » يخيلون استكم أنقرضوا عنهم فإن تعرضوا عنهم فإن الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين ^(٢) .

(١) - سورة التوبة ١١٢ - ١١٩ .

(٢) - سورة التوبة ٩٥ ، ٩٦ .

قال : وكذا خُلِقْنَا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قِيلَ منهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فمَدَرَم واستخفَر لهم ، وأَرْجَأَ
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَمْرَنَا حتَّى قضى الله فيه ما قضى ، فلذلك قال الله
تبارك وتعالى : « وعلى الثلاثة الذين خُلِقُوا » وليس الذي ذكر من تخليفها
لتخلفنا عن الغزوة ، ولكن لتخليفه إيانا وإرجائه أَمْرَنَا عن من حَلَفَ
له واعتذر إليه فقبل مده .

ذكر إسلام ثقيف

وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتحدث قومه : إنهم قاتلوك . وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم . فقال عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبقارهم . ويقال : من أبقارهم . وكان فيهم كذلك محبة مطاعاً .

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء ألا يخالفوه لمرلته بينهم ، فلما أشرف لهم على غلبة له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهروا لهم ديبه رموه بالقبيل من آل وجه فأصابه سهم فقتله ، فقيل له : ما ترى في ذلك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقوا الله إلى فليس في إلا ما في للشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن مثله في قومه أشكثل صاحب بائع في قومه » .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة شهراً ، ثم إنهم انقمروا بينهم وراوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا ، فشى عمرو ابن أمية أخو بني عِلاج . وكان من أذى العرب إلى عبد باليل بن عمرو

حتى دخل داره وكان قبلُ مهاجراً له الذي بينهما سيي^(١) ثم أرسل إليه ،
أن عمرو بن أمية يقول لك : اخرج إلى . فقال عبد البليل للرسول : وبلك
أعمرؤ أرسلك إلى ؟ قال : نعم وها هو ذا واقفاً في دارك . قال : إن هذا
أشيء ما كنت أظنه ، أعمرو كان أشتع في نفسه من ذلك . فخرج إليه فلما
رآه رحّب به فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا ما ليس معه هجرة ، إنه قد
كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، وقد أسلمت للعرب كلها ، وليست
اسكم بحريهم طاقة فانظروا في أمركم .

فعمد ذلك انقمرت ثقيف بينهما وقال بعضهم لبعض : ألا ترون أنه
لا يآمن اسكم سرب ولا يخرج عنكم أحد إلا اقتطع ؟ فاثقمتوا بينهم وأجمعوا
أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أرسلوا عروة . فكلّموا
عبد البليل وكان سنّ عروة ، وعرضوا عليه ذلك فأبى أن يفعل وخشى أن يصنّع
به إذا رجع كما صنّع بعروة فقال : است فاعلا حتى ترسلوا معي رجالا .
فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك فيكونوا
سنة ، فبعثوا مع عبد البليل الحكمم بن عمرو بن وهب بن مُعْتَب ، وشرحْبِيل
ابن غَيْلان بن سلمة بن مُعْتَب . ومن بني مالك : عثمان بن أبي العاص وأوس
ابن عوف ونُسَيْر بن خَرْشة .

فخرج بهم عبدُ البليل وهو نابُ القوم^(٢) وصاحب أمرهم ، ولم يخرج
بهم إلا خشيةً من مثل ما صنّع بعروة بن مسمود اسكي بشغل كل رجل منهم

(١) في شرح المواهب : أشيء كان بينهما .

(٢) ناب القوم : كبيرهم والمدافع عنهم .

إذا رجعوا إلى الطائف رملهم ، فلما دنا من المدينة ونزلوا قناتاً^(١) ألّفوا بها
 المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وكانت رعيتهما نوباً عليهم ، فلما رآهم ترك الركاب عند النّفقين وضرب^(٢)
 يشقّ يشقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمهم ، فاقبه أبو بكر الصديق
 قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدمهم يريدون
 للبيعة والإسلام وأن يشترطوا شروطاً ويكتبوا من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كتاباً . فقال أبو بكر رضي الله عنه المغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقني
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه . ففعل المغيرة .
 فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ثم خرج
 المغيرة إلى أصحابه فروح الظاهر معهم وعلمهم كيف يحيثون رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية .

ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة في ناحية
 مسجده كما يزعمون ، فسكان خالد بن سعيد هو الذي يمشى بينهم وبين
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكتفبوا كتابهم ، كتبته خالد بيده
 وكانوا لا يظلمون طعماً بأنهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بأكل
 منه خالد حتى أسلوا وفرغوا من كتابهم .

وقد كان فيما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية
 وهي الثلاث لا يهدمها ثلاث سدين فأبى ذلك عليهم ، فأرحوا بسألونه

(١) قنات : واد بالمدينة ، وهو أحد أوديتها الثلاثة ، عليه حرت ومال ، وقد يقال :
 وادي قنات . معجم البلدان .

(٢) ضرب : أسرع . يقال : ضرب الفرس إذا هدا ، أو جمع قوائمه وولب .

سنة سنة ويأبى حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسألوا بتركها من سفهائهم ونسأهم وذرائعهم وبكرهون أن يرؤعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ، فأبى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها . وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما كسر أوثانكم فستعفيكم منه ، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه ^(١) » .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً أمر عليهم عثمان بن أبي العاص وكان من أخذتهم سباً فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إني قد رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفتة في الإسلام وتعلم القرآن . فحدث عثمان بن العاص قال : كان من آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني على ثقيف أن قال : « يا عثمان تجاوز في صلاتك واقدر للناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة » .

فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا راجعين إلى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية ، فخرجوا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان ،

(١) زاد ابن هشام والطبري : فقالوا : يا محمد أما هذه فسنؤتيكمها وإن كانت دناءة .

فأبى ذلك عليه أبو سفيان وقال : ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان
بما له بذي الهمد^(١) ، فلما دخل علاها بضربها بالعمول وقام دونه قومه بدو
مُعَقَّب خشية أن يُرْمَى أو يصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حُمُرا
يبكين عليها ويقلن :

اتَّبِسْكَيْن دُقَاع أسلها الرضاع^(٢)
لم يُخْسِدُوا الرضاع^(٣)

فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحايها أرسل إلى أبي سفيان وحايها
المجموع^(٤) [وما لها من الذهب والعجزع^(٥)].

وقد كان أبو مليح ابن عروة وقارب بن الأسود قديما على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف حين قُتل عروة يربدان فوثق ثقيف
وأن لا يُجَامِعَ على شيء أبدا . فأسلما فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
توليا من شئنا فقالا : نتولى الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : وخالكما أبا سفيان بن حرب . فقالا : وخالنا أبا سفيان . فلما
أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أما سفيان والمغيرة
إلى هدم الطاغية سأل أبو مليح رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقص

(١) كذا في الأصل . وافدا لابن هشام وابن كثير . ووالضوى ط أورد : بذي الهرم .
والهدم : ماء وراء وادي القري . تأ . و . معجم اللغات .
(٢) الضري : ألا تكين . و ابن كثير : لنكس : والدع الزهر . السليم يدغم
به مثله وسماها بذلك لظنهم أنها مدغم عنهم . والرضاع : اللثيم .
(٣) الرضاع : الضرب .
(٤) من الطاهري وابن هشام .
(٥) الجرع : الخرز . ياتي الضوى فيه سواد ويابس .

عن أبيه عروة دينا كان عليه من مال الطاغية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود يارسول الله فاقضه . وعروة والأسود أخوان لأب وأم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأسود مات مشركا » . فقال قارب : يارسول الله لكن تعيل مُسلما ذا قرابة . يعنى نفسه . إنما الدين على وإنما أنا الذى أطلب به . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية فلما جمع الغيرة ما لها ذكرَّ أبا سفيان بذلك فقضى منه عنهما .

[رواية موسى بن عقبة]

هكذا ذكر ابن إسحق إسلام أهل الطائف بمقب غزوة تبوك في رمضان من سنة تسع قبل حج أبي بكر بالناس آخر تلك السنة . وجعل ابن عقبة قدوم عروة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتله في قومه وإسلام تقيف كل ذلك بعد صدر أبي بكر عن حجة . وبين حديثه وحديث ابن إسحق بعض اختلاف ، رأيت ذكر حديث ابن عقبة وإن كان أكثره مُعاداً لأجل ذلك الاختلاف ، ثم أذكر بعده حجة أبي بكر في الموضع الذى ذكرها فيه ابن إسحق .

قال موسى بن عقبة : فلما صدر أبو بكر من حجة بالناس قدم عروة ابن مسعود الثقفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرجوع إلى قومه فقال له : إني أخاف أن يقتلوك قالى : لو وجدونى نائما ما أيقظونى . فأذن له فرجع إلى الطائف وقدمها

عشاءاً فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم إلى الإسلام ونصح لهم فاتهموه وأعضوه^(١) واسمعه من الأذى ما لم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده حتى إذا استعروا وسطع للفرج قام على غرفة في داره فأذن بالصلاة ونشده ، فرماه رجل من ثقيف^(٢) بهم فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلفسه قتله : « مثل عُرْوَة مثل صاحب ياسين ، دعا قومه إلى الله ، فقتلوه » .

وأقبل بعد قتله وفد من ثقيف بضممة عشر رجلاً هم أشرف ثقيف ، فيهم كنانة بن عبد البائل وهو رأسهم يومئذ ، وفيهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغر القوم حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يريدون الصلح حين رأوا أن قد فتحت مكة وأسلم عامة العرب ، فقال المغيرة بن شُعْبَة : يا رسول الله أنزل على قومي أكرمهم بذلك فإن حدث الجرم فيهم^(٣) . قال : لا أمهلك أن تكرم قومتك ولكن تنزلهم حيث يسمعون القرآن . فأنزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وبني لهم خياماً اسكنهم يسمعون القرآن ويروا الناس إذا صلوا . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب لم يذكر نفسه ، فلما سمعه وفد ثقيف قالوا : يأمرنا أن نشهد أنه رسول الله

(١) أعضوه : قالوا له : اعضض كذا . مما كانت العرب تسب به بعضها .

(٢) قال الواقدي : يقال له وهب بن جابر . ويقال : رماه أوس بن عوف من بني مالك وهذا أثبت عندنا . مناقبي الواقدي ٣ / ٩٦١ .

(٣) قال الواقدي : وكان جرهم المغيرة أنه خرج في ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك ، فدعاهم على المقوس لحيايتي مالك وجفاء وهو من الأحلاف ، وكان معه رجلان الفريدي وديمون ، فلما كانوا بسباق وضوا شراهما لهم لسقام المغيرة بيده ، لجل يهتف عن نفسه وينزع إلى مالك حتى شملوا وناموا ، فلما ناموا وب إليهم فقتلهم . مناقبي الواقدي ٣ / ٩٦٤ .

ولا يشهد به في خطبته ١ فلما بلغه قولهم قال : فإني أول من يشهد أني رسول الله .

وكانوا يقدون على رسول الله كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص على رحلهم لأنه أصغرهم ، فسكر عثمان كما رجع الوفد إليه وقالوا بالمهاجرة عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الدين واستقرأ القرآن ، فاختلف إليه عثمان مراراً حتى فقه في الدين وعلم . وكان إذا وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نائماً عمد إلى أبي بكر ، وكان يكنم ذلك من أصحابه ، فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبّه .

فسكت الوفد يخلفون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم إلى الإسلام ، فقال له كنانة بن عبد ياليل : هل أنت مُقاضينا حتى نرجع إلى قومنا ثم نرجع إليك ؟ فقال : « نعم إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضيتكم وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم » . قالوا : أرأيت الزنا ؟ فإننا قومٌ نغترب ولا بد لنا منه . قال : هو عليكم حرام إن الله يقول : « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ^(١) » .

قالوا : فالربا ؟ قال : والربا . قالوا : إنه أموالنا كلها . قال : فلستم ردوس أموالكم ، قال الله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ^(٢) » قالوا فالخمر ؟ فإنها عصير أرضنا ولا بد لنا منها . قال إن الله قد حرمها قال الله : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ

(١) سورة الإسراء ٣٢ .

(٢) سورة البقرة ٢٧٨ .

رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ أَلَمْ تَكُونُ (١) .

فارتفع القوم بغلا بعضهم إلى بعض وقالوا : وبحكم إنا نخاف إن خالفناه يوماً كيوم مكة ، انطلقوا فأعطوه ما سأل وأجيبوه . فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : لك ما سألت . أرايت الربة ماذا نصنع فيها ؟ قال : اهدموها قالوا : هيات لوتعلم الربة أمانريد هدمها اقتلت أهلكنا . فقال عمر : وبحكم يا بن عبد ياليل ما أحقك إنا الربة حجرة ا قال : إنا لم نأتك يا بن الخطاب . ثم قال : يا رسول الله نول أنت هدمها فأما نحن فلن نهدمها أبداً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسأبت إليكم من يكفيمكم هدمها . قال كنانة انذن لنا قبل رسولاك ثم ابعت في آثارنا ، فإني أعلم بقومي . فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكرمهم وحملهم . قالوا : يا رسول الله أمر علينا رجلاً يؤمننا . فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رأى من حرصه على الإسلام وقد كان علم سوراً من القرآن قبل أن يخرج .

وقال كنانة لأصحابه : أنا أعلمكم بتقريف فاكتموم إسلامكم وخوفوم الحرب والقتال وأخبروم أن محمداً سألنا أموراً أيقناها عليه ، سألنا أن نهدم اللات ونبتل أموالنا في الربا ونحرّم الخمر .

حتى إذا دنوا من الطائف خرجت إليهم ثقيف يتلقونهم ، فلما رأوم قد ساروا العتق (٢) وقطروا الإبل ونعشوا ثيابهم كهيفة قوم قد حزنوا أو كذبوا قالت ثقيف بعضهم لبعض : ما جاءكم بخير . فلما دخلوا حصنهم عمدوا للآلات

(١) سورة المائدة ٩٠ .

(٢) العتق من السير : الميسر .

(٣) قطروا الإبل : أربوا بعضها إل بعض عل نسق .

فجلسوا عندها ، واللات بيت كانوا يعبدون ويسترونه ويهدون له للهدى
يُضَاهون به بيت الله . ثم رجع كل واحد منهم إلى أهله فجاء كل رجل حامية
من ثقيف فسألوه : ماذا جئتم به ؟ قالوا : أتينا رجلاً فظاً غليظاً يأخذ من أمره
ما شاء قد ظهر بالسيف وأدخ العرب ودان له الناس ، فعرض علينا أموراً شِداداً
هَدم اللات وترك الأموال في الربا إلا رهوس أموالكم وحرّم الخمر والزنا .
قالت ثقيف : والله لا نقبل هذا أبداً . قال الوفد : أصلحوا السلاح وتهيئوا
للقِتال ورُموا حصنكم .

فكثت ثقيف بذلك يومين أو ثلاثة تريد للقتال ثم ألقى الله الرعب في
قلوبهم وقالوا : والله مالنا به طاقة أدخ العرب كلها فارجموا إليه فأعطوه ماسأل
وصالحوه عليه . فلما رأى الوفد أنهم قد رُعبوا واختاروا الأمن على الخوف وعلى
الحرب ، قالوا لهم : إنا قد فرغنا من ذلك ، قد قاضينا وأسلمنا وأعطانا
ما أحببنا واشترطنا ما أردنا وجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم
وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قاضينا عليه . فقالت ثقيف : فلم
كنتمونا هذا الحديث وغتمتمونا بذلك أشدّ لكم ؟ قالوا : أردنا أن ينزع الله
من قلوبكم نخوة الشيطان ، فأسلموا مكانهم واستسلموا .

فكثوا أياماً ثم قدم عليهم رُسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُمّر
عليهم خالد بن الوليد وفيهم المغيرة بن شعبة ، فلما قدموا عليهم عمدوا إلى اللات
ليهدموها وانكفأت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج للعواتق
من الحِجَال وهم لا يرون أنها تُهدم ويظنون أنها ستمتّع . فقام المغيرة بن شعبة
وقال لأصحابه : لأنحسبكم من ثقيف فأخذ الكرزن^(١) ففصر به ثم أخذ

(١) الكرزن : المول .

برتكض فارتجأ أهل اللطائف بصيعة واحدة وقالوا : أبعد الله المنيعة قد قتلتها
 للربذة ا وفرحوا حين رأوه ساقطاً وقالوا : من شاء منكم فليقترب ويجهد على هذمها
 فوالله لا تستطاع أبداً . فوثب المنيعة فقال : قبحكم الله يامعشر ثقيف ا إنما
 هي لسكاع حجارة ومدرا ا ثم ضرب الباب فكسره ثم علا على سورها وعلا
 للرجال معه ، فزالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سووها بالأرض وجعل
 صاحب المفاتيح يقول : ايضضين الأساس فليضفن بهم . فلما سمع ذلك المنيعة
 قال لخالد : دعني أحفر أساسها . فحفروها حتى أخرجوا نراسها وأخذوا حلبيها
 وثيابها . فبهتت ثقيف .

وانصرف الوفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاليتها وكسوتها فقسمه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه وحمد الله على نصر نبيه وإعزاز دينه .

ذكر حجج أبي بكر الصديق

رضي الله عنه بالناس سنة تسع وتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على بن أبي طالب بعده بسورة براءة

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الحج من
سنة تسع ليقيم المسلمين حجهم ، ونزلت بعد بعثه إياه « براءة » في نقض
ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذي كانوا
عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يُعَدَّ عن البيت أحدٌ جاءه ولا يخاف على
أحد في الشهر الحرام ، وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين أهل الشرك ،
وكان بين ذلك عهدٌ خصائص بينه وبين قبائل العرب إلى آجال مُسمّاة
فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عن تبوك وفي قول من قال منهم
فكشفت الله سرائر قوم كانوا يستخفون بغير ما يُظهرون .

ف قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو بعثت إلى أبي بكر ؟ فقال :
لا يؤدى عني إلا رجل من أهل بيتي . ثم دعا علي بن أبي طالب فقال :
« اخرج بهذه القصّة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا
بمعنى : أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يمجّ بعد العام مُشرك ولا يطوف
بالبیت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ فهو
إلى مدته » .

فخرج عليّ على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم للتّصيّب حتى أدرك

أبا بكر الصديق بالطريق ، فلما رآه أبو بكر قال : أمير أم مأمور ؟ قال : بل مأمور . ومضى .

فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل إلى قومه إلى ثمنهم وبلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كذب له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فهو له إلى مدته .

فلم يعجج بعد ذلك للامام مشرك ولم يطف بالبيت عريان ، وكانت براءة تسمى في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم « البراءة » لما كشفت من سراير الناس .

| عدد غزوات الرسول |

وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعة وعشرين غزوة :^(١) غزوة ودان وهي غزوة الأنواء ، ثم غزوة بواط من ناحية رضوى ،

(١) قال الطبري : وكانت غزواته (س) بنفسه ستا وعشرين غزوة .

ويقول بعضهم : من سبع وعشرون غزوة ، من قال سبعا وعشرين جعل غزوة النهي صلى الله عليه وسلم وغزوة من خيبر إلى وادي القرى غزوة واحدة . . ومن قال من سبع وعشرين جعل غزوة بدر غزوة وغزوة وادي القرى غزوة أخرى . . تاريخ الطبري ١٧٠٦ (ط أوربا) .

ثم غزوة المشيرة من بطن ينبع ثم غزوة بدر [الأولى ^(١)] يطلب كُرُز ابن جابر ، ثم غزوة بدر التي قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بني سلهم حين بلغ الكدُر ، ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان [إلى نجد ^(٢)] وهي غزوة ذي أمر ، ثم غزوة بخران متعدين بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ^(٣) ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني إحيان من هذيل ، ثم غزوة ذي قرد ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصدّه المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم عمرة القضاء ^(٤) ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك .

قاتل صلى الله عليه وسلم في تسع غزوات منها : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، وبني المصطلق وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف . وهذا الترتيب عن ابن إسحق ، وخالفه ابن عتبة في بعضه .

[سرايا رسول الله]

وكانت بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانية وثلاثين

(١) من الطبري .

(٢) من الطبري .

(٣) الطبري : الأخرى .

(٤) الطبري : ثم اعتمر عمرة القضاء .

من بين بَعَثَ وسَرِيَّة : غزوة عبيدة بن الحارث أسفل ثنية الشرة ، وغزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر من ناحية الميصر ، وبمعص الفاس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة . وغزوة سعد بن أبي وقاص للخزرج ، وغزوة عهد الله بن جعش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة القرنة ، وغزوة محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف ، وغزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرجيم ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر ممونة ، وغزوة أبي عبيدة بن الجراح ذالقعدة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب ثربة من أرض بني هاجر ، وغزوة علي بن أبي طالب اليمن .

[غزوة غالب بن عبد الله إلى السكديد]

وغزوة غالب بن عبد الله السكفي كلب ايث ، السكديد . فأصاب بني الملوح وكان من حديثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في سرية وأمره أن يشن الغارة على بني الملوح وهم بالسكديد . قال جندب بن مسكين الجعفي ، وكان مع غالب في سرية هذه : فخرجنا حتى إذا كنا بقديد أقيما الحارث بن مالك وهو ابن الرصاص الأثني فأخذناه فقال : إلى جئت أريد الإسلام وما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالنا له : إن تلك مسلما فإن يضررك رباط أيلة ، وإن تلك على غير ذلك كما قد استوثقنا منك فشددناه رباطا ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا وقالنا له : إن هازك^(١) فاحترز رأسه .

قال : ثم سرنا حتى أتينا السكديد عند غروب الشمس فسكرتنا في ناحية الوادي وبهني أصحابي ربيعة لهم ، فخرجت حتى آتينا تلاء مشرفا على

(١) هازك : غائبك .

الحاضر فأشدت فيه فعلوت في رأسه فنظرت إلى الحاضر فوالله إنى لمبطح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه فقال لاسرائه : إنى لأرى على التل سواداً مارأيت في أول يومى فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين شيئاً لانكون الكلاب جرت بعضها . فنظرت فقالت : والله ما أفقد شيئاً . قال : ففاوليني قوسى وسهمين . ففاولته فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ جني^(١) فأنزعه وأضعه وثبت مكانى . ثم أرسل الآخر فوضعه فى مكبى فأنزعه وأضعه وثبت مكانى . فقال لاسرائه : لو كان ربيثة نحررك^(٢) لقد خالطه سهماى ، لا أبالك إذا أصبحت فابتغيهما^(٣) فخذيهما لا يعضهما الكلاب . ثم دخل .

وأمرهم أن يأتوا إذا اطمأنوا وناموا وكان فى وجه السحر شدة عليهم الفارة فقتلنا واستقمنا للدم وخرج صريح القوم ، فجاءنا دهم^(٤) لا قبل لنا به ومضينا بالدم ، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه فاحتملناهما معنا . وأدركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم إلا وادى قد يد فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء الله تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ولا يقدر على أن يجاوزه ، فوقفوا يظفرون إلينا وإنا لنسوق نهمهم وما يستطيع منهم رجل أن يميز إلينا حتى فُتّناهم . فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ابن سعد : ما أخطأ بين عيني .

(٢) ابن هشام : لو كان ربيثة لقوم لقد تحرك .

(٣) ابن سعد : فانظريهما .

(٤) الدم : الجماعة الكثيرة .

وغزوة على بن أبي طالب بن عبد الله بن سعد من أهل فُذَك ، وغزوة أبي^(١) العوّجاء السُلَمي أرض بني سليم فأصيب بها هو وأصحابه جميعاً . وغزوة عكاشة بن محصن الغنّرة ، وغزوة أبي سلة بن عبد الأسد قطناً ماء من مياه بني أسد من ناحية نجد قُتل فيها مسعود بن عروة ، وغزوة محمد بن مسلمة القرطاب من هوازن ، وغزوة بشر بن سعد بن مرة بفُذَك ، وغزوته أيضاً بداحية خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجوم من أرض بني سليم .
وغزوته أيضاً جذام من أرض خُشَيْن ويقال من أرض حِشْمِي .

وكان من حديثها كما حدث رجال من جذام كانوا علماء بها أن رفاعه بن زيد الجذامي لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام فاستجابوا له لم يابث أن قدم دخية بن حايقة السكلمى من عند قيصر صاحب الروم حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نخاعة له ، حتى إذا كان بؤد من أوديتهم^(٢) أغار عليه المنقيد بن غوص^(٣) الضُّلَمي بطن منهم وابنه غوص ، فأصابا كل شيء كان معه ، فبانح ذلك قوماً من بني الضُّبَيْب رهط رفاعه من أن أسلم وأجاب ، فنفروا إلى المنقيد وابنه فاستقعدوا ما كان في أيديهما فذروه على دخية ، فخرج دخية حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره واستشفه دم المنقيد وابنه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وبعث معه حبشاً فغاروا فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس وقتلوا المنقيد وابنه وزحلين معهم ، فلما سمعت بذلك بدو

(١) الضُّبَيْي : ابن أبي العوّجاء

(٢) يقال له شارب . ط ١٠١ ابن هشام .

(٣) ابن سعد : المنقيد بن عاصم وابنه عاصم بن المنقيد .

للضَّبَّيب ركب نفر منهم فيهم حسان بن مَلَّة فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حستان : إنا قومٌ مسلمون فقال له زيد : فاقرا أم الكتاب . فقرأها حسان . فقال زيد بن حارثة : نادوا في الجيش : إن الله قد حرم علينا ثُفرة القوم التي جاءوا منها إلا من خَتَرَ^(١) . وإذا أخت حسان في الأسارى فقال له زيد : خذها . فقالت أم الفزr الضليمة : أنطالقون بيننا سكم وتذرون أمهاتكم ؟ فقال أحد بنى الضَّبَّيب : إنها بدو للضَّبَّيب وسحر أسنتهم سائر اليوم فسمعها بعض الجيش فأخبر بها زيدا فأمر بأخت حسان وقد كانت أخذت بمحقوى أخيه فقُتلت يداها من حقويه وقال لها : اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيمكن حكمه .

فرجعوا ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاءوا منه فأمسوا في أهلهم ، فلما شربوا عتمتهم^(٢) ركبوا إلى رفاعه بن زيد فصبَّحوه فقال له حسان ابن مَلَّة : إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرَّها كتابك الذي جئت به ا فذعا رفاعه يُحمل له فشدَّ عليه رحله وهو يقول :

• هل أنت حَيٌّ أو نقادى حَيًّا •

ثم غدا وهم معه مبكرين فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ألح إليهم بيده أن تعالوا . من وراء الناس ، فلما استفتح رفاعه بن زيد للنفلق قال رجل من الناس : يا رسول الله

(١) ثفرة القوم : ناحيتهم التي يحمونها .

وختر : نقض العهد (عن شرح السيرة لأبي ذر الحاشي س ٤١٠)

(٢) أى شربوا لبنهم الذي انتظروه إلى ذلك الوقت . وأصل الاستمتاع التأخير . قال أبو ذر : ومن رواء : « عيتهم » فيعني اللبن الذي أزال عنهم شوق اللبن .

إن هؤلاء اللئاس قومٌ سَخَرَة . فَرَدَّدها مرتين . فقال رفاعه : رحم الله من لم يَحْذَنَا^(١) في يومها هذا إلا خيراً .

ثم دفع رفاعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذي كان كتب له ، فقال : دونك يا رسول الله قديماً كتابه حديثاً غُدْرَه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا غلام وأعلن . فلما قرأ كتابه استجبرهم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصبح بالقتلى ؟ ثلاث مرات فقال رفاعه : أنت أعلم يا رسول الله لا نحرّم عليك حلالاً ولا نحلّ لك حراماً . فقال أبو زيد ابن عمرو أحد من قدم مع رفاعه : أطلقنا يا رسول الله من كان حياً ومن قُتل فهو تحت قدمي هذه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . صدق أبو زيد أرباب مهمم يا علي . فقال له علي : يا رسول الله إن زيدا ابن بطيهمي . قال : فخذ سيفي هذا . فأعطاه سيفه .

نفر جوا فإذا رسولٌ زبدي بن حارثة علي ناقه من إبلهم فأنزله عنهما فقال : يا علي ما شأنك ؟ فقال : ما لهم عرفوه فأخذوه . ثم ساروا فلقوا الجيش فأخذوا ما بأيديهم حتى كانوا يلتزمون أئبيد المرأة من تحت الرُّسُل .

• • •

وغزوة زيد بن حارثة أيضاً للطرف من ناحية نخل من طريق العراق ، وغزوته أيضاً وادي القرى اتي فيه نبي فزاراة فأصيب بها ناس من أصحابه وارتث^(٢) زيد من بين القتلى فلما قدم زيد آلى أن لا يمس رأسه غسل من

(١) لم يحذنا : لم يحطنا ولم ينقنا .

(٢) ارتث : نعا .

جماة حتى يغزو بنى فزارة ، فلما استبيل من جراحه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى فزارة في جيش فقتلهم بوادى القرى وأصاب فيهم .
[غزوة عبد الله بن رواحة إلى خيبر]

وغزوة عبد الله بن رواحة خيبر مرتين ، إحداهما التي أصاب فيها لليسير ابن رزام ويقال ابن رازم ، وكان من حديثه أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه منهم عبد الله بن أنيس حليف بنى سلمة ، فلما قدموا عليه كلموه وقربوا إليه وقالوا له : إنا إن قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك . فلم يزالوا به حتى خرج معهم في نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره ، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال ندم الليسير على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففطن له عبد الله بن أنيس وهو يريد السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه اليسير بمخزش في يده من شوحط فأمه^(١) ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلاً واحداً أفلت على رجله^(٢) . فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل على شجته فلم تقح ولم تؤذه .

وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر فأصاب بها أبا رافع بن أبي الحقيق .
[غزوة عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان]

وغزوة عبد الله بن أنيس خالد بن سفيان بن نُبَيْح بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخله أو بمرنة يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الهرش : المهجن . والشوحط : شجر تتخذ منه القسي أو ضرب من النج .
وأمه : أصابه في رأسه . وفي الطبرى : فأمه في رأسه .

(٢) الطبرى : أفلت على راحلته .

فقال : إنه بلغني أن ابن سُقيان بن ببيع الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني وهو بخله أو بقرته فأنته فأنله . فقلت : يا رسول الله انقذه لي حتى أعرفه . قال : إنك إذا رأيته أدرك الشيطان وأية ما بينك وبينه إنك إذا رأيته وجدت له قشمة ريرة . قال : نخرجت متوشحاً سيفي حتى دفعت إليه وهو في ظُمن^(١) يرتاد لمن مدلاً وكان وقت العصر ، فلما رأيته وجدت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشمة ريرة فقبليت وحشيت أن تسكون بيني وبينه فبجولة تسلمني عن الصلاة فصليت وأما أمشي نحوه وأوى برأسي . فلما انتهيت إليه قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجنتك لهذا الرجل لك ذلك . قال : أجل ، أنا في ذلك . قال : فحشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف فقتلته ، ثم خرجت وتركت ظماني فمضيت عليه . فلما قدسيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني قال : أودع الزوجة ؟ قلت : قد قتلتها برسول الله . قال : صدقت ، ثم طام لي فأدخلني بيته فأعطاني عصا فقال : أمسك هذه للعصا عندك يا عبد الله بن أنيس . قال : فخرجت بها على الناس فقالوا : ما هذه للعصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرني أن أمسكها عندي قالوا : أفلا ترجع إليه تسأله لم ذلك ؟ فخرجت فقلت : يا رسول الله لم أعطيني هذه للعصا ؟ قال : أبة يبي وبديك يوم القيامة إن أول الناس المنعصرون^(٢) يومئذ . ففعلها عبد الله بن أنيس بسيفه فلم تزل معه حتى مات ثم أمر بها فصليت في دفنه ثم دفننا بهيماً .

(١) الظمن : الغطاء

(٢) المنعصرون : الذين يحدون المنعصر ، وهم المعصرون

وقال عبد الله في ذلك :

تركتُ ابن ثور كالحوار وحوله
نوائح تفرى كل جيب مُقدِّد^(١)
تماولته والظن خلتى وخلفه
بأبيض من ماء الحديد مهذد
عجّوم لهم الدارين كأنه
شهابُ غصا من مُلهب متوقد^(٢)
أقول له والسيف ينجم رأسه
أنا ابن أنيس فارساً غير مُقدِّد^(٣)
وقلت له خذها بضرّبة ماجد
حليف على دين النبي محمد
وصكنت إذا همّ النبي بكافر
سبقت إليه بالأساب وباليد

* * *

ومن للبعوث أيضاً : بعث مؤنة حيث أصيب جعفر بن أبي طالب
وأصحابه ، وغزوة كعب بن عُمر الفخاري ذات أطلاق من أرض قشام
أصيب بها هو وأصحابه جميعاً ، وغزوة عييلة بن حصن بنى للعنبر من تميم .

(١) الحوار : ولد الناقة . وتفرى : تشق .

(٢) عجّوم : عضوض . والحام : الرهوس . والدارعون : من يلبسون الدروع في
الحرب . والشهاب : القطعة من النار .

(٣) القمدد : الأثيم الجبان .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم فأخاطبهم وأصاب منهم أناساً وسقى منهم أناساً . وكانت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إن عليّ رقية من ولد إسماعيل . قال : هذا سقى بن العدير يقدم الآن فنعطيك منهم إنساناً فتعقبيه . فأتاه قديم يستبهم ركب فيهم وفد من بني نعيم منهم ربيعة بن رقيع ، وسبرة بن عمرو والقهمقاع ابن مَعْبِد ووزدان بن نَجْرَز وقيس بن عاصم ومالك بن عمرو والأفرع ابن حابس وفيراس بن حابس ، فسكتموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فأعقق بعضهم وأقضى بعضاً وذلك هو الذي يقول القرآن :

وعند رسول الله عام ابن حابس بنظرة سوار إلى الجدد حازم^(١)
له أطلاق الأنرى التي في حباله معلقة أعناقها وللشكائم
كفى أمهات الخائفين^(٢) عليهم غلاء الفسادي أو سقم المقاسم .

* * *

أغزوه غالب بن عبد الله إلى بني مرة |
وعزوة غالب بن عبد الله السكابي أرض بني مرة وفيها قتل أسامة
ابن زيد حليماً لم يقل له مرداس بن أبيك بن الحرقمة من جهينة : قال :
أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شمت عليه السلاح قال أشهد
أن لا إله إلا الله . فلم يسرع عنه حتى قتلاه .

هكدا ذكر ابن إسحق في حديثه : وحرج مسلم في صحبه عن أسامة
ابن زيد قال : فسكت عنه الأنصاري وطعنته برمحى حتى قتله ، فلما قدمنا

(١) قال أبو ذر : المعلقة . الحسلة . والسوار : الذي يرمى ويثب .

(٢) قال أبو ذر : يريد الذين يحمون أهلهم . وبرى : الخائفين .

بانح ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ قلت : يا رسول الله إنما كان متعوذاً . فقال : أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ فما زال يكررها على حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم^(١) ، وفي بعض طرق مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة : لم تقتله ؟ قال : يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً وفلاناً وسمي له نفراً وإني حملت عليه فلما رأى للسيف قال : لا إله إلا الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلته ؟ قال : نعم . قال : فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ قال : يا رسول الله استغفرني . قال : وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ فجعل لا يزيدني على أن يقول : كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة .

وفي حديث ابن إسحق أن أسامة قال : أنظرني يا رسول الله ، إني أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله .

[غزوة ذات السلاسل]

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بني عُدرة^(٢) ، وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث يستنصر العرب إلى الشام ، وذلك أن أم أبيه للعاص بن وائل كانت امرأة من بني فبهته رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جُدَام يقال له السُّلْسُل وبذلك سميت تلك الغزوة ذات

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٩٧ (ط الحلي) .

(٢) قال ابن سعد : وراء وادي القرس ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام .

السلال ، خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث إليه
أبا عبيدة ابن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر . وقال لأبي
عبيدة حين وجهه : لا تخفنا . فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له
عمرو : إنما جئت مدداً لي . قال أبو عبيدة : لا واسكى على ما أنا عليه
وأنت على ما أنت عليه . فقال له عمرو : بل أنت مدد لي . فقال له أبو عبيدة
وكان رجلاً ليلاً سهلاً عليه أمر الدنيا : يا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لي لا تخفنا وإنك إن عصيتني أطعتك . قال : فإني لأمر عليك
وأنت مدد لي . قال : فدعوك . فعلى عمرو بالناس .

وحدث رافع بن أبي رافع الطائي وهو رافع بن عميرة قال : كنت
أمرأى نصرانياً فلما أسلمت خرجت في تلك الغداة ، بمى غزوة ذات
السلال ، فقات : والله لأختارن نفسي صاحباً فصصحت أبا بكر . فكنت
معه في رحله فكانت عليه عبادة له قد كُتِبَتْ فكان إذا نزاد بسطها وإذا
ركبنا لبسها ثم شكمت^(١) عليه بحلال له وذلك الذي يقول أهل نجد حين
ارتدوا كفاراً بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ومباينة الناس بعده لأبي
بكر : أنحن نهابع ذا العبادة اجهلوا يومئذ أن فضل السكك ليس في ظاهر
اللباء وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

قال رافع : ولما دنونا من المدينة فاقبلت قلت : يا أبا بكر إنما صحتك
ليفدى الله بك فاصصحنى وعلمنى قال : لو لم تسأنى ذلك لعلت ، أمرتك

(١) الراوى : وإذا ركب خاها عليه . أى حج بين يديها بحلال من مود أو حديد .
مدارى الراوى ص ٧٧٢ .

أن توحد الله لا تشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج هذا البيت وتفتسل من الجنابة ولا تقامر^(١) على رجلين من المسلمين أبدا .

قال قلت : يا أبا بكر أما أنا والله فإني أرجو أن لا أشرك بالله أبدا ، وأما الصلاة فلن أتركها أبدا إن شاء الله ، وأما الزكاة فلن يكن لي مال أوذيها إن شاء الله ، وأما الحج فلن أستطع أحج إن شاء الله ، وأما الجنابة فستغسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها فلم تنهي عنها ؟ قال : إنما استجهدتني لأجهد لك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين فجاهد فيه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها فلما دخلوا فيه كانوا عو^(٢)اد^(١) الله وجيرانه وفي ذمته ، فأياك أن تخف الله في جيرانه فيتبعك الله في خفرك ، فإن أحدكم يخف في جاره فيظل نائنا ع^(٣)ضله غضبا لجاره إن أصيب له شاة أو بعير ، فالله أشد غضبا لجاره قال : ففارقته على ذلك فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أبو بكر على الناس قدمت عليه فقلت : يا أبا بكر ألم تسكن نهيتي عن أن أقامر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى وأنا الآن أنهارك عن ذلك . فقلت : فما حلك على أن تلي أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بدأ خشيت على أمة محمد الفرقة .

(١) أي لا تطلب الإمارة .

(٢) عواد : جمع عائد ، أي استجاروا بالله من الظلم :

(٣) نائنا : مرتعا منتفعا . والمصل : جمع عضلة وهي القطعة العديدة من اللحم

شرح السيرة لأبي ذر من ٤٥٤)

وفي هذه الغزاة أيضا صحب عوف بن مالك الأشجعي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قال : فررت بقوم على جزور لهم قد نبهوها وهم لا يقدرون على أن يعضوها^(١) فقلت : أنعطوني منها عُشيرا على أن أقسمها ببيعتكم ؟ قالوا : نعم . فأخذت للشفرتين فعضتاهما وأحدثت منها جزءا فحملته إلى أصحابي فاطببخناه فأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أتى لك هذا اللحم بعوف ؟ فأخبرتهما خبره فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيآن ماى بطونهما من ذلك فلما فعل الناس ذلك أتت أول قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثته وهو مصلى في بيته فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته قال : أعوف بن مالك ؟ قالت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله قل : اصاحب الجزور ؟ ولم يزدني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك .

| غزوة ابن أبي حذرد |

وغزوة ابن أبي حذرد وأصحابه بطن إضم ، وذايت قبل الفتح قال عبد الله بن أبي حذرد : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم في أمر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحمم بن جثامة ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مررنا بدار عامر بن الأضيظ الأشجعي على قومود له معه متيع له ووطب من ابن^(٢) فسلمنا عليهم بتحيةة للإسلام فأمسكوا هذه وحملوا عليه بحمل من جثامة فقتله اشي . كان بينهما واحد بميرة ومتيعه . فلما قدمنا على رسول الله

(١) يعضوها : يعضونها : قال أبو بكر : النعمية : الفضة : (شرح السيرة ص ٤٥٤)

وأخبرناه الخبر نزل فينا : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا^(١) » . إلى آخر الآية .

وعن ضُمَيْرَةَ بن سَعْدٍ السُّلَمِي عن أبيه ، وكان شهد حُنَيْنًا قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ثم عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها وهو يحنن فقام إليه الأقرع بن حابس وعُيَيْنَةُ بن حصن يختصمان في عامر بن الأضبط يطلب بدمه ، وهو يومئذ رئيس غطفان ، والأقرع يدفع عن مُحَلِّم بن جَثَامَةَ لمكانه من خندق ، فتداولا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع ، فسمعا عيينة يقول : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحَرِّ^(٢) مثل ما أذاق نساءي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بل تأخذون الهدية خسين في سفرنا هذا وخسين إذا رجعنا . وهو يأبى عليه ثم ذكر تكرار رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله هذا ، فقبلوا الهدية ثم قالوا : أين صاحبكم هذا يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام رجل آدم ضَرْب^(٣) طويل عليه حُلَّة له قد كان تهيأ فيها للمقتل حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : ما اسمك ؟ فقال : أنا مُحَلِّم بن جَثَامَةَ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال : اللهم لا تنفر لحلم بن جَثَامَةَ . ثلاثاً فقام يتلقى دمه بفضل رداءه قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا إنا نرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له وأما ما ظهر من رسول الله فهذا .

(١) سورة النساء ٩٤ . (٢) ابن هشام : من الحرقه ٣٠ .

(٣) الضرب : القليل الاحم .

وذكر سالم أبو القحطّر أنه حدث أن عبيدة بن حصن وقبسا لم يقولوا الهدية حتى خلا بهم الأفرع بن حابس وقال : يا معشر قيس مدقم رسول الله فتبلا يستصالح به الناس ، أقامتم أن يأمّنكم رسول الله فيأمنكم الله بلمعته أو أن يعضب عليكم فيعضب الله عليكم بفضبه ؟ والله الذي نفس الأفرع بيده أنشدته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأيصنن فيه ما أراد أولابن محمد بن رجلا من بني تميم يشهدون بالله أنقل صاحبكم كاذبا ماضى قط ولا طأن دمه . يقولوا الهدية .

وفي حديث عن الحسن البصري قال : والله ما سكث محمّد بن جثامة إلا سبما حتى مات فلفظته الأرض والذي نفس الحسن بيده ، ثم عادوا له فلفظته ، ثم عادوا له فلفظته فلأعاب قومه عمدوا إلى صدين^(١) فلفظوه بينهما ثم رضوا عليه الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال : والله إن الأرض انطأ على من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم في حرّم ما بينكم بأراكم منه .

اغزوة ابن أبي حذرر إلى النابة ا

وغزوة ابن أبي حذرر الأسلى أيضا الهدية . قال : تزوجت امرأة من قومي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعبدته على نسكاحي فقال : وكنم أصدقت ؟ قلت : مائتي درهم قال : سبعان الله الو لستم تأخذون الدرهم من بطن واحد مازدتم ، والله ما عدي ما أعيتك به . قال : فلبنت أياها وأقبل رجل من بني جششم بن معاوية يقال له رفاعه بن قيس أو قيس بن رفاعه في بطني عظيم من بني جششم حتى ينزل بقومه ومن معه بالمانية يريد أن يجمع قبسا على حارب

(١) الصد : بالفتح ويضم : الجمل .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذا اسم في جُشم وشرف ، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معي من المسلمين فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعِلْم قال : وقدّم لنا شارفاً^(١) مجنّاء فحمل عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ثم قال : تهلّثوا عليها واعتقبوها .

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من اللّيل والسيوف حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر عُشَيْشِيَّة^(٢) مع غروب الشمس كنت في ناحية . وأسرت صاحبي فكتمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم وقلت لها : إذا سمعاني قد كبرت وشددت في ناحية للمسكر فكبراً وشُدّاً معي . فوالله إنا لكذلك ننظر غيرة القوم أو أن نصيب منهم شيئاً وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء وكان لهم راع سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه ، فقام صاحبهم ذلك فأخذ سيفه فجعله في عنقه ثم قال : والله لأنبعن أثر راعيها هذا ولقد أصابه شر . فقال نفر من معه : والله لا تذهب أنت نحن نكفّيك . قال : والله لا يذهب إلا أنا . قالوا : فبعن مملك . قال : والله لا يتبعني أحد منكم . وخرج حتى مرّ بي فلما أمكنني نفخته بسهم فوضعت في فؤاده فوالله ما نكلم . ووثبت إليه فاحتزّز رأسه وشددت في ناحية للمسكر وكبرت وشد صاحباي وكبراً فوالله ما كان إلا اللجاء من فيه ، عندك ، عندك ، بكل ماقدروا عليه من نسانهم وأبنائهم وماخف معهم من أموالهم واستقنا إبلا عظيمة وغنا كثيراً فجعنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه معي فأعانتني رسول صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بغير أني صدّاق لجمعت إلى أهلي .

(١) الشارف : الناقة المسنة . والعجفاء : المنزولة .

(٢) عَشِيَّة : تصغير عَشِيَّة . على غير قياس .

إغزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

وإغزوة توجه فيها عبد الرحمن بن عوف . قال عطاء بن أبي رباح : سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر عن إرسال للإمامة من حلف الرجل إذا اعتم فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم . ثم ذكر مجازاً شاهده من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) أم فيه عبد الرحمن ابن عوف أن يتجهز أسيرة بمئة عابها . قال : فأصبح وقد اعتم بمائة من كرايس^(٢) سود فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ثم تقصمها ثم عمه وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوها من ذلك . ثم قال : هكذا يابن عوف فاعتم فإنه أحسن وأغرف . ثم أم بلالاً أن يدمع إليه اللواء ، فدفنه إليه لحمد الله وأنى عليه وصلى على نفسه . ثم قال : « حده يابن عوف ، أغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله لا تغلثوا ولا تمذروا ولا تفتلوا ولا تقتلوا وليداً ، فهذا عهد الله وسيرة بيته فحكم » فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء . قال ابن هشام : فخرج إلى دومة الجندل .

إسرية أبي عبيدة إلى سيف البحر

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى سيف البحر عليهم أبو عبيدة بن الجراح وزودهم جراباً من تمر لجعل بقوتهم إياه حتى صار إلى أن بعد له لم يجدوا حتى كان بمطى كل رجل منهم كل يوم تمره فقسوها يوماً فنقصت تمره عن رجل فوجد ففقد ذلك اليوم

(١) انظر تفصيل ذلك المأس في ابن هشام ٤ / ٢٨٠ (في المجلد الأول) .

(٢) الكرايس : جمع كرايس وهو الثوب من القطن الأبيض .

قال بعضهم : فلما جهدنا الجوعُ أخرج الله لنا دابة من البحر فأصبها من لحمها وودّكها وأقدا عليها عشرين ليلة حتى تَمَيَّنَّا وأخذ أميرنا ضِلَعًا من أضلاعها فوضعهما على طريقه ثم أمر أجسَمَ بعير معنا فحمل عليه أجسَمَ رجلٍ منا فجلس عليه فخرج من تحتها وما مسَّت رأسه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها وسألناه عن أكلنا إياها فقال : رزقُ رزقكموه الله .

[بعث عمرو بن أمية إلى أبي سفيان بن حرب]

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري بعد مقتل خَبَيْب وأصحابه إلى مكة وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب وبعث معه جَبَّار بن صَخْر الأنصاري ، فخرجا حتى قدما مكة وحسبا جليلهما بشعب من شعاب يَأْجِج^(١) ثم دخلا مكة ليلاً فقال جَبَّار عمرو : لو أنا طُفْنَا بالبيت وصليّا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا نَعَشُوا جلسوا بأفئدتهم فقال : كلاً إن شاء الله . قال عمرو : فطُفْنَا بالبيت ثم خرجنا نريد أبا سفيان فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلى رجل من أهل مكة فعرَفني فقال : عمرو بن أمية والله إن قديمها إلا لشر . فقلت لصاحبي : للنجاء . فخرجنا نشتد حتى أضْمَدْنَا في جبل وخرجوا في طلبها حتى إذا علَوْنَا الجبل يئسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفاً في الجبل فبِتْنَا وقد أخذنا حجارةً فرضَمَناها دوننا . فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسأله ويختلي^(٢) عليها ففشيئنا ونحن في الغار فقلت : إن رأنا صاح بنا فأخذنا فقتلنا . قال : ومعى خنجر قد أعددت لأبي سفيان ،

(١) يَأْجِج : موضع بمكة .

(٢) ابن هشام . ويغلي عليها . والمراد : يجمع لها الخلق ، وهو الرطب من النبات .

فأخرج إليه فأضربه على ثديه وصاح صيحةً أسمع أهل مكة ، وأرجع فأدخل مكانى . وجاءه الناس يشتدّون وهو بأحر رمق فقالوا : من ضربك ؟ فقال عمرو بن أمية . وغلبه الموت فأت مكانه ولم يذال على مكاننا فاحتملوه . فقلت لصاحي لما أمسينا : اللّجاء .

فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة فررنا بالحرس وهم يمشون جيفة خبيّ بن عدى فقال أحدهم : والله ما رأيت كاليلة أشبه بمشية عمرو ابن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية . فلما ساذى عمرو الخشبة^(١) شدّ عليها فاحتملها وخرج هو وصاحبه شدّاً وخرجوا وراهم حتى أتى جُرُفاً يأجج^(٢) فرمى بالخشبة في الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه .

قال عمرو بن أمية : وقات لصاحي : اللّجاء حتى أتى بعيرك فتقدم عليه فإني شاغل عليك القوم وكان الأنصارى لا رجلة له^(٣) . قال : ومضيت حتى أخرج على صجّان^(٤) ثم آويت إلى جبل فأدخل كهفاً ، فبينما أنا فيه دخل على شيخ من بنى الدّيل أعور في عُنُقِيمة فقال : من الرجل ؟ فقلت : من بنى بكر من أنت ؟ قال . من بنى بكر . قلت : مرحباً فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال :

(١) أى الخشبة إلى صلبوا عليها خبيّ بن عدى حين قتله . انظر : مقدم في قصة أصحاب الرجيع . ص ١٣٤ من هذا الجزء .
(٢) ابن هشام : حتى أتى جُرُفاً يسمّى مسيل يأجج .
(٣) أى لا يقوى على المشي على رجليه .
(٤) ثنان : جبل قرب مكة .

ولست بمسلم ما دمتُ حيًّا ولا دانٍ لدين المسلمين

فقلت في نفسي : ستعلم . فأملهته حتى إذا نام أخذت قوسي فجعلت سبيلها^(١) في عينه للصبيحة ثم تحاملتُ عليه حتى بلغتُ المعظم . ثم خرجت الفجاء^(٢) حتى جئتُ للعرج^(٣) ثم سلكت ركوبة^(٤) حتى إذا هبطت النقيع^(٥) إذا رجلان من قريش من المشركين كانت قريش بعتهما عينا إلى المدينة ينظران ويتحسنان فقلت : استأسرا . فأيا فأرعى أحدهما بسهم فأقتله واستأسر الآخر فأوثقته رباطا وقدمت به للمدينة .

* * *

[سرية زيد بن حارثة إلى مدين]

وسرية زيد بن حارثة إلى مدين فأصاب سببا من أهل ميفاء وهي السواحل وفيها جُماعٌ من الناس فبيعوا ففرق بينهم يعني بين الأمهات والأولاد ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبيكون فقال : ما لهم ؟ فقيل : يا رسول الله فرق بينهم . فقال : لا تبيعوهم إلا جميعاً .

وغزوة سالم بن عُمَيْرَ أبا عَفْكَ أحد بني عمرو بن عوف وكان نجماً

(١) سببة القوس : ما عطف من طرفيها .

(٢) أي خرج هاربا .

(٣) منزل بطريق مكة .

(٤) ركوبة : ندية بين الحرمين .

(٥) النقيع : موضع ببلاد مزينة .

— ٤٣٢ —

بِقَافِهِ حِينَ قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَارِثَ بْنَ سُوَيْدٍ
صَامِتٌ فَقَالَ :

أَقْدَ عِشْتُ دَهْرًا وَمَا إِنُّ أَرَى
مِنَ الْفَاسِ دَارًا وَلَا مَجْمَعًا
أَبْرَ عَمْرُودًا وَأَوْقَى لِمَن
بِعَاقِبَةٍ فِيهِمْ إِذَا مَا دَعَا
مِنَ أَوْلَادِ قَيْلَةٍ^(١) فِي جَمْعِهِمْ
نَهْدُ الْجَبَلِ لَمْ يَلْمِ نَهْدُهُمَا
فَصَدَّعَهُمْ رَاحِكٌ جَاهِدُ
حَلَالٌ حَرَامٌ لَيْتِي مِمَّا
فَلَوْ أَنَّ مَالِي صَدَقْتُمْ
أَوْ أَلَّاكَ تَابِعْتُمْ نَبِيًّا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ لِيَ بِهِذَا الْخَبِيثُ أَفْجَحُ
سَالِمُ بْنُ عُمَيْرَةَ أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَهُوَ أَحَدُ الْبَكَاةِ فَقَتَلَهُ
فَقَالَتْ أُمَامَةُ الْمُرَيْدِيَّةُ فِي ذَلِكَ .

تَسْكَذَّبَ رِبِّنَ اللَّهِ وَالْمَرْءُ أَحَدًا
اَتَّبَعْنِي الَّذِي أَمَّاكَ بِئْسَ الَّذِي يُتَّبَعِي^(٢)

(١) أَوْلَادُ قَيْلَةٍ : الْأَوْسُ وَالْمُزَرِجُ .

(٢) أَمَّاكَ : مَنَّاكَ . مِنَ الْأَمِيَّةِ .

حَبَاكَ حَنِيفٌ آخَرَ اللَّيْلِ طَعْمَةً
أَبَا عَقَّكَ خُذْهَا عَلَى كِبَرِ السِّنِّ

[غزوة عمير بن عدى إلى عصماء بنت مروان]

وغزوة عمير بن عدى الخطمي وهو الذي يدعى للقاري عصماء بنت
مروان من بني أمية بن زيد ، وكانت تحت رجل من بني خَطْمَةَ يقال
له يزيد بن زيد ، فلما قُتِلَ أَبُو عَقَّكَ نَافَقَتْ فَقَالَتْ تَعِيبُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ
وَتَوَثَّبَ الْأَنْصَارُ فِي اتِّبَاعِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أَطْعَمَ أَتَاوِيٌّ مِنْ غَيْرِكُمْ
فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْحِجٍ
تَرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرَّءُوسِ
كَمَا يُرْتَجَى مَرَقُ الْمَضْجِجِ
أَلَا آئِفٌ يَبْتَغِي غِرَّةً
فَيَقْطَعُ مِنْ أَمَلِ الرَّمِيحِ

فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ
مِنْ ابْنَةِ مَرْوَانَ ؟ فَسَمِعَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ عَمِيرُ بْنُ عَدِيِّ فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ تِلْكَ
اللَّيْلَةِ سَمِعَهَا عَلَيْهَا فِي بَيْتِهَا فَقَتَلَهَا ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ قَتَلْتُهَا . فَقَالَ : نَهَرْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَا عَمِيرُ .
فَقَالَ : هَلْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : لَا يَنْتَظِعُ
فِيهَا مِزَانٌ .

فرجع عبيد إلى قومه وبنو خطمة يومئذ أشير فوجههم في شأن بنت مروان ولها بنون خمسة رجال . فقال : يا بني خطمة أنا قتلت بنت مروان فسيكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون . فذلك اليوم أول ما عز الإسلام في دار بني خطمة وكان يستخفي بالإسلامه فيهم من أسلم . ويومئذ أسلم رجال منهم ثم رأوا من عز الإسلام .

[أسير ثمامة بن أثال]

والأسيرة التي أسرت ثمامة بن أثال الحنفي سيد أهل البجامة ، وذلك أن خيلاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت فأخذت رجلاً من بني حنيفة لا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتدرون من أخذتم ؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفي فأحسنوا إسلامه . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله . فقال : اجعلوا ما كان عندكم من طعام فأبعثوا به إليه وأمر بلقيته^(١) أن يُغذى عليه بها وإراح الجمل لا يقع من ثمامة مؤثماً ، ويأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : أسلم يا ثمامة وفي رواية : ما تقول يا ثمامة ؟ فيقول : يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم وإن نقتم نقتم على شاكر ، وإن ترد الفدية فسل نعط منه ما شئت .

فكث ما شاء الله أن يكث ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يوماً : أطلقوا ثمامة فلما أطلقوه خرج حتى أتى اليقيع فتعلم فأحسن طموره ثم أقبل فبأيع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام . فلما أسرى جاءوه بما كانوا يأثونه به من الطعام فلم يزل منه إلا قليلاً ، وباللهجة فلم يصب من حيلاتها

(١) اللقمة : اللقمة لها ابن .

إلا يسيراً ، فمجبب المسلمون من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « مَمَّ تَعْبُونَ من رجل أكل أول النهار في مَعَى كافر وأكل آخر النهار
 في مَعَى مُسْلِم ، إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء وإن المسلم يأكل في
 مَعَى واحد » .

وقال تمامة حين أسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كان وجهك
 أبغضَ الوجوه إلى فأصبح وهو أحب الوجوه إلى ، ولقد كان دينك
 أبغضَ الدِّين إلى فأصبح وهو أحب الأدبان إلى ، ولقد كان بلدك أبغضَ
 البلاد إلى فأصبح وهو أحب البلاد إلى . ثم قال : يا رسول الله إن خيالك
 أخذتني وأنا أريد للعمرة فأذن لي يا رسول الله . فأذن له فخرج
 معتمراً فلما قدِم مكة قالوا : صباأت يا تمامة . قال لا ولكني اتبعت خير الدِّين
 دين محمد ، ولا والله لا تصل إليكم حَبَّة من البِيامة حتى يأذن فيها رسول
 الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى البِيامة فقدمهم أن يحملوا إلى مكة
 شيئاً ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إناك تأمر بصلوة الرحم
 وإنك قد قطعت أرحامنا . فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 خل بين قومي وبين ميرتهم . ففعل .

وبقال إنه لما كان ببطن مكة في عمرته أجي فساكن أول من دخل
 مكة بأبي ، فأحدثه قريش فقالوا : لقد اجتأت علينا . وهُمُوا بقتله ثم
 حلوه لمساكن حاحتهم إليه وإلى الله فقال بمض بنى حنيفة :

ومنا الذي أجي بمكة مُعَلِّفَا

برغم أبي سفيان في الأشهر الحرم

| سرية علقمة بن مجزز |

وبعث علقمة بن مُجَزَّز الدُّجَلِي لما قُتِل وقاص بن مجزز أخوه يوم
ذي قرد وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه في آثار القوم
ليدرك ناره فيهم ، فبعثه في نفر من المسلمين . قال أبو سعيد الخدري :
وأنا فيهم ، حتى إذا بلغنا رأس غزائنا أو كذا يبعث الطابق أدب
الطائفة من الجيوش واستعمل عليهم عبد الله بن جندب السهمي وكانت فيه
دُهاية ، فلما كان يبعث الطابق أو قد نازأتم قال للقوم : أليس لي عليكم
السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى قال : فما أمركم بشيء إلا فعاتموه ؟ قالوا :
نعم . قال : فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا تواتبتم في هذه الفار
فقام بمص القوم بمجزز حتى ظن أنهم وثبون فيها . فقال لهم : احسوا
فإنما كنت أضحك معكم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
من أمركم منهم عصبية فلا تطيعوه .

ويقال إن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه ولم يلق أيدا .

| سرية أنس بن جابر |

وبعث كُرْز بن جابر ، وذلك أن نفرا من قيس كُتِبَ من تَجِيلَة قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقوا أو المديفة وطلّحوا^(١) وكانت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم إقاح ترعى ناحية الجلاء برعاها عبد له يقال

(١) طلّحوا : نبهوا . و ابن هشام . طلعوا . أي أسألهم مرس الطحال .

له يسار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه في غزوة بني محارب. وبني ثعلبة ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم إلى الأقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها فخرجوا إليها فلما صحوا وانطوت بطونهم عسكرا عدوا على راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوه وعرزوا للشوك في عينيه واستاقوا الأقاح فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم كركزا فلحقهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّجعه من غزوة ذي قرد فقطع أيديهم وسمل أعينهم وألقوا بهم في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا .

[غزوة على بن أبي طالب إلى اليمن]

وغزوة على بن أبي طالب اليمن غزاها مرتين . وقال أبو عمر اللديني: ^(١) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب إلى اليمن وبعث خالد بن الوليد في جسد آخر وقال : إن التقيتما فالأمير على بن أبي طالب .

[بعث أسامة بن زيد إلى فلسطين]

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، وهو آخر بعث أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتجهز الناس وأوعب

مع أسامة المهاجرون الأولون ، فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكوه لدى قبضه الله فيه إلى ما أراد من رحمة وكرامته ، فلم ينفذ بعث أسامة إلا بعد وفاته صلوات الله عليه ورحمته وسيأتي ذكر ذلك مستوفى إن شاء الله .

فهمه من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهونه وسراياه التي أعز الله بها الدين ودوخ بها الكافرين ، وشده أزره فيها بمن احتازه أصبحت وأهترته من الأعداء والمهاجرين ، ضى الله عنهم أجمعين ، وتلك أيام الله التي يحب بها التذكر والتذكير ، وبدأ الله شكر الله على ما بشرته منه المقادير .

وقال حسان بن ثابت بمدد أيام الأعداء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذل مواطنهم معه في أيام سزوه وتروى لابنه عبد الرحمن :

السن خير ممدد كلام نفا

ومعشرا إن هم شؤوا وإن خيلوا

قوم هم شهم ———— دوا بذرا بأجمعهم

مع رسول الله (١) وما حسدوا

(١) أله : نصروا . وروى : أله .

وبآبَعُوهُ فَلَمْ يَفْكُثْ بِهِ أَحَدٌ
مِنْهُمْ وَلَمْ يَكْ فِي أَيْمَانِهِمْ دَخْلٌ
وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ فِي الشَّعْبِ مِنْ أَحَدٍ
ضَرْبٌ رَصِيدٍ كَحَرْبِ الْفَارِ مُشْتَعِلٌ
وَيَوْمَ ذِي قَرْدٍ يَوْمَ اسْتَقْنَارِ بِهِمْ
عَلَى الْجِيَادِ فَا خَامُوا^(١) وَمَا تَنَكَّلُوا
وَذَا الْمَشِيرَةِ جَاسُ—وَهَا بِخَيْلِهِمْ
مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ
وَيَوْمَ وَدَّانِ أَجَلُوا أَهْلَهُ رَقَصًا
بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزْنُ وَالْجَبَلُ
وَايِلَّةَ طَلَبُوا فِيهَا عَدُوَّهُمْ
فَلَهُ وَاللَّهُ يُجْزِيهِمْ بِمَا عَمَلُوا
وَعَزْوَةَ يَوْمَ نَجَذَ نَم كَانَ لَهُمْ
مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالْأَنْفَلُ
وَايِلَّةَ بِحَدِيدٍ جَالِدُوا مَعَهُ
فِيهَا يَمْلِكُهُمْ بِالْحَرْبِ إِذْ نَهَلُوا
وَعَزْوَةَ الْقَاعِ فَرَفَعُوا الْعَدُوَّ بِهِ
كَمَا تَفَرَّقَ دُونَ الْمَشْرِبِ الرَّسَلُ^(٢)

(١) خَامُوا : جَبَنُوا .

(٢) الرسل : القطيع من الإبل والغنم .

— ١٤٠ —

ويومَ توبع كانوا أهل بيته
 على الجلال فآسوه وما عدلوا
 وغزوة الفتح كانوا في سريته
 مراً بطين فما طاشوا وما عجلوا
 ويوم خيبر كانوا في كتيبه
 يمشون كلمهم مُستبسل بطل
 بالبيض ترشش في الأمان عارية
 تروج في الضرب أحياناً وتعتدل
 ويوم سار رسول الله مُحسباً
 إلى نهبوك وهم دالمان الأول
 وساعة الحرب إن حرب بدت لهم
 حتى بدا لهم الإقبال فالقفل^(١)
 أولئك القومُ أنصار النبي وهم
 قومي أصبر إليهم حين اتصل
 مانوا كراماً ولم تُفككهم
 وقتلهم في سبيل الله إذ قتلوا

وقال حسان أيضاً :
 كما ملوك الناس قبل محمد
 فلما أتى الإسلام كان أمراً الفضل

(١) ابن ميثاق : والقفل .

وأكرمنا الله الذي ليس غيره
 إلهٌ بأيامٍ مضتْ مالمَّا شكَلُ
 بدصر الإلهِ والرسولِ ودينه
 والبسناه اسمًا مضى ماله مثلُ
 أولئك قومي خيرُ قومٍ بأشرم
 فما كان من خير^(١) فقومي له أهلُ
 يُرَبُّونَ بالمعروفِ معروفٍ من مضى
 وليس عليهم دون معروفهم قهـلُ
 إذا اختبطوا لم يُفحشوا في نديهم
 وليس على سؤلهم عديمٌ بخلُ
 وإن حاربوا أو سالموا لم يشبهوا
 فغيرهم حزن^(٢) وسلمهم سهلُ
 وجارهم موفٍ بعلياء بيته
 له مائوى فيها الكرامة والهدلُ
 وحاملهم موفٍ بكل حاله
 تحمل لا غرم عليه ولا خذلُ
 وقائلهم بالحق إن قال قائلُ
 وحلمهم عودٌ وحكمهم عدلُ

(١) ابن هشام : فاعد من خير .

(٢) ابن هشام : لغيرهم حزن .

— ٤٤٢ —

ومنا أمير المسلمين حياته
ومن غلاته من جنابته الرشيد

* * *

وقال حسان أيضاً من قصيدة له أولها :
قومي أوائك إن تــــــألى
كبراً إذا الضيف يوماً ألم
عظام القــــــدور لأنصارهم
يكتبون فيها المين الشيم
يواســــــون جارهم في الغنى
ويخفون مــــــولاهم إن ظلم
فــــكانوا مــــلوكا بأرضهم
يبدون غضباً بــــأسر غشيم^(١)
مــــلوكا على الناس لم يــــمــــسكوا
من الدهر يوماً نجل القــــــسم^(٢)
مــــلوكا إذا عشموا في البــــــلا
د لا يــــمــــسكون والــــــكن قدّم
فأبدا بــــــداداتهم والــــــاء
وأولادهم فيهم نقتــــــم

(١) ابن هشام : ينادون غشياً .

(٢) أي إلا فرة قصيدة تحية القسم .

ورثنا مساكنهم بعدهم
وكنا ملوكا بها لم نرم^(١)
فلما اتانا الرسول الرشيد
دُ بالحق والنور بعد الظلم
فنشهد أنك عبدُ الإله
أرسلت نورا بدين قيم
فإنا وأولادنا جنة
نقيمك وفي مالنا فاحتم
فنحن أولئك إن كذبوك
فناد ناد ولا نخشع
وناد بما كسفت أخفيته
ناد جهارا ولا تكتم
فسار الغواية بأسياهم
إليه يظنون أن يحترم
فقمنا إليهم بأسيافنا
نجاهد عنه بقاء الأمم
بكل صهيل له مئة
رقيق الدباب عضوض خديم

— ٤٤٤ —

إذا ما يصادف ضمُّ العظا
 م لم يتب عنها ولم يشتم
 فذلك ما ورثتنا القُرُو
 م مجداً تليداً وعزاً اشم
 إذا مرَّ اسلٌ كفى اسله
 وغادر اسلاً إذا ما انقسم
 فما إن من الناس إلّا اذا
 عليه وإن حاس^(١) فصل للامم

والى هنا ينتهى الجزء الثانى من كتاب «الاكتفاء فى معازى رسول
 الله والثلاثة الخلفاء» للكلامى ويقلوه الجزء الثالث وأوله : «ذآر الوفود
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٧	إسلام أبي العاص	٣	شروع رسول الله صلى الله عليه
٥٩	أمر أبي عزة		وسلم في حرب الشركين
٦١	إسلام عمير بن وهب	٣	غزوة ودان
٦٥	ما نزل في بدر من القرآن	٣	سرية عبيدة بن الحارث
٦٥	من شهد بدرا من المسلمين	٧	غزوة بواط
٦٦	الشهداء	٨	» العشيرة
٦٦	قتلى للشركين	١٤	» بدر الكبرى
٧٧	غزوة بني سليم	١٤	رؤيا عائكة
٧٧	» السويق	١٧	خروج قريش
٧٨	» ذي أمر	١٧	خروج الرسول والمسلمين
٧٩	أمر بني قينقاع	١٩	الرسول يستشير أصحابه
٨١	سرية زيد بن حارثة	٢٢	الذين تخلفوا من قريش
٨٢	مقتل كعب بن الأشرف	٢٣	نزول المسلمين ببدر
٨٧	غزوة أحد	٢٤	نزول قريش ببدر
٨٨	الرسول يشاور أصحابه	٢٧	المبارزة
٨٨	خروج الرسول والمسلمين	٣٠	هزيمة الكفار
٩٠	الرسول يعي جيشه	٣٥	الملائكة تقاتل مع المؤمنين
٩١	تعبئة قريش	٣٦	مصراع أبي جهل
٩١	أمر أبي عامر	٣٩	في القليب
٩١	القتال	٤٢	الذين ظلموا أنفسهم
٩٣	استشهاد حمزة	٤٣	قسمة الغنائم
١٠٣	خبر غيريق	٤٣	بشير النصر
١٠٨	حزن الرسول على حمزة	٤٤	رجوع الرسول إلى المدينة
١١٠	دفن الشهداء	٥٠	قريش تبكى قتلاها

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
رجوع الرسول إلى المدينة	١١١	مما ولد من الشعر في غزوة الخندق	١٩١
بناء الشهداء	١١١	مقتل سلام بن أبي الحقيق	١٩٨
غزوة حمراء الأسد	١١٢	دار إسلام لمرو بن العاص	
ما نزل من القرآن في أحد	١١٦	وخالد بن الوليد رضي الله عنه	٢٠١
ما قبل من الشعر في أحد	١٢٣	غزوة بني الحنات	٢٠٦
غدر عضل والفسارة بأصحاب		غارة عبيدة بن حصن	٢٠٦
رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٣٤	غزوة بني المصطلق	٢١٦
غزوة بدر معناه	١٤٢	من ليد المناقير	٢١٦
ذكر غزوة بني النضير	١٤٦	حبر الوليد بن عتبة	٢٢١
غزوة ذات الرقاع	١٥٢	حدث الإلهك	٢٢٣
هبة حمل حابر	١٥٤	غزوة الحديبية	٢٣٣
غزوة بدر إلى أحد	١٥٥	رسول مرزبان	٢٣٤
غزوة الخندق	١٥٨	رسول إلى مرزبان	٢٣٧
حفر الخندق	١٥٩	رسول الرضا	٢٣٨
مميزات الرسول	١٦٠	الصالح	٢٣٨
نقص في خريطة العهد	١٦٣	رسول في صنع	٢٤٢
إصابة سعد بن معاذ	١٦٩	أبو أيوب	٢٤٦
شجاعة صفية بنت عبد المطلب	١٧١	الهاجرات بعد الحديبية	٢٥٠
حالة سعد بن معاذ	١٧٢	غزوة حبر	٢٥١
غزوة بني نضلة	١٧٦	تحريم الطور الأثلية	٢٥٤
الحصار	١٧٧	الدارية	٢٥٦
حكم سعد بن معاذ	١٨١	على محمد بن الحنفية	٢٥٨
هبة الربيع بن ماطا	١٨٤	استسلام يهود	٢٥٩
هبة الأنعام	١٨٦	سهم النور	٢٥٩
ما نزل في غزوة الخندق	١٨٧	غزوة وادي الغنم	٢٦١
وفاء سعد بن معاذ	١٨٧	خروج النساء	٢٦٢
شهداء المسلمين في الخندق	١٩٠	الشهداء	٢٦٣

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٣١	شجاعة أم سليم	٢٦٤	أمر الحجاج بن علاط
٣٣٣	هزيمة المشركين	٢٦٨	تقسيم الغنائم
٣٣٥	غزوة أوطاس	٢٦٩	قدوم المهاجرين إلى الحبشة
٣٣٧	أخت الرسول من الرضاعة	٢٧٠	اليهود في خيبر
٣٣٧	ما نزل من القرآن	٢٧٢	عمرة القضاء وهي غزوة الأمن
٣٣٨	الشهداء	٢٧٣	زواج الرسول بميمونة بنت الحارث
٣٣٨	ما قيل من الشعر	٢٧٥	غزوة مؤتة من أرض الشام
٣٤٨	غزوة الطائف	٢٨٢	رجوع الجيش
٣٥٤	قدوم وفد هوازن	٢٨٣	ما قيل من الشعر في مؤتة
٣٥٨	قسم الغنائم	٢٨٧	غزوة الفتح
٣٦١	ذو الحويصرة	٢٩٠	تجهز المسلمين
٣٦١	الأنصار والغنائم	٢٩١	أمر حاطب
٣٦٤	عمرة الجمرانة	٢٩٢	إسلام أبي سفيان بن الحارث
٣٦٥	إسلام كعب بن زهير	٢٩٣	إسلام أبي سفيان بن حرب
٣٧٣	إسلام عبد الله بن الزبير	٢٩٧	الرسول يدخل مكة
٣٧٦	غزوة تبوك	٣٠٠	الذين أهدر النبي دماءهم
٣٧٦	المنافقون	٣٠٤	أمان رسول الله
٣٧٩	أمر أبي خيثمة	٣٠٦	الرسول يدخل البيت
٣٨٥	مصالحة أهل أيلة	٣٠٨	من معجزات الرسول
٣٨٥	سرية خالد إلى أكيدر	٣٠٩	الرسول والأنصار
٣٨٦	رجوع الرسول عن تبوك	٣٠٩	حرمة مكة
٣٨٨	مسجد الضرار	٣١١	ما قيل من الشعر
٣٨٩	المخلفون	٣١٧	سرية خالد بن الوليد ومواقع فيها
٣٩٨	ذكر إسلام ثقيف	٣٢١	هدم العزى
٤٠٣	رواية موسى بن عقبة	٣٢٢	غزوة حنين
	ذكر حج أبي بكر الصديق	٣٢٧	المنهزمون
٤٠٩	بالباس سنة تسع	٣٢٩	نداء النصر

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى	٤١٠	عدد غزوات الرسول
٤٢٨	الجنديل	٤١١	سرايا رسول الله
٤٢٩	بعث عمرو بن أمية إلى أبي-لميان		غزوة غالب بن عبد الله إلى
٤٣١	سرية زيد بن حارثة إلى مدين	٤١٢	السكديد
	غزوة عمير بن عدى إلى عصباء	٤١٧	غزوة عبد الله بن رباح
٤٣٣	بنت مروان		غزوة عبد الله بن أنيس إلى خالد
٤٣٤	أثر مائة بن أنال	٤١٧	ابن سليمان
٤٣٦	سرية علقمة بن مجرد		غزوة غالب بن عبد الله إلى بني مرة
٤٣٦	سرية كرز بن حابر	٤٢١	غزوة ذات السلاسل
٤٢٧	غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن	٤٢٤	غزوة ابن أبي حدرد
	بعث أسامة بن زيد إلى		غزوة ابن أبي حدرد إلى العابة
٤٣٧	الاسطين		

ملاحظة: - وقعت بعض الأخطاء الطبعية اليسيرة في الضبط ، مما لا يخفى على القارئ

رقم إيداع دار المكتب

١٩٧٠ لسنة ٦٦٢٢

